

جامعة السودان المفتوحة
Open University of Sudan

يوميات
رحلة إلى مروي

في سنتي 1821م و1822م

لينان دو بلفون

ترجمه من الفرنسية

د. فضل الله إسماعيل علي

راجعه د. علي احمد قسم السيد

راجعه وحرره أ.د سامية بشير دفع الله

جامعة السودان المفتوحة

الخرطوم 2010

جامعة السودان المفتوحة

إدارة البحوث والتخطيط والتنمية

التـرجمة والتعـريب

المترجم

- **الإسم : فضل الله إسماعيل علي حمد .**
- سوداني، ولد في الدويم، في 1968م النيل الأبيض، السودان.



المراحل الدراسية

- تعلم بمدرسة أبو حبيرة الابتدائية، فالدويم (1) المتوسطة، ثم الدويم الثانوية.

التعليم الجامعي وفوق الجامعي

- الدكتوراة في اللغة الانجليزية (ترجمة)، جامعة الجزيرة 2006م.
- ماجستير الترجمة، المعهد الإسلامي للترجمة الخرطوم 2000م.
- الدبلوم العالي في الترجمة، القسم الثلاثي (فرنسي - انجليزي - عربي)، جامعة الخرطوم (**1995م**).
- بكلريوس الآداب، تخصص اللغة الفرنسية، جامعة أم درمان الإسلامية 1992 .

المراتب العلمية

- محاضر بجامعة السودان المفتوحة (**2004-2006**).
- أستاذ مساعد بجامعة السودان المفتوحة (**2006-2010**).
- أستاذ مشارك بجامعة السودان المفتوحة (**2010-**).

- **الخبرة العملية**

- مذيع مترجم، الإذاعة السودانية، البرنامج الفرنسي (**1993 - 1994م**).
- مدير فرع الترجمة، الدراسات الاستراتيجية- الخرطوم (**1995 - 2001م**).
- رئيس قسم الإذاعة والتلفزيون، جامعة السودان المفتوحة (**2003 - 2006م**).
- رئيس قسم الترجمة والتعريب جامعة السودان المفتوحة (**2007-2010**).
- مدير إدارة البحوث والتخطيط والتنمية، جامعة السودان المفتوحة (**2010-**).

التأليف والترجمة

- تأليف عدة بحوث باللغة الإنجليزية والفرنسية.
- الترجمة من الإنجليزية إلى العربية لأكثر من كتاب ومجموعة علمية.
- الترجمة من الفرنسية إلى العربية لأكثر من كتاب ومجموعة علمية.

يوميات رحلة إلى مروي

في سنتي 1821م و1822م

تأليف لينان دو بلفون

ترجمه من الفرنسية
دكتور فضل الله إسماعيل علي

مراجعة الترجمة دكتور علي أحمد قسم السيد
مراجعة وتحرير أ.د سامية بشير دفع الله

جامعة السودان المفتوحة
الخرطوم
2010

فهرسة المكتبة الوطنية – السودان

962.41. بلفون. دو لينان

ب. ي

يوميات رحلة إلى مروي في سنتي 1821- 1822 / تأليف لينان دو بلفون؛
فضل الله إسماعيل علي (مترجم). – الخرطوم : جامعة السودان المفتوحة، 2008.
242 ص: إيض؛ 24 سم. – (سلسلة الترجمة والتعريب؛ 1)
ردمك: ISBN 978-99942-71-00-9

1. السودان – تاريخ – العصر الحديث، 1821- 1822م.
2. السودان – وصف ورحلات.

أ. العنوان. ب. علي أحمد قسم السيد (مراجع) سامية بشيردفع الله (محررة)

منشورات جامعة السودان المفتوحة، الطبعة الأولى 1429هـ/ 2008م

مصمم الغلاف
هشام صلاح حسين

LINANT DE BELLEFONDS

JOURNAL
D'UN VOYAGE À MÉROÉ
DANS LES ANNÉES 1821 ET 1822

Edited by

MARGARET SHINNIE

KHARTOUM : 1958

SUDAN ANTIQUITIES SERVICE

Occasional Papers (4)

المحتويات




مسطورات
MUSTORAT

تقديم مستشار المدير للبحوث وتنمية المجتمع

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين. سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

بسم الله تبدأ إدارة البحوث والتخطيط والتنمية نشر ترجماتها لأمهات الكتب عن موروث السودان الآثاري والتراثي والتاريخي. يّعد كتاب الفرنسي لينان دو بلفون، المُترجَم هذا، وعلى صغره، وثيقة مهمة لتاريخ السودان القديم والحديث وحضارته حتى 1822م. يجد القارئ ما يكفيه عن الكتاب وكاتبه في مقدمات محررة الكتاب السيدة مارغريت شيني ومحررة الترجمة الدكتورة سامية بشير دفع الله، والمترجم الدكتور فضل الله إسماعيل وفي ذلك ما يغني كاتب هذه الكلمة عن أي تعريف بالكتاب وكاتبه.

لعله لا بد من كلمة قصيرة عن محررة الكتاب مارغريت شيني(اسمها آنذاك). فقد كانت زوجة البروفسير بيتر شيني (Peter Shinnie) الذي عمل مساعداً لمدير مصلحة الآثار السودانية أنطوني أركل (Anthony J. Arkell)، ثم صار مديراً للمصلحة من بعده (سنة **1948**) حتى أعفي من منصبه تمهيداً لسودنته بعد ذلك، بالأستاذ ثابت حسن ثابت. فصلت بين شيني وبين الأستاذ ثابت فترة انتقالية كان المدير فيها الفرنسي جان فيركوتيه (Jean Vercoutter). لم يفهم شيني، ولم نفهم نحن معه، هذه الفترة الانتقالية. فما دام المنصب كان سيظل في يد أوروبي فلم لم يستمر شيني فيه حتى يسودن؟ لعل العملية كانت رمزية.

وضعت إدارة البحوث والتخطيط والتنمية الأصلَ الفرنسي، والوحيد للكتاب، في أيدي أنست فيها الكفاءة. فالمترجم يحمل الدكتوراة في الترجمة من جامعة الجزيرة، بتخصص في اللغة الفرنسية في البكالريوس من جامعة أمدرمان الإسلامية. والدكتور علي أحمد قسم السيد، مراجع الترجمة، متخصص في تاريخ السودان القديم وحضارته بالدكتوراة من جامعة السوربون بفرنسا، أما الخرائط فقد راجعها الأستاذ أحمد حسن أحمدون المتخصص في الجغرافيا، بالماجستير من جامعة القاهرة. وقامت بالمراجعة الثانية الدكتورة سامية بشير دفع الله ، مديرة إدارة البحوث والتخطيط والتنمية بالجامعة؛ فكل ذلك يبشر بأن تكون الترجمة متميزة. قبل الختام لابد من الإشادة بالجهد الكبير الذي بذله المترجم والمراجع الأول والمراجعة الثانية في إنجاز هذه النسخة الجديدة المنقحة.

فسعياً وراء التجويد أعاد المترجم، الدكتور فضل الله اسماعيل علي، نظرته في الترجمة وجوّدها حيث اقتضى الأمر ذلك. ولم يبخل المراجع الأول، الدكتور علي أحمد قسم السيد، بوقته، فراجع الترجمة مرة أخرى وأثراها بما استحقته من تمتين. أما الدكتورة سامية بشير دفع الله فقد قامت خير قيام بدورها كمراجعة ثانية للترجمة، فأضافت وأثرت وقوّمت متى ما كان لذلك ضرورة، مضيفة إلى دورها كمراجعة ثانية للترجمة دوراً آخر كمحررة. ويشهد المرء بأن كل ما قام به الثلاثة كان في تعاون تام بينهم. قد يتساءل المرء لم كان للترجمة مراجعان. والإجابة سهلة منطقية عملية، وهي التجويد. والله الموفق لما فيه الخير والفائدة. آمين.

البروفسير عبد القادر محمود عبد الله

مقدمة محررة الكتاب[1]

ولد لويس موريس أدولف لينان دو بلفون[2] في الثالث والعشرين من نوفمبر عام 1799م بمدينة لوريا (Lorient) بفرنسا. كان والده قبطاناً في فرغاطة بحرية. فأحسن تعليمه، وكان يتمنى أن يمتهن ابنه مهنته نفسها. في عام 1814م اجتاز لينان امتحان ضابط صف بحري. وفي عام 1815م أرسِل للقيام بدراسة ومسح لساحل كندا والولايات المتحدة الأمريكية. وفي عام 1817م التحق بحملة الكونت دو فوربان(Compte de Forbin) البحرية التي كانت في طريقها إلى عدة دول من دول شرق البحر المتوسط، مثل اليونان وسوريا وفلسطين ومصر. كان هدفها الحصول على بعض الرسومات والخُرط وتوضيح أعمال بعض الكتّاب عن هذه البلدان وغيرها. سافر لينان في هذه الحملة بصفة ضابط صف بحري وليس بصفة رسام. ولكن أثناء سير الرحلة مات أحد الرسامين المعماريين في حادث فاستُنجد بلينان للمساعدة. وأُعجب فوربان كثيراً بأداء لينان لدرجة جعلته يطلب منه اصطحابه إلى القاهرة. فسُرَّ لينان غاية السرور بإعطائه هذه الفرصة لزيارة هذه المدينة الساحرة.

عمل لينان لبعض الوقت في القاهرة وكان يأمل دائماً أن تسنح له الفرصة لزيارة الصعيد، إلا أنه كان مشغولاً جداً ولم يتيسَّر له السفر. وفي النهاية طاب له العيش في مصر ورغب أن يستقر بها إذا أمكن بعد انتهاء عمله مع فوربان. ساعده فوربان في الحصول على وظيفة في خدمة محمد علي باشا، ذلك لأنه كان يرغب في المكوث بالقاهرة لبعض الوقت، وكان عمره آنذاك 19 عاماً. كان العمل الذي أوكل إليه عملاً هندسياً محضاً ، ولم يكن سعيداً به، مما اضطره للاستقالة بعد وقت وجيز.

بعد ذلك التقى بالسيد وليام بانكس (William Bankes) أحد ملاك الأراضي الإنجليز، الرحالةُ والسياسي والآثاري. كان بانكس آنذاك في (عام 1820م)، على

---

[1] . مدام مارغريت شيني.

[2] . Louis- Maurice- Adolphe Linant de Bellefonds

وشك القيام ببعثة تشمل صعيد مصر والسودان. فصاحبه فيها لينان كرسام. بلغ بانكس في رحلته دنقلا في السودان، أما لينان فقد اقتصرت رحلته على وادي حلفا. وفيما بعد طلب بانكس من لينان الرجوع ثانية إلى السودان لتحديد موقع مدينة مروي القديمة، ولعمل رسومات للآثار التي يراها أثناء رحلته. كان لينان في واقع الأمر أول رحالة أوروبي يرى الآثار القديمة في المصورات والنقعة، تبعه بعد ذلك كايّو (Cailliaud).

تحكي هذه اليوميات رحلته التي قام بها على أثر الجيش المصري.

بعد ذلك قام برحلات أخرى داخل السودان. مثلاً في عام 1827م، وتحت رعاية "جمعية تسمى:

" Association for Promoting the Discovery of the Interior parts of Africa

وصل لينان في هذه الرحلة حتى مناطق النيل الأبيض، حيث تعيش قبائل الشُلُك. في الفترة 1831 ــ 1832م قام برحلات إلى العتباي بحثاً عن الذهب باسم محمد علي باشا الذي أعاده للعمل عنده ثانيةً.

أصبح لينان من الشخصيات المرموقة في مصر، باذلاً كل جهده في مشاريع الري، كما لعب دوراً مهماً في التخطيط لقناة السويس. وعاش حياة ذات فائدة كبيرة لمصر. ثم أصبح وزيراً للأشغال العامة في عام 1869م. ثم مُنِح الباشوية في عام 1873م، ومات بالقاهرة في التاسع عشر من يوليو 1883م.

يظهر لينان في يومياته رجلاً كامل الثقة بالنفس، ذا إصرار وعزيمة، الشيء الذي لا يجده المرء في رجل يافع في عمره. كان يعامل المسؤولين بدرجة عالية من اللطف، ويعامل عامةَ الناس الذين يقابلهم بكل شفقة ورأفة. أما الذين يعارضونه فقد كان حازماً معهم ولكنه في الوقت نفسه كان يجد طرافة في المشاجرات والمجادلات التي يدخل فيها. وينتصر لرأيه فيها في الغالب؛ بل حتى مزاج. الدكتور ريتشي (Ricci)[1] ، ذلك الرجل الفظ ، رفيقه في جانب من هذه الرحلة ، لم يتسبب في إحداث قطيعة

---

[1]. ذكر الدكتور "ريتشي" أيضا وصفا لزيارته لسنار. نشره سامّاركو (Sammarco) في القاهرة 1930م بعنوان "Alessandro Ricci e il suo gionale di viaggio".

بينهما. وبالرغم من أننا لا نملك إلا جانب واحد من الحكاية ، يبدو أن السبب وراء استمرار الصداقة بين الرجلين يرجع للحس التصالحي والتسامحي. عند لينان. من جانب آخر نجد كايو الذي أمضى مدة طويلة في رفقة لينان يصفه باستحسان قائلاً:

" أثناء إقامتنا هنا نشأت بيننا علاقة حميمة، وكان للينان الفضل في هذه الحميمية. وأنا أقدر له هذه المزية وحسن الجميل" [1]. وأضاف لاحقاً: " وجدت بكل سرور صديقاً فرنسياً يمتاز بشغفٍ ومهارةٍ عاليةٍ في البحث عن الآثار القديمة، ومن سوء الحظ أن قَدر لينان قاده لإثراء أعمال وبحوث علماء لندن الذين أصبح مخلصاً لهم حتى نهاية عمره" [2].

جدير بالذكر أن عمر لينان لم يتجاوز 22 عاما عندماً شرع في هذه الرحلة إلى بلد لم يكن بالكاد يعرف لغته . بلد لم يكن آمناً ولم يتم إخضاعه تماماً خاصة بعد حملات جيش محمد علي باشا[3] . وفي الحقيقة عدم تعرض لينان لأي مشاكل جسيمة يرجع إلى لباقته وشجاعته وأخلاقه وللإخلاص الذي وجده من ترجمانه محمد [4].

يتصف لينان أيضاً بأنه رجل نشط في الأعمال التي توكل إليه، وتعد رسوماته صوراً ناطقة بالأماكن والناس الذين رآهم، مما يعطي انطباعاً حقيقياً عن المراكب الصغيرة على المرافئ، وتجمعات أشجار النخيل وعظمة المواقع المهجورة في الصحراء.هذه الصور ليست مجرد أعمال يرسمها رسام؛ بل هي أعمال صادرة من رجل يعرف ويشعر ويقدر القيم الجمالية للبلدان.

---

[1] . كايو: *Voyage à Méroé* ، الرحلة إلى مروي ، الثالث عشر من مارس 1822م.

[2] . المصدر نفسه، الأول من يونيو 1822م. (سجل لينان لقاءهما في يوميات الحادي والثلاثين من مايو).

[3]. من الملفت للنظر أن هناك عدة رحالة أوروبيين كانت لهم رغبة قوية في زيارة السودان في هذه الحقبة لأسباب مختلفة ، مثل: كايو، ولينان، وعالمي الطبيعة الألمانيين إيرنبرج (Ehrenberg) وهمبريتش (Hemprich)، ووادينغتون (Waddington) وهانبري (Hanbury) الإنجليزيَيْن اللذين التقيا في البندقية كصديقين حميمين وقررا أن يتوغلا حتى دنقلا ومن وحي الساعة من ناحية هانبري. وأيضا هنالك عدة أطباء من يونانيين وإيطاليين التحقوا بجيش محمد علي أمثال د. ريتشي الذي سافر مع لينان ، واللورد برودو (Prudhoe) والسير ويلكينسون (J. G. Wilkinson).

[4]. محمد "الترجمان" هو في الحقيقة إيطالي ، اسمه جيوفاني فيناتي . كتابه الموسوم "الحياة والمغامرات" ترجمها أو بالأحرى كتبها بانكس ونشره في مجلدين في لندن سنة 1830م.

إن نظريات لينان واستنتاجاته عن المواقع القديمة تعتبر معبـرة وذكيـة وذات دلالات كبيرة رغم ثبات عدم صحة بعضها على ضوء الاكتشافات والمعـارف التـي جاءت لاحقاً. وأظهرت تعليقاته عن الناس والحيوانات والغطاء النباتي متعـة كبيـرة ، حيث تبدو الخضرة والأشجار الكثيفة في الريف رائعة لأولئك الذين يعرفون الـسودان الحديث ، بينما سيعتبر أي كلام عن أسد يزأر بالقرب من الدبة فـي الوقـت الـراهن اختلاقاً أنتجه خيال جامح.

إن فائدة هذه اليوميات بالنسبة للمهتمين بآثارالسودان وتاريخه أمرظاهر لا ريب فيها ، لكن الفائدة الكبرى تكمن في رسومات المناظر والدراسات التفـصيلية. بالمقابـل نجد رسوماته لبعض المباني أصبحت الشاهد الوحيد عليها بعد تحطم هذه المباني الذي حدث لاحقاً بسب تعاقب السنين عليها، وأصبحت الآن أشباحاً من الحجارة المتراصة.

كتبت يوميات هذه الرحلة في كتاب سميك الغلاف، خطـت علـى صـفحة الغلاف الأمامية الكلمات الآتية: "يوميات أ. لينان عن رحلته إلى مروي 1821-1822م طُبع على نفقتي أنا ويليام بانكس ". وفي صفحة الغلاف الخلفي نقرأ: " يوميات رحلـة إلى مروي ، على نفقتي ، قام بها أ. لينان ". نلاحظ أن الصفحات غير مسطرة والكتابة غير مقروءة. أحياناً. هذا الكتاب في مظهره الحالي لا يشير بأنه كان محمـولاً أثنـاء الرحلة ، بل يبدو واضحاً أنه نسخ في وقت لاحق . ويبدو أن الخط هو خـط لينـان. هناك نسخة ثانية من هذا الكتاب في متحف اللوفر بباريس مـع الرسـومات والأوراق وضعت هناك بإذن من أسرة الكاتب[1].

هذه النسخة من يوميات الرحلة التي ننشرها في هذه الإصدارة تخص الـسيد رالف بانكس Ralph Bankes وهو سليل السيد بانكس ، الرجل الذي كان يرعى لينـان ويموله، وهي محفوظة في معهد غريفيث في أكسفورد في معية سـتة مجلـدات مـن الرسومات وخريطة للطريق الذي سارت عليه الرحلة.

---

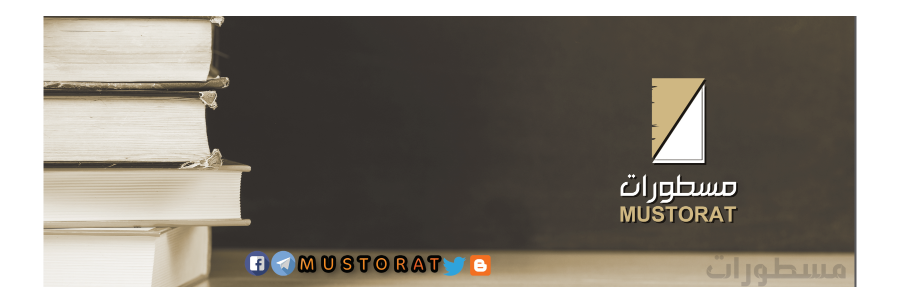
[1] . النسخة من هذه اليوميات التي كانت في وقت من الأوقات بحوزة "الجمعية الملكية للجغرافيا بمصر" بالقـاهرة ، لا يعرف لها أثر الآن . يبدو أنها نفس النسخة التي توجد بباريس.

لقد أجريتُ بعض التعديلات على نص هذه اليومية، مثل: الترقيم وكتابة بعض أسماء الأماكن بالحروف الاستهلالية حتى تسهل قراءتها، لأن النسخة الأصل تكاد تخلو من علامات الترقيم رغم أنها مقسمة إلى فقرات والتي لم أعدل فيها كثيراً. أحياناً وعند الضرورة أضفت حركات للحروف لتسهيل الفهم. وجدت استهجاء لينان غريباً مقارنة بالفرنسية الحديثة ، حيث ترسم ذات الكلمة بصورة مختلفة أحياناً. لكن هذا الشيء لم ينتج بسبب جهل الكاتب (لينان) أو عدم أهليته ، بل جاء بسبب السرعة في نسخ النص الأصلي. فأجريت بعض التصويبات .إن لغة اليومية ليست بالصعبة ، رغم ذلك نجد بعض طرق التعابير ، بخاصة التعابير الدالة على الفعل، غير مطابقة لما هو مستخدم حالياً . لذلك كنت مضطرة أحياناً لإضافة كلمة من عندي لتوضيح المعنى ؛ مثل هذه الكلمات وضعتها بين قوسين مربعين.

لقد أعطاني السيد رالف بانكس بكل أريحية الإذن لنشر نسخته هذه من اليوميات، كما أن السيد موريس لينان دو بلفون Maurice Linant de Bellefonds شجعني لإنجاز هذا العمل. وأجزل شكري لهما ولمعهد غريفيث الذي أمدني بالمخطوطات. وكل شكري وتقديري أيضاً للسيد ب.ل. شيني P.L. Shinnie زوجي ، المفتش الأسبق للآثار لدى الحكومة السودانية، إذ أشكره على تشجيعه لي بإعطائي المعلومات عن تاريخ وحاضر الآثار السودانية. كما أشكر المدير الحالي السيد دكتور جان فيركوتيه Jean Vercoutter للسماح لي بإكمال عملي بعد مغادرتي للسودان.

وأخيراً أكِنُّ إعجابي وتقديري للآنسة فوقان Vaughan التي قامت بنسخ النسخة الأصلية من المخطوطة بمعهد غريفيث والتي جاءت في غاية الدقة والاتقان. ولقد كان إعجابي كبيراً لتمكنها من فك الشفرات الصعبة في بعض الأحايين لمخطوطة لينان . لقد كان مجهودها هذا دافعاً قوياً لإعداد هذا النص للنشر.

مارغريت شيني


مسطورات
MUSTORAT
MUSTORAT
مسطورات

مقدمة المراجعة الثانية والمحررة للترجمة

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
سأتحدث في هذه المقدمة عن أمور لم تذكر في المقدمات الأخرى. أولها تأكيد وتثمين العمل الكبير الذي قام به البروفسير عبد القادر محمود عبدالله في تأسيس إدارة البحوث والتخطيط والتنمية. فهو مديرها الأول، وضع خططها ولوائحها وانتقى لها الباحثين في حدود إمكانيات الجامعة المتاحة. وظل يمدهم بالأفكار ويشجعهم بل ويعلمهم كثيراً من المعارف في غير من ولا أذى. وقد كانت واحدة من أمنياته أن تجد كتب الرحالة الغربيين الذين زاروا السودان ابتداءً من أواخر القرن الثامن عشر الميلادي حظاً من اهتمام الباحثين ، بالإقبال على ترجمتها للعربية من لغاتها الأصلية وهي إما الإنجليزية، أو الفرنسية أو الألمانية. فيما يتعلق بالرحالة الفرنسيين، وجد البروفسير عبدالقادر ضالته في الدكتور الشاب فضل الله إسماعيل، قبل أن يصبح رئيساً لقسم الترجمة والتعريب بالجامعة، فعرض عليه فكرة ترجمة "يوميات لينان" المكتوبة بالفرنسية، فرحب بها. ووجدت الفكرة ، بل جُل المشروع الرامي لترجمة كتب الرحالة، الترحيب والدعم من إدارة الجامعة ممثلة في مديرها (الأول) البروفسيرأحمد الطيب محمد.

أما عن قيمة " يوميات لينان" ، فبعد التأكيد على ما ذكرته السيدة شيني من فوائد للعاملين في مجال الآثار ، وما قالته عن الصورة التي يعكسها الكتاب عن أحوال البيئة النباتية والحيوانية – التي تغيرت للأسوأ الآن- سأتحدث عن قيمة أخرى له، ألا وهي أهمية الكتاب كمصدر من مصادر تاريخ السودان الاجتماعي خلال الفترة التي سبقت وصول حملات محمد علي باشا للسودان وعاصرتها. فقد وصف لينان بأسلوب قصصي مشوق أحوال الناس في القرى والفرقان التي مر بها من حلفا وحتى سنار. وكانت قافلته المتنقلة على الإبل تأخذ الطريق البري المحاذي للنيل كلما كان ذلك ممكناً؛ وأحياناً أخرى كانت تتنقل بوساطة مراكب شراعية محلية الصنع. كانت أحوال الناس، ملوكاً (مكوكاً) ورعية ، بسيطة جداً في أغلب الأحوال وبائسة أو بائسة جداً في أحوال كثيرة.
احتوت اليوميات على ذكر عدد من حكام السودان عشية فتح السودان على يد قوات محمد علي باشا بقيادة ابنيه إسماعيل وإبراهيم. لعل أبرزهم الملك سعد وابن أخيه الملك نمر ملكا الجعليين ، والملك شاويش ملك الشايقية. كما ذّكر الملوك علي وصبير وعمر،

وأبعاشة وأبو عجيل وآخرون. كانت حياة بعض هولاء الملوك لا تختلف كثيراً عن حياة رعاياهم ، لا يملكون من جاه المنصب إلا اللقب. لكن آخرين مثل الملك شاويش والملك صبير فقد سكنوا القلاع ، سواءً أكانت من مخلفات القرون السابقة أو كانت من تشييدهم، فكانت أحوالهم أفضل من الملوك الآخرين. وقد احتوت يوميات لينان على رسومات جيدة لهذه القلاع التي تدهورت حالتها بشكل كبير بعد رحلة لينان.

احتوى الكتاب على إشارات متفرقة لعامة الناس من رجال ونساء خلال تلك الفترة التي شهدت دخول قوات إسماعيل باشا البلاد. استوقفني ما قاله عن النساء في بعض قرى شمال السودان ووسطه. فذكر مشاركتهن في الحياة الاجتماعية والاقتصادية حيث أخذن أماكنهن في الأسواق والمساجد كالرجال. وأشار لينان إلى خفة روحهن وتقاطيع وجوهن الجميلة التي، لولا لون البشرة الداكن كما قال " لكُن من أجمل نساء الدنيا". عموماً أعطى لينان صورة حيةِ عن حياة الناس، التي، بالرغم من وجود شيء من التفاوت والاستثناء فيها، كان يغلب عليها الفقر وينتشر فيها مرض الدوسنتاريا.

ذكر لينان عدداً من قبائل السودان الشمالي مثل السكوت ، الشايقية ، الجعليين، العبابدة ، الرباطاب ، المناصير ، البشاريين ، الشكرية ، الكبابيش ،القراريش والحسانية.

أ. د. سامية بشير دفع الله

مدير إدارة البحوث والتخطيط والتنمية

في يوم 2010/9/30م الموافق 21 شوال 1431 هـ

مقدمة المترجم

الحمد لله الذي جعل من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أناساً يهتمون بأعمال جليلة من مثل العمل المترجَم. ونشكره تعالى أن قيض لهذه الأعمال صرحاً شامخاً ومدركاً لجميع أضرب المعرفة، هو جامعة السودان المفتوحة ، التي ما فتئت تنتقل من نجاح إلى آخر بفضل الله رب العالمِين، وبفضل جهود علماء أفذاذ، في مقدمتهم البروفسير أحمد الطيب محمد أحمد مدير الجامعة وحادي ركبها. من هؤلاء العالم ذي المعرفة الواسعة المتنوعة، البروفسير عبد القادر محمود عبد الله، أستاذ الدراسات السودانية المصرية القديمة. وما كان لهذا الكتاب أن يرى النور بالعربية لولا إلحاحه عليَّ بترجمته.

أما الكتاب نفسه، فإنه تحفة تتحدث عن فترة تاريخية محددة من فترات تاريخ السودان الحديث. تناول فيه الرحالة الفرنسي لينان دو بلفون، من خلال يوميات رحلته إلى مروي، في العامين 1821- 1822م، وصفَ الآثار في طريق رحلته من شمال أسوان إلى سنار. كما تناول انطباعاته عن الناس الذين التقى بهم، مجيداً في وصفه سواءً أكان ذلك ما يخص الآثار أم الحياة اليومية للناس، أم الحيوانات والنبات.

والقارئ لهذا الكتاب في الحقيقة يجد نفسه مرتحلاً متنقلاً باستمرار مع هذا الكاتب، وكأنه ينظر بأم عينه لكل مشهد وصفه. لذلك فإن هذا الكتاب يعتبر إضافة حقيقية للعلوم الإنسانية بشكل عام وللمكتبة السودانية على وجه الخصوص.

أما المترجم وكما هو معلوم، فلا يسلم أبداً من النقد. ذلك لأن المترجم مطلوب منه أن يقدم للقارئ نصًّا سلساً واضحاً خالياً من أي غموض. وذلك في الوقت الذي قد يكون فيه النص الأصلي صعباً في أسلوبه وغامضاً في فكرته. وهذا الكتاب لم يخل من صعوبة وغموض في مواقع عديدة. ومما يزيد من صعوبة ترجمته أنه مكتوب بلغة ما يعرف في النحو الفرنسي ''بالماضي البسيط (passé simple)''. وهي لغة كتابة لا لغة مخاطبة، كانت تكتب بها المرويَّات عن الماضي، سواءً أكانت أحداثاً تاريخية

أم قصصاً. زيادة على ذلك فإن الكتاب مكتوب بلغة الربع الأول من القرن التاسع عشر الميلادي.

يدعو المترجم الله أن يكون قد وفقه في نقل هذا الكتاب إلى اللغة العربية.

لا يفوت المترجم أن يشكر كل من ساهم في تنفيذ هذه الترجمة؛ الدكتور علي أحمد قسم السيد في مراجعة الترجمة، والدكتور عبد الخالق رحمة الله في التدقيق اللغوي، والدكتورة سامية بشير دفع الله في المراجعة النهائية والتحرير، والأستاذ نصر الدين عبد الرحمن عثمان في تجميع المخطوطة العربية إلكترونيًّا، ثم الأستاذ هشام صلاح حسين في التنضيده الطباعي ونسخ اللوحات ضوئيًّا وتصميم الغلاف.

جدوَل الرحلة

يونيو 1821م

الخامس عشر	غادر القاهرة

أغسطس 1821م

السابع والعشرون	سرّة
الثامن والعشرون	أرقين- وادي حلفا
التاسع والعشرون	وادي حلفا- عبكا
الثلاثون	عبكا إلى عدة أميال شمال صرَص
الحادي والثلاثون	صرَص- سمنة

سبتمبر 1821م

الأول	من سمنة إلى مينارتي
الثاني	في بطن الحجر
الثالث	عكاشة- كولب
الرابع	سرْكمِتو- فَركة- موقراكة
الخامس	العَمارة
السادس	جزيرة صاي- وادي إدريس
السابع	صولب: إرو: أقِر
الثامن	تيناري- توندي
التاسع	دلقو- سيسي- سابو- فريّق
العاشر	ناوْري- قودي
الحادي عشر	تُمبُس- كِرمة
الثاني عشر	كرمة ، تُمبُس

الثالث عشر	جزيرة أرقو
الرابع عشر	دنقلا الجديدة (ماريقا)- مكث فيها حتى مغادرته إياها في يوم 1821/09/22م . جزيرة هرتيت
الثالث والعشرون	الخنّاق- قصر ود نميري- الصحابة- تيتي
الرابع والعشرون	الخندق- القولِد
الخامس والعشرون	ناوي- دنقلا العجوز
السادس والعشرون	دنقلا العجوز- جزيرة تنقسي
السابع والعشرون	جزيرة تنقسي
الثامن والعشرون	الجابريّة- أبْكُر
التاسع والعشرون	جِقِرْنارْتي
الثلاثون	الدفّار- الحتّاني

أكتوبر 1821م

الأول	أمبيِكول
الثاني	كورتي- الضيقة
الثالث	أوُسلي- البخيت
الرابع	مع الملك صبير (مروي شرق)
الخامس	تنقاسي
السادس	البركل- نوري
السابع	نوري- البركل
الثامن إلى الرابع عشر	في البركل
الخامس عشر	مروي الشرقية- كَجَبي
السادس عشر	البركل
السابع عشر	الحامْداب

الثامن عشر	شبابيت
التاسع عشر	حوش الجروف
العشرون	بيرلي- جزيرة بوني- السالْمية
الحادي والعشرون	شيري- أبْرَمِتا- سلامات
الثاني والعشرون	الحِويلة- الكاب
الثالث والعشرون	توقف عند قرية صغيرة، صعود المركب
الرابع والعشرون	شمْخِيّة
الخامس والعشرون	تولْتي
السادس والعشرون	جزيرة مُقرات
السابع والعشرون	أبو عِجْلي
الثامن والعشرون	الكَرْمَل
التاسع والعشرون	الزُويّرة
الثلاثون	جزيرة كرقس
الحادي والثلاثون	ممر ضيِق

نوفمبر 1821م

الأول	الجريف
الثاني	جزيرة سِمبينا
الثالث	جزيرة العُشَيّر (العِبيدية)
الرابع	بربر
الخامس	بالقرب من الدامر
السادس	الدامر
السابع	المكابْراب ؟
الثامن	قُبَاتي- سقدي

التاسع	مروي القديمة- القوز- شندي
العاشر إلى السابع والعشرون	في شندي
الثامن والعشرون	غادر شندي
التاسع والعشرون	ود بانَقا
الثلاثون	بالقرب من ود بانَقا

ديسمبر 1821م

الأول	بالقرب من قَريٍّ
الثاني	قَريٍّ – مُطْرِف
الثالث	قرية شبه مدمرة
الرابع	الحلفايا
الخامس	العِيلَفون- الشريق- الجديد
السادس	النوبة – التَكَلَة
السابع	الكوعْ
الثامن	المسلَميَّة
التاسع	طيبة
العاشر	قرية صغيرة
الحادي عشر	مُنى
الثاني عشر	سِنار
الثالث عشر إلى الثامن عشر	مكث في سِنار
التاسع عشر	غادر سِنار بالمركب والتقى بإبراهيم باشا في السريوة
الخامس والعشرون	وصل لمشارف السريوة والتقى بإبراهيم باشا ثم بدأ في الاستعداد للرجوع إلى سنار
السابع والعشرون	وصل سِنار ومكث بها حتى يوم 2 يناير 1822

يناير 1822م

الثاني	غادر سِنار – منى
الثالث	طبع الحليم ؟ بالقرب من مصب نهر الدندر
الرابع إلى السادس	سافر عن طريق النيل ووصل إلى أبو عُشر في السادس من يناير
السابع	الجديد
الثامن	العيلفون– سوبا
التاسع	الحلفايا
العاشر	بالقرب من شلاَل السبلوقة
الحادي عشر	عَبْرَ شلاَل السبلوقة
الثاني عشر	جزيرة رملية
الثالث عشر	بالقرب من ود بانقا
الرابع عشر	شندي: ومكث بها حتى 20 فبراير

فبراير 1822م

العشرون	غادر شندي إلى المصوّرات– معبد الدوينيب
الرابع والعشرون	عاد من المصوّرات إلى شندي
السابع والعشرون	غادر شندي لزيارة آثار النقْعة القوز

مارس 1822م

الرابع	غادر النّقْعة متجهاً إلى شندي (القوز – شندي)
الخامس	شندي
الرابع والعشرون	غادر شندي بالجمل– التراجْمَة– وادي دوشين–كبوشية
الخامس والعشرون	البَجْراويّة – مروي القديمة والأهرامات، ومكث بها إلى حين

إبريل 1822م

الثاني	غادر البَجْراويّة
الثالث	الحاوية
الرابع	الدامر ، ومكث بها إلى حين
السابع	غادر الدامر- كَنّور
الثامن	بَرْبَر ومكث بها إلى حين
العاشر	غادر بَرْبَر- سَقَدي
الحادي عشر	بالقرب من النهر في منطقة الشلال الخامس
الثاني عشر	النادي
الثالث عشر	أبو هشيم
الرابع عشر	جيجي
الخامس عشر	الغِريّب
السادس عشر	أبو حمَد
السابع عشر	أبو حمَد
الثامن عشر	أبو طين- بالقرب من شمْخِيَّة
التاسع عشر	الكاب
العشرون	الكاب
الحادي والعشرون	العقبة
الثاني والعشرون	السالميَّة
الثالث والعشرون	بِداسي
الرابع والعشرون	بِداسي
الخامس والعشرون	قباتي
السادس والعشرون	الحامْداب
السابع والعشرون	البرْكل ومكث بها إلى حين

مايو 1822م

الثاني	غادر البرْكل باتجاه "الغزالي" ثم عاد إلى البرْكل
الثالث	البرْكل
الرابع	غادرَ البرْكل- القِرير- البخيت
الخامس	القِرير
السادس	كورتي- أمْبيِكول
السابع	منصوركُتي- الحتّاني
الثامن	قنتّي- قُشّابي
التاسع	الدَبة
العاشر	جزيرة حَمور
الحادي عشر	شبعانة- الخندق
الثاني عشر	التِيتي
الثالث عشر	دُنْقلا الجديدة ومكث بها إلى حين
الثالث والعشرون	كلُمسيد
الرابع والعشرون	أرْقو
الخامس والعشرون	القرِير- مَشو
السادس والعشرون	حنك- جزيرة سِمِت- جزيرة مصول
السابع والعشرون	فريّق
الثامن والعشرون	كوكا
التاسع والعشرون	سيسي- تونْدي
الثلاثون	القرّقود
الحادي والثلاثون	صولب ومكث بها إلى حين

يونيو 1822م

الرابع	جبل دوَشة صادنقا- جزيرة صاي
الخامس	جزيرة صاي
السادس	بالقرب من موقراكة
السابع	أُكَمَة
الثامن	الضفة الغربية للنهر تجاه سَمْنة
التاسع	سَمْنة
العاشر	سَمْنة
الحادي عشر إلى الثالث عشر	سافر إلى وادي حلفا- وصل إلى أرْقين في المساء
الرابع عشر	فَرَص

يوليو 1822م

الرابع والعشرون	وصول القاهرة

قائمة اللوحات

توجد اللوحات من صفحة 195 فصاعداً

رقم اللوحة

رقم اللوحة

19 منظر للمعبد العظيم في المصورات

20 منظر عام لخرائب المصورات

21 عمود في المعبد العظيم في المصورات

22 مناظر منحوتة على أعمدة في معبد المصورات

23 مناظر منحوتة على أعمدة في المعبد العظيم في المصورات

24 نقوش على جدران خرائب المعبد في المصورات

25 منظر للكشك في النقعة

26 منظر منحوت من معبد أبيدماك في النقعة

27 منظر منحوت على الحائط الغربي في معبد أبيدماك بالنقعة

28 منظر من الحائط الشمالي في معبد أبيدماك بالنقعة

29 معبد تيفونيوم . مصدر اللوحة:كايو، ج 1، لوحة 74

يوميات لينان دو بلفون
عن رحلته إلى سنار
1821م- 1822م

غادر لينان القاهرة في الخامس عشر من يونيو 1821م بالباخرة النيلية إلى أسوان. وكان برفقته الدكتور ريتشي (Ricci) الطبيب والرسام الإيطالي، الذي أصبح فيما بعد الطبيب الخاص والملازم لإبراهيم باشا[1] في أواخر الرحلة. أعطى لينان صورة حية عن رحلته إلى أسوان معبراً عن انطباعاته عن الناس الذين التقى بهم، وعن بعض التصرفات الغريبة لبعض ملاحيه والمخمورين منهم بخاصة، كما وصف بعض الآثار القديمة التي شاهدها، ولكنه لم يسهب عن الآثار التي في شمالي أسوان؛ لأنه كان يريد أن يكتب عنها في مكان آخر، ولأنها كانت معروفة في ذلك الزمان.

قضى لينان شهراً في أسوان آملاً في أن يتلقى المساعدة من إبراهيم باشا الذي كان على وشك الوصول إليها، وأن يساعده بتوفير الدواب لمواصلة رحلته جنوباً. ومن جانب آخر فإنه لم يجد تجاوباً من الموظفين المحليين. وبينما كان أحدهم وهو قومندان سابق، لطيفاً معه ولا حول له ولا قوة ، كان الآخر، وهو الكاشف[2]، حاد الطبع وصعب المراس.

يبدو أن إبراهيم باشا كان قد خاطب الكاشف حول حاجة لينان للإبل. ذلك لأن لينان، وبعد مغادرة إبراهيم باشا وجد الكاشف حريصاً على تلبية كل طلباته؛ بل وبأسعار لا تتجاوز تلك الأسعار المعقولة التي يدفعها موظفو الحكومة.

غادر لينان أسوان بالإبل في الخامس عشر من أغسطس، وكان مستاءاً لأن الدكتور ريتشي كان عكِر المزاج ومنذ أول يوم في هذه الرحلة، وهذا شيء طبيعي بالنسبة له ، ولم يرغب في تجاذب الحديث معه. استنتج لينان في اليوم التالي أنّ

---

1. انظر هامش رقم 2 ، ص 5 أدناه .

2 . الكاشف ضابط مسئول عن الشؤون الإدارية في المنطقة.

ما يضايق دكتور ريتشي هو أن الجمل الذي يمتطيه لم يكن مريحاً. ثم مرض دكتور ريتشي في مساء نفس اليوم، فخلدوا يوما للراحة. ثُمّ تعافى دكتور ريتشي وواصل الركب سيره إلى وادي حلفا حيث وصلوا إلى فرص على حدود السودان الحديث في السابع والعشرين من أغسطس.

الاثنين 27 من أغسطس 1821م

في اليوم السادس والعشرين مررنا بجبال تبدو أعلى من أبي سمبل، وفيها مغارة جبل عدًّا (Addé). ومن ثم مررنا خلف مدينة مهجورة تسمى مساكيت (Massaquette)، حتى وصلنا إلى شاطئ النيل. وبعد أن مررنا بجبل أعلى من جبل مساكيت توقفنا بالقرب من جزيرة تقع في مكان قبل فرص، ثم بتنا الليلة في سرّة.

الثلاثاء 28 من أغسطس 1821م

في الصباح لاحظت أن القرية التي تقع أمام قرية أرقين كبيرة جداً وبها عدد كبير من السواقي والأراضي المزروعة وأشجار النخيل. قبل الساعة الحادية عشرة صباحاً كنا بالقرب من جزيرة تقع أمام وادي حلفا. وفي المساء وصلنا إلى ذلك المكان. كان مصطفى أغا، المسؤول عن إدارتها ، على وشك المغادرة إلى دنقلا، ويسَّر عبور كل المراكب التي كان إسماعيل باشا[1] يبعثها إلى القاهرة من خلال الشلالات الكبيرة، التي أصبحت سالكة الآن بعد أن فجَّر محمد على الكثير منها بالمتفجرات.

الأربعاء 29 من أغسطس 1821م

عسكرنا تحت شجرة لكي نبقى بعيداً عن الأتراك الأوغاد الذين كانوا يقيمون في القرية. وفي اليوم التالي من وصولي هبت رياح عاتية. وكنت أنوي المكوث هنا طيلة النهار، إلا أن هذه الرياح أجبرتني على الرحيل عند الظهيرة بسبب الأتربة والغبار الذي

---

[1] . إسماعيل كامل باشا هو الابن الثالث لمحمد علي باشا . دخل السودان في عام 1820 م بقوة صغيرة من الجيش ووصل إلى سنار. قتله المك نمر في شندي في رحلة عودته من الحملة .

جلبته. ومن ثَمَّ وصلت إلى شونة كان قد شيدها الباشا أعلى الشلال واسترحت فيها. وأخذنا كل ما تحتاجه إبلنا.

يبعد هذا المكان ثلاث ساعات ونصف الساعة عن وادي حلفا، سيراً على الأقدام أو ما يعادل ميلين ونصف في الساعة بالإبل. إن الطريق الذي سلكناه يحاذي ضفاف النيل تارة، ويخترق الجبال ويكون بعيداً قليلاً عن النهر تارة أخرى. والممر الذي سلكته المراكب في هذا الشلال يقع في جهة الشرق منه، وبدا لي أقلّ سوءاً من شلال أسوان؛ ولعل سبب ذلك فيضان النيل.

لاحظت في كثير من الجُزر مجموعة من الأطلال لقرى مسيحية مع وجود بقايا آثار بعض الكنائس التي تبدو رائعة من منظرها الخارجي[1]. إن منظر هذا الشلال يختلف اختلافاً بيّناً عن نظيره في أسوان؛ وقد أعطيت فكرة عنه برسم له في رحلتي الأولى.

الخميس 30 من أغسطس 1821م

إن الأطلال التي بالقرب من الشونة الموجودة أعلى الكتلة الصخرية هي بقايا أطلال لبعض المساكن. أعطاها موقعها في هذا المكان العالي على التلة منظراً ساحراً. قضينا الليلة عند سفح هذه الكتلة الصخرية[2] وتحركنا في الغداة عند الساعة السادسة صباحاً. وبعد ساعة من تحركنا اتجهنا نحو الجنوب الغربي محاذين شاطئ النيل دائماً، فالنهر، ابتداءً من المكان الذي كنا قد غادرناه لتونا، يبدو سهل الملاحة. وفي الوقت نفسه وجدنا ممرات سهلة في وسط الجزر التي قابلتنا، كما وجدنا أيضاً مجموعة من الجزر التي تشكل سداً لمجرى النيل، إلا أن الممرات كانت جيدة.

---

[1] . هنالك عدة مناطق أثرية على طول النيل: مينارتي، كيسينارتي، دورقينارتي، عبكا نارتي ودبة نارتي. وكلها جزر بها بعض الآثار. بجزيرة دور قينارتي ودبة نارتي آثار لحصون مصرية يرجع تاريخها لعهد الدولة الوسطى المصرية، وفي الجزر الأخرى كنائس مسيحية ومبانٍ أخرى، معظمها مهدّم تماماً.

[2] . بالقرب من عبكا.

كل هذه الجزر تقريباً بها أطلال. وفي إحداها تسمّى جزيرة ...[1] أطلال فوق صخرة عالية. فهذه الأطلال والمزارع الخضراء يعطيان منظراً خلاباً. وعلى مسافة قصيرة من هنا، وفي الاتجاه المعاكس حيث كنت أقف، لمحت أنقاضاً لأديرة [2] كان قد زارها السيد بانكس (Bankes)[3] من قبل ، وحدثني بأن على جدران هذه الأديرة رسومات ذات طابع مسيحي لا تزال في حالة جيدة.

ظللنا نسير بمحاذاة النيل، نمر في بعض الأحيان بين الصخور في النيل متجنبين الطرق الوعرة القريبة من النهر. ولحظت أثناء السير أن الجبال لم تكن شاهقة، وأنها ذات أحجار رخامية جميلة مختلفة الألوان. وهناك محاجر حجر السيربنتين الجميل، كما توجد مزارع قليلة في المناطق التي توجد بها أشجار النخيل التي يزرعها إنسان هذه المنطقة ويعتمد عليها في عيشه. وفي العاشرة توقفنا تحت ظلال بعض الأشجار. لحظت أن أهالي هذه المنطقة يشيدون بيوتهم من القش بين التلال، ويزرعون رقعة ضيقة من الأراضي التي تقع على ضفاف النيل.

وفي الساعة الثانية بعد الظهر تحركنا ومررنا من خلال ممر ضيق بعقبة صغيرة داخل الجبال تسمى شسبت (chesept) ، تعني باللغة النوبية الزرافة. نتج هذا الاسم عن وجود صورة لهذا الحيوان على صخرة في الجزء الشمالي الذي يقع على مقربة من منتصف العَقَبة. ثم نزلنا بعد ذلك على ضفة النيل، فتتبعناها قليلاً حتى التقينا ثانية بطريق جبلي بالقرب من جزيرة كجنارتي والتي تعني "جزيرة الحمار" [4] بالنوبية، ثم تخطينا العقبة التي تحمل الاسم نفسه.

إن منظر هذه البلدات بدا لنا غير مريح ؛ إما لأننا تعودنا عليه أو لأنه كان سخيفاً حقاً. وجدنا مجموعة من النباتات وأشجار السنط التي امتزجت خضرة أوراقها

---

[1] . ضاع الاسم من المخطوط. ولعله دبة نارتي.

[2] . من شبه المؤكد أنها جمي الغربية. كانت فيها حتى بداية هذا القرن رسوم لا تزال ترى على جدران المباني.

[3] . هو وليام بانكس، راعي لينان.

[4] . **كج** = "حمار" و**آرتي** "جزيرة" بالنوبية.

الجميلة مع سواد الصخور ولون الرمال الصفراء مما أخرج منظراً جميلاً. قضينا الليلة في هذا المكان.

الجمعة 31 من أغسطس1821م

قبل ساعة من طلوع الشمس صحونا من النوم وغادرنا المكان. وبعد ذلك وجدنا وادياً مليئاً بالأشجار والنباتات يسمى وادي العروسة، وكان اسماً على مسمى؛ لأن وجوده في هذا المكان جعل منه جنة. ووجدنا فيه أيضاً آثاراً لدير صغير ومقبرة. تواجه الوادي جزيرة كبيرة ومرتفعة تدل على أطلال لقرية عتيقة ذات حصون [1]. رسمت صورة لهذا المكان (اللوحة 2). ثم واصلنا سيرنا عبر طريق عقبة من خلال جبال جدباء. وفي منتصف النهار عسكرنا في سمنة، في وادٍ تكثر فيه أشجار السنط، وأصبحنا الآن نعلو الشلال والمعبد قليلاً. ووجدت في هذا المكان مصطفى أغا الذي حاول أن يخلق بعض العقبات في طريقي، ذلك لأن فرماني كان مكتوباً باللغة التركية وهو لا يقرؤها. وهنا عرضت عليه الخطاب المرسل إليه من قائده.

وفي الحقيقة كان مصطفى مشغولاً بمسألة تجاوز مراكب الدكتور إبراهيم باشا[2] والمراكب الأخرى للشلال، وكذلك بالصيادلة الأوروبيين الذين كانوا في الجيش. وتحاشياً لأي إحراج لي معه، مضيت إلى المعبد.

السبت الأول من سبتمبر 1821م

مكثت في سمنة حتى منتصف نهار اليوم التالي. يقع معبد سمنة الموجود في الجانب الشرقي على تلة أعلى من الجبل الذي شُيّد عليه المعبد في الجانب الغربي.

---

[1] . هذا الوصف يناسب أورنارتي ، لكن التوقيت يناسب شلفاك وهو حصن آخر من حصون الدولة الوسطى يقع بين الصخور في الضفة الغربية ، فالموقع ليس جزيرة . ليس من الممكن تحديد مبنى معين من الرسومات المصاحبة.

[2] . إبراهيم باشا الوالي:هو الأخ الأكبر لإسماعيل كامل باشا. أرسله والده محمد علي لنجدة أخيه. كان في حاشية إبراهيم باشا مجموعة من الأطباء الأوربيين أمثال: جينتيلي (Gentili) الذي مات في مروي، مسموماً في الغالب، وأليساندرو اسكوتّو (Alessandro Scotto) الطبيب الشخصي لإبراهيم باشا، الذي مات بالحمى في سنار، وحل محله أليساندرو ريتشي (Alessandro Ricci) الذي كان مرافقاً لليبان في هذه الرحلة وقت كتابة هذه اليوميات.

ويشكل الشلال ممراً ضيقاً بين المعبدين. هذا الممر ملئ بالصخور ومحاط بثلاث جزر (اللوحة 3)، ويجري فيه تيار الماء قوياً جداً، والمياه بين هذه الصخور عميقة جداً مما يسبب صعوبة لمرور المراكب وسط الشلال، ويصَعّب من مهمة الرجال في قيادة المراكب. وسوى هذه الصعوبات فإن هذا الشلال لا خوف منه كنظيره في أسوان.

أما المعبد فصغيرٌ جداً؛ يتكون من خمس حجرات ورواق متهالك تماماً يقع في واجهة المعبد، وهو مغلق، ولا يمكننا رؤيته إلا من خلال أعمدة الواجهة (اللوحة 4). يستند السقف على الأعمدة ذات الطراز الإغريقي الدوري، وهي شبيهة بالتي شاهدناها في مغارات بني حسن في مصرالتي تتكون من إحدى وعشرين واجهة صغيرة، اثنتان فقط زُينتا بأسطر هيروغليفية.

على واجهة المعبد بابان: واحد في الوسط والآخر في ناحية اليمين. الكتابة الهيروغليفية المنقوشة على إطارات الأبواب وعتبها منحوتة في شكل مقعّر بالرغم من الخطوط الأخرى ذات النقوش البارزة، وتبدو أصغر من سابقاتها ولكنها أكثر جمالاً في الخط والتنفيذ. جدران الحجرة الأولى من الداخل وخاصة من ناحية اليمين منحوتة بشكل مقعّر، ولها بوابة صغيرة تؤدي إلى حجرة أخرى تشكل رواقاً ، جزء منه مسقوف والآخر بدون سقف، وفي وسطه عمودٌ يشكل دعامة للسقف. وهناك الإفريز الذي يمتد من الشمال إلى الجنوب على طول المعبد، وعلى سطح هذا الإفريز المزيّن بالأحرف الهيروغليفية المنحوتة يوجد كورنيشٌ على حجارة السقف. وجدران هذا الرواق، منقوشة أيضاً، وفي الناحية الشمالية بابٌ يؤدي إلى حجرة طولها نصف عرض الرواق، موازية لعرض الحجرة الأولى من المعبد. وهي أيضاً مزينة كالأخريات. وأعتقد أن الحجرتين الأخيرتين الصغيرتين اللتين تشغلان النصف الآخر من الرواق لهما مدخلٌ داخل هذه الحجرة. الحجرات الثلاث مليئة بالرمال حتى السقف، ولذلك تصعب رؤيتها من الداخل. تعرفنا على عدد الحجرات من حجارة السقف التي تفصل بينها. ولحظت أن إحدى حجارة كورنيش الرواق الصغير ممتدة على الحائط القائم في الواجهة، الأمر الذي بدا لنا غريباً لأننا لم نعرف الهدف الذي وضعت من أجله في هذا المكان.

إن الطريقة التي اتبعت في بناء هذا المعبد تجعلني أعتقد بأن تشييده قد تمّ خلال عدة حقب، وأن الرواق ذا العمود الواحد الذي تقع في مؤخرته الحجرات الثلاث هو الرئيس في هذا الصرح. لكن الذي هدم هذا الاعتقاد هو أني لم ألحظ في أيٍّ من الجدر ما يؤكد أنها إضافية، وخاصة أنني أرى أن كل النقوش تبدو ذات أسلوب واحد.

إن ما يدعم فرضية قيام هذا الصرح على فترات مختلفة هو أصالة الخطة التي اتبعت في بنائه، ولكن عندما نرى المعابد الكبيرة في مصر وبلاد النوبة، مثل معبد الدكة على سبيل المثال ، فإنه يظهر لنا فرضية تشييده على مراحل مختلفة، ولكن في هذا الموقع لا يوجد ما يؤكد هذه الفرضية[1]، وموقع معبد سمنة الذي قطع في سطح التلة هو السبب في غمره بأنقاض الجدران والرمال.

لحظت أن قمة التلة محاطة بسور عالٍ[2] من اللّبِن أساسه من الأحجار غير المنحوتة (غير المشذبة)، ومن الناحية الشمالية للمعبد يُوجد جدار آخر ملحق بالسور يمتد حتى خارج المعبد. هذا السور يحيط بالمعبد ، وهو مربع الشكل وتوجد في كل زاوية منه مجموعة من الأبراج الصغيرة، ولست أدري في أي ناحية من هذا المعبد يوجد المدخل، إلا أنه في الغالب يوجد في الجهة الشمالية الشرقية[3]. يقع المعبد في الزاوية الشمالية ويبعد قليلاً عن انحدار الصخرة، وهذه الأسوار المبنية من اللبن تمّ تدعيمها بالعوارض والبوص مما جعلها أكثر مِنعة وقوة.

أعتقد أن المباني الأخرى أيضاً محاطة بالسور، وأن هذا السور يشكل سوراً لقرية ولكنه لم يكن كبيراً وليس له امتداد على هذه التلة. ومن الواضح أن سبب بناء

---

[1] . المعبد الموجود في الناحية الشرقية شيد في عصر تحوتمس الثالث (1500- 1447 ق.م) عُثر بداخله على اسمي تحوتمس الثاني وحتشبسوت .الجزء الخلفي منه أعاد بناءه أمونحوتب الثاني.

[2] . المبنى عبارة عن قلعة، ويعد المعبد جزء منها .القلعة الموجودة في الجهة الغربية شبيهة بهذه القلعة ، ربما شيدها أو وسعها سنوسرت الثالث (1887- 1849 ق.م)، أسوار الطوب الخارجية تقوم على أساسات من ركام الجرانيت ويوجد بالداخل طريق تقاطعه طرقات متعارضة تشكل ، في القلعة الشرقية ، ثلاثة مربعات مقسمة بدورها إلى شقق يشغلها الجنود والموظفون والمفتشون والذين يعملون في خدمتهم.

[3] .المدخل الرئيس ، كما خمن لينان ، عبر البرج في الناحية الشمالية الشرقية. يوجد كذلك مدخل نهري (مسرب) في الزاوية الشمالية الغربية يخترق المدخل ويمر عبر السور الخارجي ويؤدي إلى النهر عن طريق درج مسقوف.

المعبد والقرية في هذه الناحية على وجه الخصوص هو لحماية ممر الشلال الذي يوجد في هذا المكان، وأيضاً لتقريب المكان لسكان هذه المنطقة حتى يساعدوا في تجهيز المراكب. لم نجد في سمنة أثراً للزراعة ولكن لا يساورني شك في أن الزراعة كانت تمارس في الزمن السابق، وذلك لأن عمالاً بهذه الهمة يستطيعون بالتأكيد زراعة مثل هذه الأرض.

السبت الأول من سبتمبر 1821م

بعد مغادرتنا لسمنة واصلنا المسير متخللين الجبال حتى صرنا بالقرب من النيل وكان الطريق وعرا جداً. رأينا عدة جزر ولحظنا فيها الكثير من الأطلال. وعلى جزيرة كاشام آرتى[1]، وتعني جزيرة الشمس ، وهي جزيرة صخرية صغيرة مرتفعة جداً، هناك قرية تبدو ذات أهمية. ومررنا بمكان مأهول بالسكان قبل وصولنا إلى جزر ميناردي،[2] وأمضينا فيها الليل، وشاهدت جبالاً من الجرانيت كالتي شاهدتها في أسوان. يبدو أن كل الجبال الأخرى مكونة من نوع آخر من الحجارة. وفي جزر ميناردي هذه يظهر شلال عند انخفاض النيل، ولكن عندما مررنا بهذا الشلال وجدنا تياره قوياً وأمضينا الليلة بالقرب من هذه الجزر.

الأحد الثاني من سبتمبر 1821م

عند طلوع الشمس في الصباح بدأنا في المسير تارة عبر الجبال وتارة أخرى في محاذاة النيل. وعند الظهيرة وصلنا إلى الجنوب قليلاً من سونكي ، ولحظت أثناء السير جزيرة كورموكي[3] وهي جزيرة طويلة ومأهولة. وصخور الجبال التي تكوِن هذه الجزيرة تختلف عن صخور الجبال في الجزر الأخرى، بل توجد على ضفاف النيل من

---

[1] . الكلمة النوبية للشمس بلغة المحس المعاصرة هي **ماشا** ، إذن ماشا نارتي= جزيرة الشمس. يبدو أن لينان لم يسمع الاسم جيداً أو ربما نساه عندما كتب هذه اليوميات.

[2] . الزمن الذي استغرقه لينان يمكنه من مشارف أمبيكول، ولكن لا توجد جزر تسمى مينارتي على خريطة هذه المنطقة.

[3] . الراجح أنها جزيرة تورموكي

الناحية الغربية . وعلى قمة الجزيرة مساكن يمكن مشاهدتها من على البعد. وعلى بعد مسافة قصيرة من هنا توجد جزر وشلال ولكن لا يبدو أن تياره قوياً ، وفوق المكان الذي عسكرنا فيه توجد أطلال[1] في مكان يسمى وادي الأحجار. والجبال التي نراها من هنا تسمى اللامادي . ومن الناحية الغربية توجد ثلاثة جبال مثل سائر جبال هذا البلد مغطاة بالرمال الصفراء، بينما نلحظ أن الجزر والضفة التي لا تكسوها الرمال لونها أسود ، وفي بعض الأحيان إذا وجدت رمال تكون بيضاء وناعمة. ومن المحيِّر جداً أن نرى تبايناً واضحاً بين هاتين السلسلتين من الجبال اللتين لا تفصل بينهما إلا مسافة قصيرة تظهر الفرق بينهما. والقرى التي شاهدتها في هذه الناحية قرى صغيرة تقع وسط التلال ولا ترى فيها طرقاً واضحة وليس لها منفذ على النيل، والسكان في هذه المنطقة فقراء والأراضي الصالحة للزراعة قليلة، ويزرعون الذرة والقرع والقمح في فصول مختلفة.

ولم أرَ أشجار النخيل منذ أن تجاوزت قرية صغيرة بالقرب من وادي حلفا إلا نادراً. ومنازل هذه القرى مبنية من القش والقصب ، وفي الوقت نفسه فهي منازل صغيرة جداً لا تكاد تسع متاع ساكنيها الفقراء، وهو في الغالب من النوع الذي يسهل حمله. ويقومون بتربية الأبقار والضأن والماعز ويستفيدون من ألبانها في حالة توفر المرعى. وينسجون القطن بأنفسهم ويصنعون منه الكساء. وتعد القرية التي تتم فيها صناعة المنسوجات من القرى الكبيرة.

الاثنين الثالث من سبتمبر 1821م

في صباح الاثنين سلكنا طريق الجبل تفادياً لطريق ضفة النيل الوعر، ومررنا بعقبة سهلة ولم يكن مظهرها مخيفاً كالتي رأينا من قبل. واستمر المسير حيث مررنا بأودية غاية في الجمال ذات رمال جميلة، يوجد فيها العشب والنبت. وعندما نزلنا من الجبل نزلنا عبر طريقٍ سهلٍ جميلٍ يقع بين النيل والجبال. وكانت هذه الجبال جميلة في

---

[1] . ربما بالقرب من أكما. لاحظ أن المنطقة المعروفة ببطن الحجر تبدأ من هذا المكان.

مظهرها وفي ألوانها. عند الساعة العاشرة مررنا بالقرب من جبال جميلة يقع على سفحها وادي عكاشه الممتلئ بأشجار السنط والنباتات، وتقطنه مجموعة من العبابدة[1] يسكنون الأكواخ ويزرعون رقعة صغيرة من الأرض. قبل وصولنا إلى هذه القرية مررنا بأنقاض دير صغير[2] مبني من الطين ومحاطٌ بسور من الأحجار. وهو مربع في الشكل وتوجد في كل جانب منه أبراج دائرية صغيرة . وقبالة هذه الأنقاض جزيرة صغيرة ، يبدو أنها كانت مأهولة بالسكان ، شاهدت فيها مجموعة من أنقاض مساكنٍ من الطين جيدة التشييد والبناء. وعند الساعة الحادية عشرة توقفنا تحت شجرة ظليلة من أشجار السنط في وادي عكاشة.

قبل مغادرتنا للمكان شاهدنا قبة متهالكة مطلية بالجير المحروق لشيخٍ يسمى عكاشة . وشيخ عكاشة هذا ولي مشهور جداً يأتي إليه الزوار من كل حدب بنية التبرك منه. توجد مجموعة من "القفف" معلقة على الأشجار المحيطة بالقبة، توضع فيها هدايا الزوارالتي غالباً ما تكون من الحبوب أو ما شابهها. بدأ النيل هنا في الانحسار ولذلك تركناه وسلكنا طريق الجبل، حيث التقينا بمجموعة من التكارنة أتوا لزيارة الشيخ عكاشة وهم في طريقهم إلى الحج بمكة. عند الساعة الخامسة توقفنا في مكان جميل يزرع فيه الذرة قبالة جزيرة كولُب. وكل ما شاهدناه في هذا المكان كان جميلاً وجديراً بالتقدير لروعته.

الثلاثاء الرابع من سبتمبر 1821م

وفي صبيحة هذا اليوم غادرنا هذا المكان ، وظللنا سائرين مدة ثلاث ساعات متخللين الجبال؛ لتفادي طريق النيل لتعرجاته . وعند رجوعنا إلى طريق النهر لمحنا

---

[1] . العبابدة : من القبائل العربية المستعربة وهم مشهورون بالتنقل بالجمال بين أبي حمد وكوروسكو عن طريق الصحراء، أصبح معظمهم أثرياء واستقروا في دنقلا إلى أن أخرجهم منها المماليك تقريبا في زمن رحلة لينان.

[2] . توجد بقايا آثار لكنيسة قبالة عكاشة الغربية. من المعروف أن عكاشة الغربية مشهورة بالينابيع ذات المياه الحارة، وهذا النوع من المياه كان مرغوبا في ذلك الزمان.

في واجهة الوادي جبلاً [1] يبدو في شكله كأنه هرمٌ في وسط السهل. يقع هذا الجبل في مكان بعيد غرب النيل وشكله حقاً ملفت للنظر. وشاهدنا مناظر جميلة لأشجار النخيل والمزارع. في وادي سركمتو هناك جزرٌ كثيرة تكوِّن شلالاً يسمى دال. وتوجد مجموعة كبيرة من السكان في سركمتو. يقطنون الأكواخ وسط أشجار النخيل والأراضي المزروعة الممتدة لمساحات أكبر من التي شاهدناها من قبل. وتوقفنا في وسط الأشجار في مكان يدعى فركة.

الثلاثاء الرابع من سبتمبر بتنا على مسافة بعيدة من موقراكة.[2]

وبعد مغادرتنا للمكان سرنا طويلاً في سهل بالقرب من النيل. الجبل الذي رأيناه في الصباح بدا لي كأنه في المكان نفسه، ويرجع ذلك للانعطافات في مجرى النيل. وصلنا موقراكة في الساعة الخامسة بعد مسيرة ساعتين ونصف. قبل دخولنا في وسط أشجار نخيل هذه الناحية شاهدنا على شمال الطريق أنقاض دير مبني من اللّبِن يقف على تلة مرتفعة. ومنطقة موقراكة مليئة بأشجار النخيل والأراضي الزراعية، وبها عددٌ مقدرٌ من السكان؛ إلاّ أنّ الأعداد الكبيرة تسكن في الجزر التي بها معظم البيوت والأراضي الزراعية.

من هذا المكان وحتى العمارة[3] يجد المرء أشجار النخيل والأراضي المزروعة والقرى. وقبل دخولنا إلى العمارة مررنا بضريح شيخ مشيَد بطريقة جيدة ومطلي بالجبص[4]. المنازل كذلك تبدو أحسن شكلاً من سابقاتها. أهل هذه البلدة يخافون من

---

[1] . ربما هو جبل ضنب الكلب.

[2] . توجد في موقراكة كنيسة مسيحية مبنية من الطين اللّبِن تعد من الكنائس القلائل المحتفظة بسلامة مبانيها في السودان.

3 . يوجد معبد من الحقبة المروية في الجهة الشرقية للنهر ولكن كل معالمه اندثرت الآن إلا من بعض بقايا للطوب وعمود أسطواني من الحجر. أما الفخار ، على قلته ، فكله من الطراز المسيحي. يبدو أن لينان لم يشاهد المدينة والمعبد المغمورين تحت الرمال في الضفة الغربية والمؤرخين لزمن المملكة المصرية الحديثة.

4 . توجد قبة في قرية العمارة تنسب للشيخ مغير. عتب القُبة من الحجر ومزخرف بزخرفة مسيحية مما يشير بوجود مبنى مسيحي هنا في وقت من الأوقات.

الجنود الأتراك، لذلك عندما شاهدونا فروا من حولنا ، نساءً ورجالاً وأطفالاً مما جعل التحدث مع أيّ واحد منهم أمراً في غاية الصعوبة. عندما حان المساء توقفنا بالقرب من ضريح الشيخ بحثاً عن علف لإبلنا، لكن على مدّ البصر لم نجد شخصاً لنتحدث معه. وبعد جهد جهيد وجدنا رجلاً وأخبرناه بحاجتنا لبعض العلف ليخبر الآخرين بذلك ، ولكنه لم يجد لنا شيئاً، والسبب أن أهل هذه المنطقة عندما شاهدونا من بعيد أخذوا أغنامهم وحيواناتهم وهربوا بها إلى الجبال باعتبارنا أعداء لأننا أغراب بينهم.

بعد موقراكة ما عدنا نرى جبالاً بالقرب من النيل، وفي العمارة كان بعض منها متناثراً في أماكن بعيدة.

الأربعاء الخامس من سبتمبر 1821م

يقع المعبد الذي يبعد قليلاً من النيل في سهل، الأرض التي بُني عليها أكثر ارتفاعاً من غيرها، وتوجد في نواحيه أنقاض مدينة صغيرة . والناظر للمعبد يشاهد ستة أعمدة غير مكتملة في بنائها وتشييدها، ومبنية من اللبن وأساسها من الآجر المحروق مما يؤكد أن هذا المعبد ليس موغلاً في القدم. من جهة أخرى لحظت أن أحجام أعمدة هذا المعبد غير متناسقة وأن الكتابة الهيروغليفية المنحوتة عليها ليست بالجيدة، وأن ترتيب هذه الأعمدة لا يشبه أي نوعٍ من تلك التي رأيتها في مصر. لم أستطع أن أتبين في أي ناحية يقع مدخل المعبد، وأظنه في الجهة المقابلة للأعمدة. ومن المدهش أن هذا الصرح بالرغم من كبر حجمه لم نر إلا خمسة أو ستة من الحجارة التي توجد أسفل الإفريز، وهي من أنواع الحجارة الهشة أو من نوع الحجارة الرملية مما جعلني أفترض أن المعبد لم يكن مبنياً من الحجارة ، خاصة أن جدرانه من الطوب.

بعد التمعن في الأشكال الهيروغليفية تبين لي رداءة الكتابة التي تظهر للعيان من أول وهلة، وكذلك كانت أشكال الشخوص بدائية في نحتها وغريبة في لبسها وبالأخص في توزيعها. وتوجد على طول هذه الأعمدة لوحات تفصلها خطوط أفقية، وأربع لوحات على عرضها تفصلها خطوط رأسية؛ فاللوحات في أسفلها تحتوي على شكلي شخصين ذوي ثديين متدليين وبطن كبيرة كتلك التي نراها في معظم الآثار في

مصر. ولحظْتُ من رسمي لخريطة هذا الصرح أن المسافة بين العمودين الثاني والثالث أكثر اتساعاً من غيرها، مما يؤكد أن المدخل من الجهة الشمالية الغربية.

الخميس السادس من سبتمبر 1821م

وفي غداة اليوم الثاني من وصولي إلى العمارة قررت الرحيل عنها باكراً إلى جزيرة صاي ، وهنا بدأ النيل في التعرجات بين واديين كبيرين قاحلين. توجد على ضفاف النيل أشجار النخيل وأراض مزروعة وعدة قرى، والسهل الذي يوجد في الجهة الغربية لا يحده أي جبل. وفي الجهة الجنوبية التي تقع فيها جزيرة صاي لمحنا من على البعد عدة جبال متفرقة في جهة الشرق.

وصلت جزيرة صاي عند الساعة العاشرة وكنت أعتقد أنني سأجد مركباً كما قالوا لي، ولكن خاب أملي ولم أجد الراموس[1]. وفي هذا الجانب من النيل لا توجد قرية أسأل أهلها طوفاً أعبر به النهر. ومع ذلك وجدت أهل هذه الناحية منتشرين على الرصيف. و كانت لدي رغبة كبيرة في أن أعبر النهر سباحةً، ولكن كان النيل في هذا المكان واسعاً وكان تياره قوياً . وبعد عبوري النهر وجدت نفسي في جزيرة من الجزر وحيداً وبدون ملابس. أدركت حينها بأني لا أستطيع أن أواصل سيري إلا بعد أيام عديدة . وقررت أن أتجاوز هذه الجزيرة مواصلاً مسيري ، فعدت إلى دنقلا على متن مركب عابدين كاشف[2]. رأيت في الجزيرة (صاي) أطلالاً لمدينة كبيرة محاطة بالأسوار المبنية باللّبن، ولحظتُ أيضاً أحجاراً مقطوعة في وسط المدينة[3]. هذه الأسوار تمتد حتى ضفاف النيل، وفي خارج المدينة في الناحية الجنوبية توجد عدة منازل.

غادرنا جزيرة صاي عند الساعة الثالثة بعد الظهر، وكل النواحي التي شاهدناها بجانب النهر كانت مغطاة بأشجار النخيل والزراعة. وجدت بالمنطقة التي انحسر عنها

---

[1]. ملاحظات لينان: الراموس عبارة عن مركب يصنع من البوص واليقطين المجفف يربطان مع بعضهما البعض. وفي بعض الأحايين يصنع من قطع الخشب .يضعه النوبيون أسفل بطونهم ويعبروا به النهر بسهولة.

[2]. عابدين بيه أرناؤوط: ضابط ألباني وهو أحد أصدقاء محمد علي، عُين برتبة ملازم أول في جيش إسماعيل باشا، وأبلى في القتال في معركة كورتي، وعندما غادر الجيش إلى سنار أصبح حاكماً للمنطقة ما بين حلفا ومروي.

[3]. يرجع تاريخ القلعة الموجودة في جزيرة صاي ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر الميلاديين.

النيل بقايا سور ردئ مبني بحجارة رُبطت مع بعضها البعض بتراب مخلوط بالرمل .[1] واكتشفت أن هذا السور لم يكن إلا سوراً لدير. توجد بعد جزيرة صاي جزيرة أخــرى صغيرة لكنها مخضرة بالزراعة ومكتظة بأشجار النخيل [2]. والآن نحن على مقربة من وادي إدريس.

الجمعة السابع من سبتمبر 1821م

غادرنا وادي إدريس باكراً ولم نلحظ شــيئاً ذا جدوى حتى صولب إلا بعض الأديرة المبنية من الطين،[3] ولم أر جبلاً واحداً في الناحية الشرقية لكن شاهدنا بعض الجبال قبل وصولنا إلى صولب تمتد حتى ضفة النيل. ورأيت بعض الأطلال الجميلة في صولب[4] التي يطلقون عليها كذلك اسم "جيورجيا" ولكن لم أستطع الوصول إليها لمعاينتها. هذه الأطلال لمعبد مصري جميل ذي أبعاد كبيرة. وكان عزائي الوحيد أنني عندما أصل إلى دنقلا يمكنني الوصول إلى هذه الأطلال، لأنها لا تبعد أكثر من مسيرة يوم ونصف اليوم. وفي منتصف النهار توقفت في إراو[5] حيث توجد أطلال دير صغير.

عند الساعة الثالثة بعد منتصف النهار غادرنا هذا المكان مــستغلين الطريــق الجبلي حيث مررنا بمكان لا يمكن الوصول إليه عن طريق محاذاة النيل. عندما عــدنا للنهر رأيت من الناحية الأخرى للنيل على قمة الجبل أطلال دير مبني من اللبن، يبدو

---

[1] . ربما بقايا كنيسة صواردة.

[2] . إنها جزيرة نيلواتي.

[3] . يبدو أن لينان لم يشاهد بقايا معبد صادنقا في الضفة الغربية، وهو من معابد الدولة المصرية الحديثة بناه أمونحوتب الثالث على شرف زوجته الملكة تية. لم يبق منه الكثير؛ العمود الوحيد الواقف منه يشكل علامة بارزة في الفضاء الفارغ من حوله. انظر أدناه ص 186.

[4] . معبد صولب من أجمل المعابد المصرية في السودان ، بناه الملك أمونحوتب الثالث وهو مذكور في إحدى المخطوطات في طيبة (Thebes) ، وقد تم تخصيصه لعبادة الملك نفسه ولعبادة أمون.

[5] . إراو: هنالك بعض الغموض في هذا المكان من النص ، حيث أن إراو تقع على بُعْد خمسة أميال شمال صولب، فكيف يمكن أن يرى المعبد من هذه المسافة (خاصة أن وادينغتون وهانبري سارا مسافة ساعتين ونصف للوصول لصولب وهما متحركان من إراو) . قد يكون لينان رأى صادنقا وظن أنها صولب وعليه يبدو أنه لم يتوقف عند إراو ولكنه توقف بالقرب من واوا.

أنه كان كبيراً ولكن لم يتبق من آثاره إلا جدار واحد مازال شامخاً. وليس بعيداً من هذا الدير هناك ديرٌ آخر ولكنه أصغر حجماً. واصلنا السير حتى المساء وتوقفنا للمبيت في أقر وهي قرية صغيرة وجميلة منازلها مشيدة من الحصير. وأمامنا على الشاطئ الآخر، وعلى أحد الجبال بعض الأطلال لكنها تبدو قليلة الأهمية. وفي طريقنا شاهدنا مجموعة من طيور الحجل[1] التي التفت حولنا مسببة لنا بعض الضيق، فاصطدنا منها الكثير.

السبت الثامن من سبتمبر 1821م

وبعد مغادرتنا في الصباح لهذه القرية سلكنا طريق الجبل لتفادي الممرات الضيقة. كان الطريق من خلال وادٍ جميل ملئ بالعشب والشجيرات الصغيرة والطيور والغزلان. وبعد ساعة ونصف من السير وصلنا إلى العمارة [2].على الجانب الآخر من النيل وعلى قمة جبل رأينا أطلال قلعة عتيقة [3].

لهذا المكان منظرٌ خلابٌ مما جعلني أترك الإبل تواصل سيرها وأذهب إلى قرية قريبة من هذا الموقع. وعندما وصلت إلى هذه القرية كل من رآني من أهلها صرخ وولّى هارباً. والتقيت بأحد الرجال وسألته عن السبب، ولم أفهم ما قاله لي لأنه لا يجيد اللغة العربية ، ولكن فهمت منه أن إحدى الفتيات رأت أحد الجنود ولاذت منه بالفرار. ويعتقد الرجل أنها سقطت في النيل وهم الآن يبحثون عنها. بالتأكيد عرفت الجندي الذي يتحدثون عنه والذي سبب لها الفزع ؛ إنه الدكتور الذي أراه وهو يتمشى! فطلبت منه أن يصطحب الفتاة التي كانت ترتعش وهي بصحبة والدها الذي كان يقودها من يدها، أو بالأحرى يجرها من يدها ، ووالدتها كانت تمشى خلف زوجها، وفي عيونها خوف ووجل. كانت هذه الفتاة الصغيرة في غاية الجمال. وبما أنهم كانوا يعتقدون بأنني

---

[1] . كان وادينغتون (Waddington) وهانبري (Hanbury) قد لاحظا أعدادا كبيرة من الطيور ذات الأجنحة الطويلة في هذه المنطقة ، في الغالب الأعم هي طيور القطاة.

[2] . لفظة عمارة تعني منطقة معمورة، وبما أن كثير من القرى يطلق عليها هذا اللفظ فليس بالضرورة أن اللفظة هي اسم لبلدة من البلدات . في الواقع لا توجد قرية بهذا الاسم في هذه الناحية ؛ يبدو أن لينان وصل إلى قرية تسمى الآن سادين فانتي.

[3] . إنها قلعة تيناري ، وقد رسمها لينان. يبدو أنها مبنى جميل محصن يقوم على جرف عال يشرف على النيل.

جندي فقد دهشوا كثيراً عندما رأوني أقدم هدية لهذه الفتاة عبارة عن قرطين وعقدين من نحاس . وفي تلك اللحظة كان الناس يتساءلون عن اسمي حتى يتذكرونني. ولم يتخيلوا أن جندياً يفعل مثل هذا الصنيع ، وهم مصيبون في ذلك. وما كنت أفهم بأن جندياً يفعل مثل هذا الشيء حتى أصدقهم، بل على العكس كل الناس كانوا ينظرون إلى هذه الهدية بأنها ثروة كبيرة وشكروني على ذلك وكانوا يهتفون باسمي، وبالفعل أصبحت هذه الفتاة من أغنى النساء بالمجوهرات . أما بالنسبة لي فكانت علبة المجوهرات هذه تساوي قرشين فقط من القروش المصرية.

بعد العمارة مررنا بعقبة أخرى وقابلنا فيها بعض الجلابة الذين أتوا من دنقلا. إن تعرجات النيل كثيرة في هذه المنطقة وهو يتخذ مجراه من ناحية الغرب. وشاهدت في أعالي منطقة صولب جبالاً تبدو شاهقة وذات ألوان رمادية وسوداء داكنة، ولا توجد صخورمثل التي وجدناها في شلالات وادي حلفا. وعلى ضفاف النيل وفي منتصف النهار عند جزيرة تونقي وجدنا قبة شيخ في وادي أبو ساري. إنها قبة مبنية من الطين وتحيط بها أشجار السنط ولا يسمح بأخذ حطب الأشجار لأنها موجودة على الضريح. وتوجد على أغصان هذه الأشجار مجموعة من الحبال المتدلية.

واصلنا المسير بعد الظهيرة ومررنا ببعض العقبات الصغيرة، ولأول مرة أشاهد رجلين من أهالي تلك المنطقة يمتطيان حصانين لكل منهما سرج يشبه سروجنا، وهي من نوع سروج جنود الخيالة. وهذه الحصين جميلة جداً وكانت تركض بسرعة فائقة.

الأحد التاسع من سبتمبر 1821م

في الصباح مررنا بعقبة صغيرة ، وكان الطريق الذي سلكناه يمر من خلال وادٍ صغيرٍ مخضرٍ. وعند خروجنا من هذا الوادي وجدنا أعداداً كبيرة من أشجار النخيل ومجموعة من الجزر المخضرة، وفي هذه المنطقة انتهت سلسلة الجبال التي مررنا بها. وواصلنا السير في هذه المنطقة المخضرة حتى وصلنا إلى تلة صغيرة توجد عليها أطلال لقرية وآثار قلعة مبنية من اللّبن يحيط بها سور. وقبل وصولنا إلى هذا المكان شاهدت أيضاً أطلال قرية صغيرة أخرى مبنية من الحجارة الخشنة. وجدنا بعد ذلك

أرضاً جرداء ممتدة وسرنا فيها حتى منتصف النهار. وهناك في نهاية هذه الأرض الجرداء زراعة قليلة جداً، وتلة صغيرة [1] تمتد إلى داخل النيل، في أعلاها أطلال مبنية من الحجارة وفي أسفلها مقابر مبنية من الطين، وعلى مقربة منها قرية مليئة بأشجار النخيل. قبل وصولنا إلى كوكا شاهدت على الجانب الآخر من النيل وعلى قمة أحد الجبال أطلالاً لمدينة صغيرة تسمى سيسي[2]، بينما توجد في الناحية الجنوبية مجموعة من الأعمدة المصرية. توقفنا هنيهة تحت أشجار النخيل لكن كان لابد لنا أن نخرج من هذا المكان بسرعة لأنه مليء بملايين الأرَضة (النمل الأبيض) التي التهمت أغراضنا ولاسيما أنه من قبل قد قرَضَت عدة أشياء منها بنطالي عندما كنت مستلقياً على الأرض؛ ولذا خشينا أن تسبب لنا أضراراً أكثر، فغادرنا. وفي أثناء سيرنا مررنا بصخرة بالقرب من النيل شاهدت على سطحها رسومات تصور خيالة يحملون رماحاً في أيديهم، كما شاهدت رسومات لأبقار ذات قرون طويلة، كل هذه الأشياء رسمت على الصخر على غير انتظام [3]. هناك أيضاً رُسومات لمركبين جميلين على نهج رسوم الآثار المصرية. وبعد هذه التلة سرنا في سهل جميل مخضرٍ تغطيه أشجار النخيل ومأهول بالسكان. استقر بنا المقام بالقرب من فريّق وكنت حريصاً على أن أنام بعيداً عن الأرض المزروعة لكي أتفادى الأرَضة .

الاثنين العاشر من سبتمبر 1821م

---

[1] . لا يوجد في المنطقة أي تلال تتناسب مع وصف لينان، لكنه بالتأكيد في منطقة دلقو الآن.

[2] . سيسي: موقع أثري لمدينة ومعابد الأسرة المصرية الثامنة عشرة ، توجد بها ثلاثة معابد ولكنها مهدمة، بناها أمونحوتب الرابع، الذي أصبح اسمه فيما بعد أخناتون. ثم سيتي الثاني (Sethos ii). وهذا الموقع اكتشفته جمعية الاستكشاف المصرية (Egypt Exploration Society) قبل حرب 1939- 1945م.

[3] . هذه الرسومات على صخور في سابو، نحتت على صخرة من الحجر الرملي تشرف على الطريق الحديث. في الطرف الشمالي من الصخرة تشاهد مخربشات هيروغليفية ؛ لكن ذلك الجزء من الرسومات الذي يصور خيالة بسيوفهم وكلابهم والذي وصفه لينان، يعود لتاريخ متأخر، فهو يؤرخ للعصور الوسطى. هناك أيضاً رسم لأسد تصاحبه كلمات إغريقية ، لا شك أنه يؤرخ للفترة المسيحية. (انظر أركل : A.J.Arkell, J.E.A. vol 36 , p. 35).

في صباح هذا اليوم وعند منعطف النيل وبالقرب من المكان الذي قضينا فيه تلك الليلة، رأيت جبلين على ضفاف النيل يبدوان غريبي الملمح من ناحية التكوين؛ فهما متباعدان عن بعضها البعض كل البعد وعن الجبال الأخرى [1]. أحد هذين الجبلين يبدو في شكله مخروط كقالب السكر والأخر أقل ارتفاعاً منه وشكله مربع. وعلى قمة الأخير هذا توجد أطلال لبعض المساكن المبنية من الطين، ونلحظ في منحنى هذين الجبلين آثار قرية كانت مأهولة بالسكان وتبدو أنها من الطراز القديم.

ويشكل النيل هنا عدة جزر، فالجانب الشرقي الذي سلكناه يشكل رافداً جميلاً من روافده ، وكالعادة توجد في هذه المنطقة بعض الطرق الحرجة. وعند منتصف النهار أخذنا قسطاً من الراحة تحت أشجار السنط الممتدة حتى نهاية الجزر، ورأيت في هذه الناحية جبلاً واحداً.[2] وبعد الظهيرة سرنا حتى تجاوزنا قرية قود حيث أخذنا قسطاً من الراحة، وطيلة هذا الوقت كنا نسير في سهل فسيح يمتد بعيداً عن ضفتي النيل وخال من أي مرتفعات.

الثلاثاء 11 من سبتمبر 1821م

في صباح هذا اليوم سرنا حوالى ثلاث ساعات ونصف الساعة في سهل لم نشاهد خلالها شيئاً يستحق الذكر. ومررنا بالقرب من بعض الصخور في جزيرة تُمبس.[3] ورأيت بعض الرسومات ذات الأشكال الهيروغليفية على أحد الصخور الواقعة على الجانب الأيمن من الطريق، فتركت القافلة تسير في سيرها وذهبت مع دليل الرحلة

---

[1] . " العذرواتان" في نُوري. على الجبل الشرقي يشاهد نقش هيروغليفي عبارة عن فرمان للملك سيتي الأول (1313-1292 ق.م.). الهدف من الفرمان بحسب النص هو " حماية المنشآت الملكية العظمى وساكنيها والممتلكات المتعلقة بها" انظر غريفيث: (J.E.A. vol. 13, pp. 193-208).

[2] . جبل صادق.

[3]. يوجد هنا نقش طويل بالهيروغليفي يعرف بنقش الحدود للملك تحوتمس الأول ، بالإضافة لنقوش أخرى منحوتة على الصخرة الجرانيتية تشمل أسماء وألقاب تحوتمس الأول وتحوتمس الثاني وأمونحوتب الثاني. يذكر نقش الحدود (ترجمه بريستد) أن تحوتمس الأول (1535-1501 ق.م.) وفي السنة الثانية من حكمه هزم السودانيين وغزا بلادهم حتى الشلال الثالث وأنه شيد لجنوده معسكرا محصنا في تمبس (يلاحظ بقايا قلعة على الجزيرة). يفتخر تحوتمس بأن إمبراطوريته كانت تمتد من هذا الموقع في الجنوب وحتى نهر الفرات في الشمال.

أبحث حول هذه الصخور. فوجدت لوحتين عليهما بعض الرسومات والخطوط الهيروغليفية. واحدة من اللوحتين كانت أسفل الصخرة وحجمها أكبر من اللوحة الأخرى، وشكل الكتابة فيها واضحٌ، وهي في الجانب الجنوبي الغربي من الصخرة. وتبدو قديمة جداً لأن نوعية الحجر الذي صنعت منه مصقول بطريقة المنحوتات القديمة الموجودة في تلك النواحي. فالكتابة الهيروغليفية واضحة وذات أشكال دائرية، وهذا لا يبدو غريباً في طبيعة تلك المنطقة القريبة من النيل حيث تهب الرياح من جهة الشمال وتجرف الرمال من على سطح الصخور. في الجهة الشمالية من هذه الصخرة توجد لوحة أخرى تصور قرباناً يقدم للملك، الذي يوجد تحته شكلان لسجينين مقيدين من أياديهما ومربوطين على عمود. وتوجد أيضاً نقوش هيروغليفية أعلى وإلى جانب هذا الشكل. وداخل إطار بيضاوي ، أي الخرطوشة [1]، كتب الاسم مع وجود ريشتين في الأعلى، وفي وسطه يوجد قرص مجنّح. هذه اللوحة تبدو قديمة جداً ومنحوتة بطريقة غريبة ومجوَفة، والخط الذي يشكل الرسم يأتي في الجزء الأخير من النحت.

وفي الجهة الشرقية للطريق يوجد شكلان ومخطوطات ولكنها ممسوحة. وجدنا اسمين لسيدين انجليزيين [2] منحوتين في هذا الجانب، ربما يكونان وصلا إلى هذا المكان في المساء، لأنهما لا يمكن أن لا يريا هذه الآثار إلا إذا كان هناك مانع مثل الظلام ، فهما لم يذكرا لي شيئاً من هذا القبيل في القاهرة، لأنهما طلبا مني أن أرسم لهما ما رأياه حسب ما لديهما من كروكي وتحدثا عن البركل ونُوري فقط . بالفعل رسمت لهما ما طلبا من رسومات وكانت لمناطق نوبية، حيث وضعت ضمن أعمالهما بالتأكيد. ولم يشاهدا تُمبس ولو شاهداها لطلبا مني في القاهرة أن أرسم لهما المنظر المأخوذ .

في اللحظة التي رأيت فيها هاتين اللوحتين بدأت برسمهما ولم أستطع أن أكمل الرسم في يوم واحد، وبعد منتصف الظهيرة قررت أن أطلب من رفقتي أن يتوقفوا عن

---

[1] . الخرطوشة تخص الملك أمونحوتب الثالث.

[2] .في الغالب الرجلان المعنيان هما وادينغتون وهانبري اللذان مرا من هذا المكان في يوم 22 من شهر نوفمبر سنة 1820 حيث يقول وادينغتون: " نحن أول إنجليزيين شاهدا هذا الموقع ، وربما نكون الأخيرين " . لقد شاهدا بالفعل النقوش الموجودة في تمبس لكنهما لم يصفاها كلها.

المسير، ولكنهم استمروا في سيرهم لمدة ساعتين لأنهم لا يمكن أن ينتظروني طيلة هذا الوقت؛ لذلك عسكرت تحت شجرة على ضفة النيل . وطيلة هاتين الساعتين من السير من تُمبس كنا نمشي في سهل ممتد لا يحده أي جبل. وعلى ضفاف النهر غابات من أشجار السنط وأشجار الدوم وبعض المساحات القليلة التي يمكن زراعتها. وشاهدت جزيرة بدين وهي مغطاة بأشجار النخيل ومأهولة بالسكان، مخضرة وزاهية الحُلة . الجهة الغربية من الجزيرة بها كثيب من الرمل ، أما الناحية التي مررنا بها فهي بعيدة عن النيل وتوجد بها أعداد كبيرة من أشجار الدوم وسط كثبان الرمال.

في المساء تحولت من الموقع الذي كنت أنام فيه لأنني لمحت عدداً كبيراً من الأرَضة اللعينة، وسرنا بعد ذلك بعيداً في الرمال، ولكن لم نبتعد كثيراً عن الأشجار التي نستظل بها في صباح اليوم التالي.

في الصباح شاهدت في هذا السهل شيئين مرتفعين ، وباستخدام المنظار بدا لي أنهما إما أن يكونا صخرتين أو أنقاضاً ترابية.[1] وفي المساء امتطيت بعيراً وذهبت إلى هناك برفقة الدليل حتى أتبين هذين الشيئين. وعندما دنوت منهما وجدتهما كومين من الحجارة والتراب، مما جعلني أستغرب لوجود هذه الأنقاض في مثل هذا المكان. هذه الأكوام تقع في الناحية الغربية أكثر قرباً من النيل ، ولحظت أن الأرض مغطاة بأكوام من بقايا الفخار واللبن فظننت أن هذه الأنقاض ربما كانت هرماً. في الحقيقة عندما اقتربت من هذا المكان وجدت أن هذه الأنقاض مبنية من الطوب اللبن الذي يزيد طول الواحدة منه عن القدم ومصنوع من الطين والقش وتمّ تجفيفه على حرارة الشمس.

أعتقد أن هذا الهرم[2] من شكله كان يتكون من طابقين كما هو الحال في ميدوم، ولكنه كان مهدماً تماماً بفعل الأمطار وبفعل الأعراب الذين كانوا يأخذون منه اللبن ليخلطوه مع التربة التي يزرعونها، ويستعملون ذلك كسماد للأرض، ولذا لم نر طوبةً

---

[1] . إنهما الدفوفتان في كرمة (لفظة دفوفة لفظة نوبية تعني خرابات.).

[2] . الدفوفة الغربية في كرمة ليست هرماً ولم تكن مدفنا . ولهذا من الصعب أن نفهم كيف أن لينان قال إن المبنى ذو شكل هرمي. وفي رسوماته يظهر شكل الدفوفة كما هو عليه الآن. ربما كانت الدفوفة مركزاً محصناً استخدم للإدارة والتجارة أثناء فترة المملكة المصرية الوسطى، ولكن هذه الفرضية غير مؤكدة.

واحدة أسفل الهرم. لم تكن أسوار هذا الهرم في شكلٍ عموديٍ حتى يتحمل أن يكون من طابقين، ولا أرى بأن تُسمَّى مثل هذه الأطلال التي بنيت بهذا الشكل هرماً، ولكن هـذا هو الاسم المتفق عليه لمثل هذه المقابر بهذا الشكل حسب تسمية ملوك مصر القـدماء. ولكنني أشك بأن هذه الأنقاض كانت لمقابر، لأنني عندما أجد مثل هذه الأنقـاض فـي بعض النواحي غالباً ما أجد بقايا لجثث آدمية، ومن المدهش أنه لا يوجد في هذا السهل غير هذا الهرم وآخر من النوع نفسه في الجهة الشرقية يبعد عنه حوالى ثلاثة أميال.

كان مدخل الهرم من الناحية الغربية ، وأعتقد أن وضعيته كانت على الطـراز المألوف في هذه النواحي. كان محطماً تماماً لدرجة لا يستطيع المرء تمييز معالمه عدا أنقاض الحجرات المتداخلة. في الأسفل رأينا على الجدران مجموعة من الفتحات التـي كانت تستعمل بلا شك كمنافذ للتهوية. من الناحية الشرقية يوجد عدد كبير من المبـاني من الآجر المحروق. ويعتقد أن واجهة الهرم كانت في هذه الناحية.

الأربعاء 12 من سبتمبر 1821م

في الصباح الباكر امتطيت البعير وبصحبتي الدكتور ريتشي واثنين من العبابدة لزيارة الهرم الذي رأيته بالأمس في الجهة الشرقية. ووصلنا إلى هنـاك بعـد مـسيرة ساعة. هذا الهرم ليس عالياً وحجمه ليس كبيراً كما الهـرم[1] الـسابق، ولكنـه مبنـيٌ بالطريقة نفسها، وما زالت أنقاضه باقية لأن الأعراب لم يأخذوها. في هذه المـضارب رأينا بعض الأنقاض المتناثرة ولكنها ليست كثيرة. أعتقد أن مدخل هذا الهرم من الناحية الجنوبية، وكانت هذه الناحية مهدمة وغير موجودة، وشاهدت جـدارين داخـل الهـرم يشكلان ممراً، ويبدو أن هناك حجرة مبنية من الطوب المحروق يمين هذا الممر. فـي وسط الهرم يوجد حجران كبيران، إما كانا باباً لهذه الحجرة أو سقفاً لها، لكـن لـم أر

---

[1] . الدفوفة الشرقية تبدو أصغر في الحجم، وفيها معبد جنائزي وحواليها قبور كثيرة من بينها كومات ضخمة مدفون بهـا الشخصيات المهمة، أكبرها بعرض 100 متر في القطر ومترين ونصف المتر في الارتفاع. كل مقبرة مرتبطة مع الأخرى بأسوار من الطين يتخللها ممر طويل. ترقد جثة زعيم الأسرة على سرير في غرفة يطل بابها على الممر ، وتـدفن معـه زوجاته وهن أحياء . هنالك حوالى مائة أضحية بشرية في هذه المقبرة قدمت على سبيل القرابين.

شكلاً ولا نقشاً ولا أثراً في هذا المكان. لمحت ممراً ضيقاً بين الجدران يحوي البنيان كله وممرات أخرى عريضة وبشكل مائل حول الأسوار. توجد كمية كبيرة من الحجارة المكومة أمام الجهة الجنوبية للهرم حيث أخبرني الدكتور بأنه رأى قاعدة عليها نقوش هيروغليفية ووجد كتفين لتمثال صغير من الحجر الأسود تحمل الطابع المصري. وفي نواحي هذا الهرم لم نر شيئاً آخراً غير سهلٍ ممتدّ لا تحده حدود.

ذهبتُ من هذا الهرم إلى تُمبس التي تقع على تلة، ومن هناك رأيت الكتابة الهيروغليفية التي لمحتها في اليوم السابق، وقمت برسم كل ما شاهدت ورسمت منظراً عاماً لهذه الصخرة. وفور فراغي من الرسم ذهبت للجانب الآخر من الطريق عسى أن أجد شيئاً آخراً أرسمه، وكنت أسير بصعوبة وسط هذه الصخور الجرانيتية، وأخذت قطعة من هذه الصخور لأتفحصها. وفي أثناء ذلك وقع بصري على تمثالٍ[1] جميل ودقيق الصنعة، ولكن مع الأسف كان رأسه مشوهاً . ويبدو أن الذي نحته كان يود أن يحمله إلى أرقو لأننا وجدنا فيها هذا النوع نفسه من التماثيل أو قد يكون أراد أن يحمله إلى صولب أو جيورجيا. هذا التمثال مصنوع من الجرانيت، لونه وردي باهت يميل للبياض، ونقوشه رمادية. لم يكن مفرط الجمال إلا أن صناعته جيدة. رأينا داخل هذه المحاجر[2] مجموعة من الحجارة، وفي الجهة الجنوبية خارج هذه الصخور الجرانيتية رأينا أطلالاً تبدو أنها لمدينة كانت موجودة في هذا المكان [3].

يُعدُّ هذا المكان الآن حدود مملكة دنقلا ومحافظة المحس، وأحسب بأنه كان يمثل حدودها في الزمن السابق كذلك. الكتابات الهيروغليفية التي تخص هذا المكان والموجودة في هذه الحجرات تدل على أن هناك مدينة أو قرية كانت هنا، وأن العمال الذين بنوا هذه المدينة هم أنفسهم الذين كتبوا هذه الكتابات، كما هو الحال في المناجم

---

1. هو تمثال من الحجم الضخم لتهارقو أو تتويت أماني . رأسه عبارة عن كتلة عديمة الملامح. ربما استغني عنه قديما حال الفراغ من نحته باعتباره غير مقبول.

2. هذه الصخرة الجرانيتية البارزة ، التي تكون الشلال الثالث ، استخدمت كمحاجر خلال العصور المصرية والمروية.

3. هناك جبانة (مقابر كثيرة) كبيرة من الفترة المروية المتأخرة تقع في الجهة الجنوبية الشرقية للمحاجر ، لكن ، كما هو معلوم ، لا توجد مدينة.

التي رأيتها في شبه جزيرة جبل سيناء. في المساء عندما عدنا إلى المكان الذي نقيم فيه وجدت في غابات السنط أعداداً كبيرة من الغزلان، وعندما وصلت إلى المعسكر ذبح لنا الترجمان جدياً من الغزلان كان لحمه طرياً جداً.

مقاسات التمثال

م	الوصف	قدم	بوصة
1	من القدم إلى الرجل	2	5
2	من الأرجل إلى الخصر	4	6
3	من الخصر إلى الصدر	1	7
4	من الصدر إلى الأكتاف	1	3
5	من الرأس إلى ياقة القميص	1	8
6	الأيادي	4	11
7	عرض الأكتاف	1	4
8	قاعدة التمثال: الطول	1	3
9	العرض	1	6
10	الطول	3	9

الخميس 13 من سبتمبر 1821م

تحركنا بعد طلوع الشمس وواصلنا المسير حتى الساعة الرابعة عصراً. بعد ساعتين من سيرنا وصلنا إلى شمال جزيرة أرقو. طيلة هذا اليوم كنا نسير في الصحراء حيث السهول الممتدة من الرمال تتخللها أشجار الدوم. أما شاطئ النيل فقد كانت تغطيه غابات كثيفة من أشجار السنط والدوم والنخيل والأعشاب الطويلة التي تعرف باسم الحلفا. بعد هذه الخضرة توجد كثبان من الرمال حجبت عنا رؤية النيل عندما كنا خلفها. توقفنا قليلاً عند منتصف طول جزيرة أرقو تقريباً أيّ في أعلى المكان الذي توجد فيه التماثيل.[1]

---

[1] . تمثالان ضخمان يبلغ ارتفاع الواحد حوالى 7 أمتار، يعتقد أنهما يمثلان الملك نتكاماني؛ أحدهما مكسور لنصفين في الخصر. لم يتوقف لينان لمشاهدة التمثالين في هذا الأثناء لكنه قام برسمهما في رحلة العودة .

كانت جزيرة أرقو مأهولة بالسكان، حيث الأراضي الزراعية المخضرة والأرض المنبسطة المكسوة بالأشجار مما جعلها تبدو في غاية الجمال. توجد بأرقو أكثر من ألف وخمسمائة ساقية تسقي هذه الأراضي باستمرار.

الجمعة 14 من سبتمبر 1821م

غادرنا في الصباح، الباكر وسرنا في الصحراء نفسها التي مررنا بها بالأمس. قبل منتصف النهار وصلنا ماريقا، أو دنقلا الجديدة حيث يقيم الكاشف الذي أعرفه جيداً. وأنزلنا حمولات الإبل على تلة من الرمال، ونصبنا لنا خيمة، ووجدنا جثة لم يحسن دفنها، تنهش فيها الضباع ، فقمت بمواراتها.

سألت الدليل الذي برفقتنا عن موقع دنقلا وأطلعني على بعض المنازل المبنية من الطين التي توجد وسط أشجار النخيل والأدغال، ولكنني لم أتخيل أن هذه المنازل هي التي تكونت منها المدينة التي حدثني عنها الكثيرون. قمنا بإطلاق عدة طلقات نارية ولم يكن هناك ردّ على طلقاتنا هذه. وبعدها بقليل رأينا جنديين يمتطيان حصانين فصحنا فيهما فاستجابا لنا، وكانا يقودان رجالاً إلى مركب ويضربانهم بالكرباج، وكانا في عجلة من أمرهما ولكنهما أوقفا المركب لكي يصطحبوننا معهما، وكان أحدهما يسمى أميل أفندي هو عبدّ لعابدين كاشف وكان مسؤولاً عن دنقلا في غياب سيده، والآخر كان متعهد التموين، وكانا في غاية السرور عندما رأيانا وقدما لنا كل ما يمكنهما أن يقدماه من خدمات. بعد أن شربنا القهوة وقليل من الكحول تحركنا على متن المركب، وبعد نزولنا من المركب أعطونا حصانيهما لنصل بهما إلى قرية تبعد كثيراً عن النيل.

عندما وصلنا إلى منزل الأفندي أحسنوا معاملتنا، ووفروا لنا منزلاً مقابلاً لمنزله وحملوا كل أمتعتنا إلى داخل هذا المنزل، وكان أثاثه يتكون من أَسِّرة مصنوعة من السعف كبقية الأَسِّرة الموجودة في هذه النواحي. في المساء حضر إلينا الأفندي وهو يحمل حساءً مطبوخاً بعناية ليؤكد لنا كرمه وعنايته بنا مما جعلنا ننسى ما لاقيناه من عناء السفر.

الإقامة في ماريقا أو دنقلا الجديدة
"الطريق إلى البركل ووصف الآثار التي رأيناها"

السبت 15 من سبتمبر 1821م

تعتبر دنقلا الجديدة منطقة فقيرة ، يوجد بها منازل المماليك الذين فروا من مصر بعد المذبحة التي تعرضوا لها من محمد علي باشا، وهذه المنازل مبنية من الطين وحالتها بائسة. تقع هذه القرية في سهل غير صحي بسبب النباتات والأشجار التي تغطيه. وسكانها أثرياء وأقوياء البنية رغم فقر المنطقة.

قضيت اليوم الأول في ترتيب أغراضي ومشاهدة بعض النواحي في المنطقة. وفي المساء علمت بأن الكاشف سوف يأتي لزيارتنا مما طمأنني كثيراً.

الأحد 16 من سبتمبر 1821م

في صبيحة الغد قمت بزيارة لمنزل عابدين كاشف والذي يقع على ضفاف النيل، وقد قابلنا ببشاشة نادراً ما تجدها في بني جنسه. وطلب مني البقاء بضعة أيام في ماريقا ليشعرنا بأنه عاملنا معاملة طيبة وقام بواجبه على النحو الأكمل. وخرجنا منه بعد جهد جهيد، وحملت معي إلى المنزل مؤناً كثيرة حسب أوامره. وتوالت الزيارات إلينا بالرغم من أنني كنت متضايقاً منها ولكن يجب أن أكون كريماً خاصة تجاه الذين زرنا بيوتهم. زارنا الأفندي في المساء وقال إنه مكلّف من الكاشف أن نطلب ما نريد دون خجل. الأفندي هذا مولود في ألبانيا من خادمة حبشية، وكان رجلاً طيِب المعشر.

أتى عدد كبير من المماليك الذين فروا من المجزرة التي نفذها محمد علي باشا في زملائهم بالقاهرة، أتوا لزيارتي ، إنهم الآن في خدمة عابدين كاشف وهو يَكِنُ لهم احتراماً كبيراً. قالوا لي إنهم قد سمعوا قبل عامين بأن هنالك سيدين من الإنجليز كانا يريدان الحضور إلى دنقلا ولكنهما لم يذهبا أبعد من جزيرة صاي، هذان السيدان هما ويليام بانكس (Bankes) والسيد م. ب. هايد (M. B. Hyde). جدير بالذكر أن المماليك لم يسمح لهم بالرجوع إلى القاهرة . لكنهم ذكروا لي بأنهم يعاملون معاملة جيدة.

الاثنين 17 من سبتمبر 1821م

مكثت بمنزلي بغرض العمل.

الثلاثاء 18 من سبتمبر 1821م

أرسل إلينا الكاشف جياده في الصباح الباكر لكي نزوره. تحدثنا كثيراً عن الجغرافيا وعلم الفلك فوجدت معلوماته ضعيفة في هذا المضمار. بعد ذلك جلب لي بعض صغار المهور المحلية وعرضها عليّ، فوجدت مهرين منها في غاية الجمال، وحدثني عن أصول هذه المهور وأنها من الأنواع الأصيلة التي توجد في ديار الشايقية[1]. هذه الأنواع من الجياد عالية كأنها الإبل وضامرة وقوية وسريعة في العدو، وكانت تطعم لمدة تسعة أشهر من لبن الإبل، والثلاثة أشهر الباقية من السنة كان طعامها من قصب الذرة ، وكانوا يذهبون بها إلى ضفاف النيل لتشرب من ماء النيل[2]. وقال عابدين كاشف إنه يفكر في إرسال اثنين منها كهدية إلى السيد صولت (H.Salt)[3] القنصل العام الإنجليزي في مصر آنذاك، الذي كان رحالة وعالم آثار أيضاً.

مكثنا طويلاً في منزل عابدين وبعدها عُدنا أدراجنا إلى منزلنا.

الأربعاء 19 من سبتمبر 1821م

بعثت بهدية إلى عابدين كاشف وكلفت الترجمان لتوصيلها إليه وشكرني على ذلك وقال إنه سوف يأتي في المساء لزيارتي ، إلا أن الطقس حال دون ذلك لأن ريحاً عاتية هبت من جهة الجنوب.

---

[1] . قبيلة الشايقية: لغتهم اللغة العربية، وهم قبيلة عربية ومشهورين بأنهم محاربين أشاوس ، حاربوا جيش إسماعيل باشا بكل ضراوة.

[2] . ذكر ضابط أمريكي قاتل في جيش محمد علي بأن الملك نمر، مك شندي ، كان قد أهدى فرسين من هذه الجياد إلى إسماعيل باشا وكان ارتفاع الواحد منهما حوالى 18 شبراً!.هذه الخيول بالتأكيد مشهورة ، ومعظم الرحالة من هذه الفترة تحدثوا عن أنواع هذه الخيول والطعام الذي تتغذى عليه.انظر كتاب ج.ب. إنجليش (English) بعنوان:
A Narrative of the Expedition to Dongola and Sennar , page 117.

[3] هنري صولت هو القنصل البريطاني العام في مصر في ذلك الزمن. ويعتبر من علماء الآثار والرحالة.

الخميس 20 من سبتمبر 1821م

ذهبت في اليوم التالي لمنزل الكاشف لأطلب منه وسيلة السفر. وكان ذلك عقب تمارين العسكر التي كان الكاشف يحرص على حضورها دائماً. أخبرني بأنه أعد لـــي مركباً لهذا الغرض وأن السفر في يوم غدٍ، إلا أن الطقس كان سيئاً.

الجمعة 21 من سبتمبر 1821م

لقد كان الطقس سيئاً ولم نستطعْ ركوب المركب ، فقد هبــت ريـــاح جنوبيـــة وهطلت أمطار خفيفة وكانت درجات الحرارة لا تحتمل. وفي مساء هذا اليوم أرســلت الترجمان إلى منزل الكاشف وأبلغني بأن الحاكم سيأتي لزيارتي. في الحقيقة وبعد هنيهة من وصول الحاكم رأيت ملامح الغضب على وجهه لأن البيت الذي نسكن فيه لم يعجبه وقال لي: حتى هذه الساعة إنك لم تر الأماكن الجميلة في القرية، وطلب مني إن أردت أن أتعرف على هذه المعالم أن ينصب لي خيمة في الجهة التي يسكن فيها على ضفاف النيل. ولكننا قررنا المغادرة في صبيحة اليوم التالي.

السبت 22 من سبتمبر 1821م

في الصباح الباكر أرسل الكاشف الجمال والحصين فوضعت أغراضي عليهـــا، وذهبت إليه في منزله حيث أعطاني خطابات لكل الكشّاف والمشايخ الذين تحت إمرتـــه لكي يوفروا لي ما أحتاجه، ونبهني بطريقة خاصة بأن لا أبتعد عن ضفاف النيـــل لأن البشاريين يقومون ببعض السرقات وخاصة في هذا الوقت، لأنهم يخشون بأس الباشـــا لأنه أمرهم أن يرسلوا الإبل والحصين للجيش ولم يفعلوا ذلك، .لكنه قـــال يجــب أن لا أنزعج كثيراً لهذا الأمر.

في الساعة الحادية عشرة استأذنت الكاشف للإبحار. وكان قبلها قد أرسل لـــي طعاماً دسماً لوجبة الغداء . وعند إبحارنا لم تكن الرياح جيدة فقد كانت تقود المركـــب يمنة ويسرة، ولذا تمكنا فقط من الوصول إلى جزيرة آرتي. كان مركبنا كبيراً جداً ولـــم

يكن معنا سوى خمسة رجال. في المساء هبت علينا عاصفة ولكنها لم تستمر طـويلاً ، فقد هبت من جهة الجنوب وجلبت معها حرارة عالية جداً وغير محتملة.

الأحد 23 من سبتمبر 1821م

في الصباح هدأت العاصفة وبدأنا في الارتحال. الناحية الجنوبية من الجزيـرة مخضرة ومغطاة بأشجار النخيل كما هو حال الجزر دائماً، ولكن على ضفاف النيـل لا توجد غير بعض النباتات وأشجار السنط وباقي الأرض جرداء.

لمحت قرية الهنّات[1] (Hannat) التي أسسها المماليك حيث يوجد منزل محمد بيه المؤسس تأسيساً جيداً، وهذه القرية تمثل حداً لديار المماليك. ولمحـت أطـلالاً لمدينـة مسيحية صغيرة لا تبعد كثيراً عن هذا المكان وهي محاطة بسور محصن له أبراج في زواياه الأربع، وبها ممرٌ دائريٌ يحيط بالسور كله، وتوجد عدة منازل خـارج الـسور ومجموعة كبيرة من المقابر مبنية من الطوب المحروق والأحجار الخشنة فـي الجـزء الجنوبي. وبعد قرية صحابة لم أرَ أي أثر لزراعة ولكن على ضفاف النيل توجد أشجار السنط والأعشاب ومجموعة من الطيور مختلفة الأنواع، وقطعان من الغـزلان. ذبـح الترجمان غزالة وحملها إلى المركب.

في قرية تسمى تُيْتي توجد كثيرٌ من المنازل المهدمة ومنزلٌ واحدٌ مبنـي مـن الطوب المحروق. والطوب الذي بُنيت منه هذه المنازل تجده من النوع الذي يبلغ طوله قدماً ويبلغ سمكه ثلاث بوصات، وعرضه ست بوصات. ولم أستطع معرفة هوية هـذه البناية المنهارة كليةً والتي قام كاشف دنقلا بتحطيمها وأخذ طوبها لاستعماله فـي بنـاء منزله. وبتنا بالقرب من هذه الأكوام.

الاثنين 24 من سبتمبر 1821م

في اليوم التالي كانت الرياح هادئة ولذلك واصلنا السير في راحة تامة، ولحظت

---

[1] . ربما هي الخناق ، لكن لينان يبدو مشوشاً هنا. إن وصف القرية بأنها حد المنطقة (الحد الشمالي) التي كان يهيمن عليها المماليك ينطبق على حنك . وحنك تقع حوالى 40 ميلاً شمال هذه المنطقة.(تمثل الخندق الحد الجنوبي).

أن الضفة الغربية دائماً مغطاة بالغابات مما جعل الأهالي يعملون بمشقة لإيجاد أرض يزرعونها وسط هذه الغابات.

وصلنا الخندق[1] عند الساعة الثانية بعد الظهر.إنها قرية قديمة وكبيرة، وهي التي عسكر فيها الدفتردار بيه[2] قبل أن يذهب إلى كردفان. وبها الكثير من المنازل المهدمة . وفي الناحية الشمالية على ضفاف النيل توجد أنقاض لقلعة جزء منها مبني بالطوب المقطوع والآخر بالحجر الخشن، وجزء منها من الحجارة المقطوعة مما يؤكد بأن هذا المكان كان ذا أهمية كبيرة مقارنة بالأنقاض التي رأيناها من قبل، فكل ما رأيناه كان شبيهاً بطراز القرى القديمة التي وجدناها على ضفاف النيل. لكنني لست أدري إذا كانت هذه القرية مسيحية أم لا؛ لأنني لم أشاهد أي أنقاض لكنيسة بها، ولكنني أعتقد أن هذه القرية أنشئت في فترة سبقت قيام المسيحية في هذه البلاد. وجدت داخل هذه القلعة مزهرية كبيرة من الجرانيت، يبلغ ارتفاعها ثلاثة أقدام وعرضها قدم ونصف وذات شكل مخروطي وعليها كتابة هيروغليفية في سطر واحد. ولم أستطع تفحصها بدقة حتى أقوم برسمها. أوحت لي هذه المزهرية بأن هناك أثراً تاريخياً كان موجوداً في هذا المكان من نفس الطراز، ولذا بحثت كثيراً داخل القلعة وبين المنازل وخارج الأسوار ولكنني لم أجد هذا الأثر ذا الطراز المصري.

لم أندهش كثيراً لبناء قرية كبيرة في هذا المكان، فهي تبدو ذات أهمية للذي يسلك الطريق إلى كردفان، لأنها لا تبعد من كردفان أكثر من مسيرة أحد عشر يوماً أو اثني عشر يوماً فقط.

يقع معسكر محمد بيه الدفتردار بالقرب من القرية وفي الجهة الجنوبية. كان الدفتردار يعد نفسه للذهاب إلى كردفان لكي يلتحق بالجيوش التي تحت إمرته هناك.

---

[1] . حصن وقلعة الخندق: قد تكون شيدت أصلاً في الحقبة المسيحية ثم أعاد ترميمها الفونج . هناك ما يشير إلى أنها كانت مسكونة خلال الفترة المسيحية ، يشير إلى ذلك المقابر والفخار. باستثناء المزهرية التي تحدث عنها لينان (وهي مفقودة الآن) لا يوجد دليل مادي يشير إلى أنها سكنت في الحقب المبكرة ، هذا بالطبع استناداً على الشواهد السطحية فقط.

[2] . محمد بيه خسرو الدرامليي: أرسله محمد علي من مصر في قيادة جيش لفتح كردفان حيث غادر النيل من منطقة الدبّة متجهاً إلى كردفان في شهر أغسطس عام 1821م.

وغادر الجيش قبل أيام وكان يتكون من خيرة الجنود الذين أرسلوا لتنفيذ الفتوحات. وجدت في هذا المعسكر ابن الدكتور ماروكي (Marouki) طبيب الدفتردار الخاص، الذي ذهب مع البيه ، وهذا الابن في انتظار أن يلتحق بأبيه.

واصلنا السير حتى المساء . وفي القولد شاهدت أطلالاً لقرية يحيط بها سورٌ كبيرٌ، ولكن من الواضح أن العرب هم الذين قاموا بتشييدها، وهي في وسط الأشجار ويصعب رؤيتها والتعرف عليها من ضفاف النيل. باستثناء هذه القرية لم أشاهد شيئاً يستحق الذكر . فقررنا مواصلة السير على أن نتوقف لاحقاً. ضفاف النيل مستقيمة ومغطاة بأشجار السنط والنباتات مما جعل من الصعب أن نجد مكاناً يرسو فيه المركب. ووجدنا السواقي في وسط الأشجار التي تغطي أوراقها مياه النهر.

الثلاثاء 25 من سبتمبر 1821م

في الصباح مررنا بالقرب من جزيرة تقع مواجهة لقرية تسمى ناوى وهي تحيط بها من جهة اليمين والشمال. في الناحية اليسرى من هذه الجزيرة يوجد النيل بضفافه المخضرة المغطاة تماماً بغابات كبيرة.

حكوا لنا قصة غاية في الغرابة حول هذه الناحية وحول هذه الجزيرة على وجه الخصوص وسوف أقص عليكم ما رووه لي: هذه الجزيرة يسكنها أناس يسمَون الناويين ولديهم شيخ يسمى ناصر أم شامتو، يقول الناس عن الناويين أنهم سحرة وآكلي لحوم البشر، وسيئ الحظ من يمر بديارهم لأنهم سوف يلتفون حوله ويأكلونه. ويكونون في أشد درجات الخطورة عندما يأتي المساء، فهم يتحولون إلى تماسيح . ويستطيعون العيش تحت الماء أثناء النهار. وأكد لي الناس بأن هؤلاء القوم يأتون إلى ضفاف النيل ويأخذون الناس ويعبرون النيل تحت المياه لكي يذهبوا بهم إلى الجزيرة ويفترسونهم هناك. وذكروا بأن هناك أعداداً كبيرة من الناس افترسها الناويون، ومن بين هؤلاء ابن ملك الشايقية والذي أتى من الخندق لزيارة والدته وكان حظه سيئاً لمروره من خلال هذه الجزيرة ، ولم يعد أبداً. في الحقيقة أنا لم أر هذه التماسيح وإنني مندهشٌ من أين أتت هذه القصة. المعروف تأكيداً أن هؤلاء الناويين كانوا يأخذون ضرائب من الناس

في شكل حبوب وأشياء أخرى في هذه النواحي، وروى لي دافعو الضرائب بأنفسهم هذه الرواية، وقالوا لي عندما زار الباشا هذه المنطقة هرب الناويون إلى الصحاري خوفاً من أصوات الطلقات النارية والمدافع. الجزيرة التي يسكنونها صغيرة ومليئة بالأشجار لكن الزراعة قليلة جداً. وإنني أشك في ما حكوه لي عن أكلهم لحوم البشر، لأن الذي يأكل لحم البشر لا يكون مهتماً بالزراعة.

عندما كنت في دنقلا العجوز في منزل الكاشف حدثني هو بنفسه عن هؤلاء الناويين، وهو مؤمن بهذه القصة وقال لي لا يمكن أن يتجرأ أحد من الجنود أو الأهالي بالذهاب ليلاً إلى هذه الجزيرة، وحتى أثناء النهار يكونون في خوفٍ ووجل لأنهم دائماً يشعرون بأن الناويين يسيرون خلفهم. قال لي أيضاً: إنه أخذ واحداً من هؤلاء القوم وقيده بالسلاسل لعدة أيام فلم يتحول إلى تمساح ولم يستعمل السحر ليخلص نفسه. إذن هم أناس مثل أهل هذه الناحية ويتحدثون اللغة نفسها.

وجدنا نفراً من الشايقية معسكرين داخل هذه الغابات التي تغطي ضفة النهر الشرقية، ومعهم نساؤهم وأطفالهم وهم متوجهون إلى دنقلا الجديدة ليفلحوا الأراضي هناك ، وكانوا مسلحين بالسيوف والحراب، ولم نلحظ عليهم أنهم يخافون من العسكر.

لم نستطع الوصول إلى دنقلا العجوز لأن الرياح لم تكن مواتية.

الأربعاء 26 من سبتمبر 1821م

في الصباح الباكر ذهبت إلى منزل الكاشف وذكر لي بأنه لم ير في حياته أيّ قطعة أثرية مصنوعة من الحجارة إلا بعض الأعمدة غير الجيدة الصنع من الجرانيت، والمسجد. وقال لي بأنه سيصطحبني بنفسه إلى هذه الأماكن واستسمحني بأن أعذره إذا لم يوفر لي حصاناً ، لأن كل الحصين في الجهة الأخرى للنيل. بالفعل ذهبنا أولاً إلى المسجد وأخبرني بأن المسجد هو القلعة التي حدثني عنها من قبل، وأنه بُني على أنقاض معبد. ولكن لم يكن ما أخبرني به صحيحاً. إذ أن هذا المسجد[1] شيده الشايقية ولم يكن

---

[1] . إن لينان مخطئ هنا ؛ المبنى في الحقيقة كان كنيسة وتم تحويله إلى مسجد في عام 1317م لأنه مازالت هناك رسومات مسيحية على الجدران بدأت تتآكل مع مرور الزمن ، كما أن المسلمين مسحوا منها الوجوه. هذه الرسومات كان

عمره أكثر من مائة عام وكان بناءه جيداً وجدرانه قوية جداً. وبه محراب في مكان عال في المسجد تؤدى فيه الصلاة ، شكله مربع ويحيط به ممر من كل جانب، وسقفه يقوم على أعمدة جرانيتية منحوتة بطريقة غير جيدة. ولهذه الأعمدة تيجان يبدو أنها أخذت من كنيسة. شكل المسجد من الخارج مربع، ويوجد عمود في الناحية الشرقية، وبالداخل دعامة دائرية تمثل محراب المسجد . يقع هذا المسجد، على تلة في أحد زوايا أسوار دنقلا، وفي الحقيقة لم أر أثراً يوضح بأنه بُني على أنقاض آثار قديمة. في الناحية الشمالية من المدينة أنقاض لمبانٍ من طين وسط أعمدة من الجرانيت. وهذه الأعمدة تبدو لمبانٍ ذات طابع مسيحي لأن مثل هذه الأنواع من الأعمدة تستخدم عادة في بناء الكنائس التي لم تعد موجودة الآن.

شُيِّدت مدينة دنقلا على تلة من الحجارة الرملية ولا يوجد انحدار واضح غير الذي يوجد في جهة النيل. وهذه المنطقة مرتفعة قليلاً وشديدة الانحدار من الجهة اليمنى للنيل، ولكنها لم تكن بالعلو الواضح. وتمتد هذه المدينة على طول النهر، وهي محاطة بسور متهالك نصفه مبني من الطوب والنصف الآخر من الحجارة الخشنة. وهذا السور محصن ببرجين صغيرين لم يكونا بالارتفاع الشديد، وأسوارها مثل التي رأيناها في المناطق النوبية في مصر. وحتى بربر لم أر مبنى له أسوار ولكنني أعتقد بأن المدينة تبدو مرتفعة قليلاً. وكل منازلها مبنية من اللبن والجير إلا قليل منها يبدو قوياً ومتماسكاً. فجزء كبير من المنازل مهدم وتغطيه الرمال، والجزء الآخر يسكنه الأهالي. والأماكن التي تشرف على المدينة نجدها مهجورة ومغطاة بالحجارة والرمال. ولكن النواحي التي تقع في الضفة الغربية للنيل مغطاة بغابات السنط الكثيفة والزراعة والأعشاب.

لا شيء مما رأيته في دنقلا من آثار وأنقاض أقنعني بأن هذه الآثار والأنقاض قديمة. لأن الأسوار لم تكن بذات القوة التي تميز أسوار الآثار المصرية، ولم تكن بذات الطراز، ولم يكن الطوب سميكاً كالذي رأيناه في سمنة والعمارة، ولا كالذي شاهدناه في الأهرام بالقرب من أرقو الذي كان سميكاً وقوياً. أضف إلى ذلك إن المواقع المصرية

المسلمون أحياناً يغطونها بطبقة من الجبص ؛ لذلك يبدو أن لينان عندما رأى الحيطان كانت مجصصة. أما الرسومات فيوجد منها على الأقل طبقتان.

من هذا الطراز غالباً ما تكون أسوارها سميكة وعالية، لا كالتي شاهدناها في دنقلا ، فإن أسوارها لم تكن سميكة وكانت سيئة التشييد، ولم تكن متراصة ولا عالية الارتفاع. ولكن قد تكون هذه المدينة شيدت على أنقاض أثر قديم ، ولكن ما شاهدته لم يجعل تفكيري يذهب في هذا المنحى.

كان بإمكاننا الإبحارالآن بحسب الرياح الطيبة ، ولكننا فقط عبرنا النيل للذهاب إلى تلك الغابات الجميلة التي تحاذي النهر في هذه الناحية. وكانت تعج بالطيور وقد اصطدت عدداً كبيراً منها. وعند الساعة الثالثة بدأت الرياح تهب مما ساعدنا على الارتحال. ورأيت عدداً كبيراً من التماسيح ولكنها لا تبدو خائفة عندما رأت مركبنا ولا حتى عند سماعها لأصواتنا.

وعند المساء وصلنا إلى أطلال تقع على جزيرة ....[1]

الخميس 27 من سبتمبر 1821م

في الصباح قمت بزيارة لتلك الأطلال التي بدت لي قديمة ، إنها لقرية كبيرة مبنية من المواد نفسها التي ذكرناها من قبل، ووجدت فيها أنقاضاً لمسجد وشاهدت فيه برجاً صغيراً مربعاً يبدو أنه مئذنة المسجد. والكوة التي يؤدي المسلمون صلاتهم قبالتها تقع في الجهة الشرقية. ورأيت قطعة حجر كأنها خشبة متحجّرة يبدو أنها المحراب الذي نجده دائماً في المساجد. كان سقف المسجد يقوم على أعمدة صغيرة من الجرانيت سيئة الصنع. وفي إحدى بوابات هذه القرية شاهدت بالقرب من المسجد مبنى مكوناً من حجارة منحوتة، واحد من هذه الحجارة يشبه في نحته الطراز الذي شاهدناه في الكنائس القبطية القديمة[2]. ووجدنا جزيرة تسمى طمبل يبلغ طولها بين الأربعة والخمسة أميال[3]، وهي مأهولة بالسكان، فيها المزارع، ومغطاة بالغابات وأشجار النخيل. والمناطق التي

---

[1] . لم يكتب لينان اسم الجزيرة . لا شك أنها جزيرة تنقسي.

[2] . توجد بقايا من الطوب الأحمر في جزيرة تنقسي تشير إلى المبنى القديم لهذه الآثار المسيحية. وقد ذكر ويلكنسون (Wilkinson) في حوالى 1850م أن هنالك بقايا لقلعة قديمة ما تزال أسوارها وأبراجها قائمة ، وهذا بلا شك ما يعنيه لينان بقوله: إن هنالك قرية قائمة شبيهة بالقرى التي رأيتها من قبل.

[3] . يبلغ طول الجزيرة حوالى 8 أميال. وفي زمن لينان كانت هنالك جزيرة تسمى حمور تقع شمال تنقسي.

زرناها في هذا اليوم لا تختلف كثيراً عن سابقاتها، فهي مغطاة بالغابات حتى حدود الصحراء ولم نر أي جبل. وأراضي هذه البلدة مخضرة وجميلة وتوجد بها الأشجار الظليلة حيث تعشعش بها مجموعات كبيرة من الطيور من كل نوع ولون.

الجمعة 28 من سبتمبر 1821م

بينما كنا في انتظار الريح لتساعدنا في تحريك شراع المركب قمت بزيارة لبعض النواحي القريبة، فهذه البلدة مغطاة تماماً بأشجار النخيل والدوم وأشجار السنط مما جعل الأرض مكسوة بحلة خضراء ذات طبيعة رملية مما يترك أثراً سحرياً على الناظر. وشاهدت نفراً من الشايقية في طريقهم إلى دنقلا كالعادة ليشاركوا في فلاحة الأراضي الزراعية هناك. كان الرجال يسيرون في المقدمة وهم مسلحين. وكان زعيم العائلة يمتطي بعيراً، ومن خلفهم الحمير والثيران التي تحمل أمتعتهم المتواضعة، وبعد ذلك تأتي النساء والصغار وكبار السن والعبيد وهم يحملون الأطفال، وكثيرون منهم عراة تماماً وينامون على أذرع هؤلاء العبيد معرضين لحرارة الشمس. وفي نهاية هذا المسير ترى امرأة عجوزاً ومعها أطفال يلعبون هنا وهناك على جادة الطريق.

تحركنا عند الساعة العاشرة وبعد أن قطعنا مسافة ميل سيراً وجدت على الشاطئ الغربي للنيل أنقاضاً لدير[1] قمت بزيارته، فهو مبنى من اللّبِن والحجارة وتوجد في زواياه أبراجٌ صغيرة ولكني لم أر أي أثرٍ لكنيسة. وحول هذا المكان مجموعة من الأنقاض، وأعتقد بأن هذا المكان كان موقعاً أثرياً قديماً، ووجدت أيضاً جزءاً من حائط وهو مبني من الطوب يشبه المباني المصرية. هبت علينا ريحٌ طيبة مكنتنا من الوصول إلى أبكر[2] حوالى الساعة الثالثة . ولكن قبل وصولنا إلى هذا المكان توقفنا عند جزيرة جيرا ونزلنا مع عائلة وكنا ضيوفاً عليها. في الصباح قدمتُ لربة هذا المنزل مجموعة من الأسوِرة والعقود وكانت مسرورةً جداً بها، وأخذت على نفسي عهداً بأن أُهدي مثل هذه الهدايا لهؤلاء القوم الفقراء حتى أُدخل عليهم السرور.

---

[1] . الجابرية ، موقع مسيحي.

[2] . تسمى أيضاً الاصطبل (English Estabel). المنطقة مغطاة بروث الخيول وهذا سبب التسمية الثانية.

وعندما وصلنا إلى أبكر قمت بزيارة الأطلال. وتقع أبكر على تلة صغيرة تبعد عن ضفاف النيل[1] مسافة ميلين تقريباً، أرضها منبسطة وتكسوها الأدغال والأشجار، وبها مجموعة كبيرة من الأنقاض يبدو أنها حطام مدينة صغيرة. وتشرف على تلة محاطة بسور جزء منه من الحجارة والجزء الأخر من اللبن، أسوارها ذات أشكال غير منتظمة ومحصنة كالعادة بالأبراج، والجهة الشمالية أكثر علواً من الأخريات، والمدينة تميل للانحدار من الناحية الجنوبية حيث توجد بوابة صغيرة. وفي الجهة اليمنى من المدخل خزان جميل محفور داخل الصخرة وحوله ومن أعلاه جدران مبنية من الحجارة والطوب الأخضر تشكل الزوايا للناحية الجنوبية الشرقية. والشيء الوحيد الموجود بين هذه الأطلال هو قليل من المنازل، ولا شيء آخر يذكر غير مجموعة كبيرة من المقابر التي تؤكد بأن هذه المدينة كانت مأهولة بالسكان في الزمن السابق، وسكانها من المسيحيين لأنني شاهدت في نواحٍ متفرقة منها صلبان منقوشة على الحجارة.

هذه الصحراء يسكنها العرب العبابدة، وهم يملكون أعداداً كبيرة من الأنعام يعتمدون على ألبانها في غذائهم. وحالما وصلنا إلى هذا المكان فرّ هؤلاء الأعراب وأنعامهم تاركين خلفهم بعضها وتسللوا داخل الأشجار والأدغال. فقام الملاحون الذين يرافقوننا بسرقة خروفٍ من خراف العبابدة، ولكنني لم أعلم بذلك حينها ، إلا أنني تذكرت بأن امرأةً مسنة أتت بالقرب من المركب وكانت تصيح وتهمهم ببعض الكلمات، ولم أفهم ذلك ولا الترجمان الذي كان برفقتي وتركناها وشأنها وأعطيتها بعض النقود. وعندما بدأنا في الإبحار وجدت أن هناك خروفاً داخل المركب مما جعلني أفهم سبب صراخ تلك المرأة. ولكن حدث أمر غريب ؛ ففي اللحظة التي شاهدت فيها الخروف هبت ريح شديدة تسببت في قلب المركب، ووجدنا أنفسنا في اليابسة . لذلك حسبت أن هذا الحادث هو انتقام ربّاني لتلك المرأة التي سُرق خروفها وأُجبرنا على أن نكون في اليابسة حتى الصباح لكي نصلح الشراع، وأتت المرأة المسكينة في الصباح وأرجعت

---

[1] . ربما كانت أبكر في الأصل على ضفة النيل ، وهناك بعض الشواهد من الموروث المحلي تشير بأن هذه الفرضية صحيحة. هناك فخار مسيحي على سطح الموقع ويبدو أن هذه القلعة بنيت خلال الفترة المسيحية ، وأصبحت فيما بعد مركزاً مهماً للشايقية والفونج.

إليها خروفها، ولكي لا أغضب البحارة اشتريت لهم خروفاً آخر. في الحقيقة لم أر في حياتي أُناساً يتصفون بالمكر مثل هؤلاء الفلاحين المصريين ، فهم يخدعون الشيطان نفسه ويستطيعون أن يتلاعبوا بالآخرين ويفلتوا من العقوبة.

السبت 29 من سبتمبر 1821م

سرنا لمسافة نصف ساعة وكانت الريح هادئة وتوقفنا عند جزيرة جقرنارتي لشد الشراع، لأن النيل هنا شديد الانعطاف في اتجاه الشمال بزاوية قدرها تسعون درجة باتجاه الناحية الشمالية الشرقية. وكان من الصعب أن نجد الأهالي لأنهم فروا وتسللوا داخل الأشجار الشوكية واستعملوا جميع الحيل في الهروب منا. وشاهدت على هذه الجزيرة أعمدة جرانيتية على قممها تيجان. وكان أحد هذه الأعمدة يقف منتصباً بينما تشاهد ستة أخرى واقعة على الأرض بالقرب من قواعدها. هذه الأعمدة بقايا لكنيسة ويلاحظ أنها لم تُقطع بطريقة جيدة ولم تكن متناسقة. أما التيجان فهي مربعة في الجزءالعلوي ودائرية في السفلي . تشاهد في الجزء العلوي مجموعة من المنحوتات أعتقد أنها الأسوأ من حيث الصنع. ولا يوجد في الجوار أي جدران ولا مبنى. توقفنا عند حافة الجزيرة حيث شاهدنا مجموعة من التماسيح.

الأحد 30 من سبتمبر 1821م

في صباح هذا اليوم عانينا كثيراً لكي نجمع بعض الناس ليساعدونا في شد الشراع، وعلى شاطئ الضفة اليمنى من النيل زرت أطلال قرية صغيرة[1] على نفس طراز أبْكُر (اللوحة 8). وتقع على مسافة نصف ميل من طرف الجزيرة على مرتفع ضفاف النيل ولم أجد شيئاً ذا بال، ولكن وجدت بالقرب من شجرة الدوم خارج القرية ووسط الأنقاض في الجزء الشرقي أحد أعمدة الجرانيت ملقياً على الأرض، ولم يكن لونه وردي كما هو

[1] . الدفار: حيث توجد قرية محصنة. وكلمة دفار كلمة نوبية تعني الأنقاض (بلغة الكنوز والمحس والدناقلة)، ولكن الاسم الحقيقي غير معروف، وقام لينان برسم هذه القلعة حيث صورها جميلة الشكل وبحالة جيدة تشبه إلى حد كبير القلاع الأوربية في العصور الوسطى - لكن لسوء الحظ الآن لم يتبق منها إلا القليل ولكن ما زالت مواد بنائها متناثرة فوق الأرض.

الحال في أسوان بل كان باهتاً جداً مثل الأعمدة الأخرى الموجودة في الجزيـرة شـكلاً وحجماً. شاهدت في أطراف المدينة في الجهة الغربية مجموعة من المقابر، تبدو أنهـا مقابر لمسلمين لأنني وجدت حجراً على مقدمة المقبرة وآخر على مؤخرتها وهـو مـا نجده عادة في مقابر المسلمين. وكانت هذه الحجارة من الرخام وجيدة النحت ولم أر أيّ عليها كتابة .

وعندما وصلنا الجهة الأخرى من النيل حاولنا شد الشراع فلم يهرب الناس منا بل جاءوا لمساعدتنا، وعند المساء بتنا في الجهة الشمالية الشرقية من جزيرة حسينارتي. هذه الجزيرة جميلة المنظر وطولها تقريباً ميل ونصف الميل ومخضرة بالزراعة، وفي الجهة الجنوبية الغربية لهذه الجزيرة خاصة الغربية منها توجد أنقـاض لقلعـة تـسمَّى حتاني (اللوحة 10) على تلة مرتفعة تقع على ضفاف النيل، وهناك أطلال لقرية شرق هذه القلعة. هذه القلعة مشيدة من الطين واللّبن والحجـارة الخـشنة وأسـوارها عاليـة ومرصوصة بطريقة جيدة، وفي داخلها مياه النيل التي تأتي من خلال صخرة منحوتـة لهذا الغرض حتى تتمكن من الانسياب داخل القلعة. هذه القلعة تسمى حِتاني وقد شيدها الشايقية وهم يلجئون إليها عندما يقومون بنهب الضواحي، لأنهم كانوا في شـجار مـع المماليك بقيادة عبد الرحمن بيه. وعندما حاول المماليك الاختباء بها نجـد أن الـشايقية حاولوا هدمها ولكن تم ترميمها بقليل من التكلفة.

هذه الحرب التي خاضها المماليك[1] لم تكن في صالحهم كما لم تكن في صـالح أعدائهم وإن كانوا دائماً منتصرين فيهاّ . وبما أن أعداد المماليك كانت قليلة ، فإن فقدان الرجل الواحد منهم يعد خسارة كبيرة. أما بالنسبة للشايقية فإن فقدان خمـسين أو حتـى مائة رجل لا يعني شيئاً لهم ، لأن عددهم كان خمسة أو ستة آلاف رجل مقابل ثلاثمائة أو أربعمائة من المماليك. ولذا فإن المماليك لم يهزموهم هزيمة حاسمة . نفس الـشيء يصدق على الشايقية ، لم يتمكنوا من هزيمة المماليك؛ ولكن أثبت المماليك شجاعة كبيرة

---

[1] . نشبت معركة بين المماليك والشايقية في منطقة حتاني سنة 1812 ، سببها مهاجمة الشايقية المماليك في أرقو وماريقـا. كان جانب من جنود المماليك بقيادة إبراهيم بيه والجانب الآخر بقيادة عبد الرحمن بيه ، وقد توغلوا فـي ديـار الـشايقية وقاتلوهم في منطقة حتاني.

في تصديهم لمقاتلين مثل الشايقية يتفوقون عليهم من حيث العدد ، فضلاً عن قوة عزيمتهم وشجاعتهم.

الاثنين الأول من أكتوبر 1821م

في صباح هذا اليوم هبت رياح شديدة من الجهة الشمالية الشرقية، ورغم أن عدد الرجال الذين يقومون بقيادة المركب كانوا أربعة عشر نفراً إلا أننا لم نستطع التقدم في السير، ولذا أُجبرنا على التوقف في الناحية الغربية من شاطئ النهر، وكان هذا المكان مهجوراً وتكثر فيه الأدغال. وشاهدت مجموعة كبيرة من طيور الحَجَل وهي متجمعة في هذا المكان ومتجهة نحو ضفاف النيل للشرب، ومجموعة من الغزلان ترعى وسط الأدغال والأشجار التي تغطي الأراضي الرملية، وسرنا قليلاً وتوقفنا في المساء بالقرب من قرية أمبيكول ووجدنا بها كاشفاً.

الثلاثاء الثاني من أكتوبر 1821م

عندما رأى الكاشف مركبنا في الصباح أرسل لنا بعض الناس ليساعدوننا في شد الشراع، وزارنا في المركب وتحدثنا عن المناطق الفقيرة التي يموت أهلها من الجوع ولم يكن لدينا شيئاً نقدمه لهم ، وذكرنا له بأن الناس هنالك يقتاتون على الأعشاب والأشياء الأخرى المماثلة. وذهبنا معه إلى كورتي حيث خاض إسماعيل باشا معركته الأولى ضد الشايقية، ووجدنا في ساحة القتال الكثير من البقايا الآدمية.

في المساء بتنا في مكان يبعد ميلاً من حدود مملكة دنقلا وديار الشايقية. والحدود ، كما هو الحال ، نجدها معلّمة تماماً على ضفة النيل في الجبال بخطوط مثل التي وجدناها في المناطق النوبية. وكانت هذه الحدود تعلّم بوساطة أناس يذهبون إلى الجبال ويضعون مجموعة من الحجارة بعضها فوق بعض على هذه الجبال. وفي هذا المكان وجدنا أنقاضاً مبنية من الطين والحجارة الخشنة وكانت الأسوار سميكة، وعلى مسافة ليست ببعيدة عن هذا المكان نشبت المعركة الثانية ضد الشايقية. وفي المساء وفي المكان الذي كنا فيه أتت إلينا امرأة تطلب خبزاً لطفلها الذي كان يقتات ولفترة طويلة

بالأعشاب وكاد يموت من الجوع. ووجدت أعداداً كبيرة من الناس لا تستطيع الحراك من الجوع، وامرأة أخرى طلبت منا الدقيق في مقابل اللبن، هؤلاء الفقراء أثاروا عطفي وشفقتي وقدمت لهم كل ما أستطيع تقديمه. في صباح اليوم التالي أتت إلينا اثنتا عشرة امرأة يحملن اللبن في مقابل أن نعطيهن دقيقاً أو طعاماً، ولكن لم يكن بمقدورنا تلبية طلبهن بالرغم من أنني تعاملت معهن بكل لطف لأطيّب من خاطرهن، وفعلت ذلك خوفاً من نفاد المؤونة التي بصحبتنا، وقد أعطيتهن بعض النقود، ولكن علمت بأن النقود في مثل هذه الظروف لا تفيد لعدم وجود شيءٍ يمكنهن شراؤه وهنّ جوعى. لقد وجدت في ديار الشايقية تبايناً واضحاً بين الناس فمنهم مدقع في الفقر ويريد مغادرة الديار وآخرون ميسورو الحال.

الأربعاء الثالث من أكتوبر 1821م

كما هو الحال في الأيام السابقة ، كلما نحتاج إلى أناس يساعدوننا في شد شراع المركب يفرون منا إلى الصحراء. حضر إلينا شيخ مكلّف من طرف الباشا لمساعدتنا في تجهيز المركب، وحاول جلب بعض الناس من جزيرة أوسلي لمساعدتنا ولكنهم لم يستجيبوا كالعادة. قال لنا الشيخ أنه بإمكاننا أن نذهب للجزيرة ونأخذ خروفاً ونفعل بالنساء ما نريد إذ هرب الرجال . وقال هذه أوامر الباشا. ولكني رفضت أن أعمل بنصيحته بأن نذهب إلى داخل الجزيرة. فغضب الشيخ منا ومن أهالي الجزيرة لأنهم لم ينفذوا أوامره. نلحظ أن أهالي هذه الجزيرة عوقبوا مرتين؛ المرة الأولى من قِبَلِ جنود عابدين كاشف لأنهم لم يحضروا عندما طلب منهم ذلك، وفي المرة الثانية أخذ الجنود جميع نسائهم حتى يجبروا الرجال على الرجوع ، لكن لم تُجدِ هذه المحاولة بشيء. وبعد 25 يوماً اضطر الجنود لإطلاق سراح النساء على الرغم من أن الرجال لم يحضروا.

وفي المساء عبرنا النيل ووصلنا إلى قرية صغيرة تسمى البخيت حيث وجدت أنقاض أسوار لمدينة قديمة. هذه الأسوار تبدو عظيمة ذات أشكال مربعة ، وهي محصنة بأبراج ومعاقل صغيرة متباعدة، ومتينة البنيان ومشيدة من اللبن ومكسوة بحجارة غير منحوتة متراصة وسميكة جداً. ولكن الغريب في الأمر أنه لا يوجد داخل

هذا السور غير بيت واحد مبني من اللبن[1] ، لكنني أعتقد ، استناداً على العدد الكبير من الحجارة التي وجدتها داخل السور، أن المنازل كانت مبنية من الحجارة لكنها فيما بعد سقطت كلها وتهدمت . أظن أن هذه المدينة المسماة الحليلة قديمة جداً بالنظر إلى أسوارها وأنقاضها المترامية.

الخميس الرابع من أكتوبر 1821م

في الصباح لم نجد رجالاً لمساعدتنا في سحب المركب ومع ذلك وصلنا عند منتصف النهار إلى منزل الملك صبير أحد كبراء الشايقية. منزله جميل مبني من الطوب في شكل قلعة. وعند وصولنا لم نجده، وبعد هنيهة من وصولنا حضر إلى المنزل وهو يمتطي حصاناً جميلاً، وطلب منّا أن نسامحه لأننا عندما وصلنا إلى منزله لم نجده، وطلب منا أن ننتظر الغداء معه، ولكنني لم أكن أريد ذلك لأن البلدة كلها تعاني من الفقر والبؤس. وعندما كنا معه بمنزله أمر مواطنيه بالذهاب معنا إلى المركب ليساعدوننا في دفعها داخل النهر. وحضرهو بنفسه إلى المركب مرتدياً قميصاً واسعاً ومخططاً باللون الأزرق مع الأبيض، وحافي القدمين ولا يرتدي بنطالاً ورأسه مدهون. بدا محترماً جداً وسط رعاياه كأنه ملك. عمره يتجاوز الخمسين عاماً بقليل، وهو متوسط القامة وضعيف البنية وأشيب الرأس ، لحيته ليست بالكثيفة، سهل المعاملة ودمث الأخلاق وحلو المعشر. وسألني إذا كنت أرغب في الذهاب معه إلى سِنار لأنه تلقى أوامر من إبراهيم باشا ليذهب إلى هناك.

وفي وقت قصير جمع أكثر من أربعين أو خمسين من الإبل لكي يذهب إلى سِنار. وحدثنا عن معارك الشايقية مع إسماعيل باشا وقال إن الشايقية كادوا أن ينتصروا في المعركة الثانية لولا وصول السلاح إلى إسماعيل باشا . وأخبرنا بأنه عاد بعد المعركة إلى منزله وطلب منه إسماعيل باشا أن يحضر له مركبه ويكون بالقرب منه حتى لا يتعرض للخطر. وقال إن الباشا أحسن معاملته واستقبله بحفاوة ، إلا أنه كان

---

[1] . هذا الطوب الأخضر الذي يتحدث عنه لينان هو بقايا كنيسة، إن القلعة الموجودة في البخيت قد يرجع تاريخها للفترة المسيحية ومن الجائز أنه أُعيد استخدامها لاحقا، وباستثناء السور لم يبق منها غير بعض الأكوام من الحجارة .

خائفاً منه لأنه قال من قبل كلاماً عن الأتراك بأنهم لا يوفون بالعهود. ولذلك كان يظن أنه عندما يذهب إلى معسكر الباشا سيقطع رأسه ، فقرر أن يلوذ بالفرار مع أسرته وجمع غفير من الناس إلى شندي. وحينئذ استلم خطاباً من إسماعيل باشا طلب فيه أن يعود إليه ثانية، فقفل عائداً إلى الباشا وقدم له الهدايا واستقبله بحفاوة. قال إنه لم يكن راضياً عن الشجار الذي وقع بينه وبين إسماعيل باشا ، فلو ذهب إليه كما أمره بذلك في حينها لما لحق منطقته دمار ولا جاع أهله. وبعد ذلك طلب مني كأساً من الكحول وأعطيته من أحسن ما عندي، وكان مسروراً لذلك ولكنه خشي إن شرب كثيراً أن يصير مخموراً، وقال لي:عندما تعودون ثانية ستجدون هذه المنطقة في حالة أحسن وسنعاملكم معاملة أفضل. وفي أثناء جلوسنا معه رأينا بعض الشحاذين يطلبون الطعام، وفي بقية النهار لم نتقدم كثيراً في المسير.

الجمعة الخامس من أكتوبر 1821م

في صباح هذا اليوم وصلنا إلى معسكر حسن كاشف في تنقاسي، ووجدناه قد غادر إلى دنقلا برفقة المعلم حنا الطويل. وهذا المعلم هو الذي موَل حكومة القاهرة بالأموال ليشنوا الحرب على سِنار ويحتلوها.أعطينا حسن كاشف خطاب رئيسه عابدين كاشف . وفي الحال نفذ ما في الخطاب ووفر لنا كل ما نحتاجه لمواصلة رحلتنا. وطلب من أحد الملوك أن يرافقنا إلى أيّ مكان نذهب إليه، وأرسل معنا جندياً لمدنا بالمعونات التي نحتاجها.

السبت السادس من أكتوبر 1821م

في هذا اليوم كانت الرياح هادئة وكنا في عجلة من أمرنا نَهمّ بالمغادرة وكان الرجال الذين في صحبتنا في جاهزية عالية فتحركنا بسهولة. وفي أثناء سيرنا شاهدت أنقاضاً لقرية قديمة تقع على تلة على ضفاف النيل،[1] ولكن اشتدّت الرياح قليلاً فلم أتمكن من التوقف عند هذه الأطلال ، فأرجأت زيارتي لهذا الموقع إلى حين عودتي لجبل

---

[1] . مروي شرق.

البركل الذي شاهدت فيه بعض الأهرامات وحفرة كبيرة، قيل لي أنها محفورة داخل الجبل. كل هذه الآثار منعزلة وبعيدة عن ضفة النيل. وتوقفت لمدة إحدى عشرة ساعة فقط عند قرية تسمى بليل تقع في الضفة الغربية وتبعد قليلاً من الجزر التي تكوّن بداية الشلال. عند الظهيرة شاهدت الأهرامات التي تبعد كثيراً عن هذه القرية في الجهة الجنوبية الغربية وهي في الحقيقة لا تبعد عن النيل كثيراً، وبقيت في هذا المكان حتى المساء لأرتب عملي ليوم غدٍ وعدت بمركبي إلى نوري.

الأحد السابع من أكتوبر 1821م

في الصباح ذهبت إلى الأهرامات التي يبلغ عددها 82 هرماً. وكان كل هرم مهدماً أكثر من الآخر، وهي مبنية من حجارة ليست بالجيدة وأشكالها مماثلة للأنواع الموجودة في القاهرة، ومجموعة منها تبدو طويلة جداً بمعنى أن قواعدها لا تتناسب مع ارتفاعها وأظنُّ أنها تحطمت لهذا السبب. هناك مجموعات صغيرة جداً من الأهرامات مهدمة بصورة كاملة فلم نجد منها سوى القواعد. هذه الإهرامات مصطفة عند الناحية الشرقية. والأهرامات الموجودة في الناحية الجنوبية لهذا الصف أكثر سلامة من غيرها. لم نجد أثراً بارزاً يوضح مكان البوابة ولكن أظنها كانت في الجهة الشرقية[1] ولم تكن هذه الأهرامات ذات شكل هرمي كما هو معروف[2]. لم تكن قمة الهرم تنتهي بالشكل البارز وإنما كان يعلوها مسطح صغير.

بالرغم من أن سطح هذه الأهرامات، حسب ما شاهدنا ، لم يكن مصقولاً إلا أن هذا لا ينفي بأنه كان كذلك خاصة في الجانب العلوي، لأنني شاهدت في الناحية الجنوبية بعض الحجارة المصقولة. لم تكن هذه الأهرامات ذات شكل واحد ، بل منها ما كان له أكثر من طبقة وهي بذلك تشبه تلك التي شاهدناها في ميدوم في مصر. والهرم الأكبر

---

[1] . غرفة الدفن ليست تحت الهرم بل توجد على بعد أمتار قبالة الواجهة الشرقية . أما " الأنقاض الصغيرة" فربما تتبع للمقصورات الجنائزية التابعة للأهرامات التي لا يشاهد المرء أيا منها الآن في نوري.

[2] . هذا غير صحيح لأن هنالك أشكالاً هرمية وهذه الأشكال التي شاهدها لينان تعزى للدمار الكبير الذي لحق بتلك المباني.

حجماً كان من هذا النوع ، وهو مهدم أو شبه مهدم من الناحية الغربية [1]. ومع ذلك أستطعت أن أحدد حجمه. ويبدو أن الهرم الداخلي بحالة جيدة، بمعنى أن التوسع فيه كان حديثاً لأن الحجارة المستخدمة فيه مختلفة عن الهرم الكبير، وتبدو ناعمة وأكثر بياضاً مما جعلني أعتقد أنها تعرضت للرياح لفترة طويلة قبل ترميمها، لأن مثل هذا النوع من الحجارة غالباً ما يتآكل بفعل الرياح مما يجعله غير سميك ولم يكن(الهرم الداخلي) عالياً مثل الذي يغطيه، وقمته لا تتجاوز الأربعة أقدام تقريباً من الجزء الأسفل من الطابق الأعلى من الجزء الخارجي. واللافت للنظر أن قمته لا توجد في محوره من الخارج ولكنها تتجه بشكل واحد نحو إحدى الزوايا، مما يجعل الشكل الخارجي للهرمين متلاصقاً بعضه مع بعض ، فلا تستطيع تمييز مفاصل هذه البناية. وهذا الهرم يمثل نوعاً غريباً من الأهرامات لم أرمثلها من قبل، وبحثت حول أطراف هذه الأهرامات عسى أن أجد أثراً تاريخياً آخر ولكني لم أجد شيئاً.

ربما تكون هنالك مدينة قريبة من هذا المكان لأني وجدت بين الرمال والنباتات التي تفصل هذه الأهرامات عند النيل أنقاضاً ولكني لا أجزم بأنها لمدينة قديمة. كل هذه الأهرامات لها زوايا في جميع الجهات الأربع وذلك لحمايتها من الرياح القوية التي تهب من جهة الشمال والجنوب.

بعد منتصف النهار نزلت إلى النيل وتجولت حتى وصلت إلى جبل البركل باحثاً عن بعض الآثار، وهناك وجدت أطلالاً لمدينة كبيرة[2] بها آثار جميلة ويبدو أنها كانت ذات شأن. عند أسفل الجبل لم أر شيئاً ذا بال من المعالم الأثرية إلا بعض الأشياء المبعثرة هنا وهناك في الجوار. العديد من الرحالة الذين زاروا هذه الأماكن قبلي كانوا يعتقدون أن الأطلال الموجودة في هذا المكان هي بقايا مروي القديمة. ولكنني أجد نفسي غير مقتنع برأيهم هذا لأن مروي تقع على مسافة فرسخ ونصف الفرسخ أسفل هذا المكان. وفي تقديري أن هذه الأطلال هي نبتا وسوف أبرهن ذلك بوساطة ملاحظاتي

---

[1] محررة الترجمة : ليبان يصف الآن الهرم نوري 1 ، وهو هرم الملك تهارقو مؤسس جبانة نوري.

[2] . لا توجد مدينة قديمة في جبل البركل، كل ما هناك أنقاض معابد . كان البركل مركزا دينيا خاصة في فترة نبتا. ويعتقد أن مدينة نبتا كانت ، تقريبا ، في مدينة مروي الحديثة .

الفلكية. ما يسمى بمحافظة الرباطاب تبعد من هذا المكان مسيرة أربعة أيام سيراً، وهذا الاسم نفسه يطلق على نبتا[1] لأن العرب لا يستطيعون نطق الحرف " P " لأنه لا يوجد في اللغة العربية، ودائماً ينطقونه "B" والمكان الذي توجد فيه هذه الأطلال يسمى بركل.

الاثنين الثامن من أكتوبر إلى 15 منه 1821م

في صبيحة اليوم التالي لوصولي إلى البركل ذهبت مبكراً إلى الأهرامات واصطحبت معي رجالاً ليقوموا بعمل الحفريات. تقع هذه الأهرامات في الصحراء خلف جبل البركل (اللوحة 11)، ويقع هذا الجبل في مكان منعزل وهو شديد الانحدار في أطرافه، يتكون من الحجر الرملي الذي شيدت منه كل الآثار والأهرامات التي رأيناها عند سفحه. هذه الأهرامات تتكون من مجموعتين ؛ فالتي تقع بعيداً عن النيل أكثر محافظة وتقع في مكانٍ عالٍ ومحصورة في مكان ضيق. هذه الأهرامات صغيرة الحجم وليست مغطاة بالرمل ، بل على العكس يمكن مشاهدة كل قواعدها. إنها مبنية بشكل متدرج حتى مسافة 12 قدم تقريباً من القمة. وعلى قمم هذه الأهرامات ، فيما يبدو لي، توجد بعض التماثيل أو شيءٍ من هذا القبيل، لأنه أثناء صعودي إلى قمة الجبل رأيت بعض الفراغات وكانت تحوي بعض الأشياء.

أظن أنه عند مدخل كل هرم من الناحية الجنوبية الشرقية، يوجد معبدٌ صغيرٌ ولكنني لم أجد غير الحجرات التي كانت تمثل المعابد الجنائزية (sanctuaries) وهي ملاصقة للأهرامات، وقد نُقِشت جدرانها بنقوش غريبة تختلف في أسلوبها عن الأنواع المصرية (اللوحة 12). كما نجد أن بعض الأهرامات في الناحية الجنوبية الغربية لها حجرات مقببة وفيها بعض الأشكال الغريبة والنادرة. وهرم آخر مهدم إلا أن حجراته قائمة ومطلية بعناية وتوجد بها بعض الأشكال المنحوتة. يوجد في كل الحجرات قرابين. ووجدت داخل هذه الحجرة المطلية نوعين من الكتابة المنقوشة ولكن لم أستطع معرفة

---

[1] . هذا الكلام جميل ولكن من غير المعقول أن يكون صحيحاً. فالرباطاب قبيلة نيلية تعيش في منطقة الشلال الرابع، ويزعمون أنهم فرع من قبيلة الجعليين. هذا الاسم الذي ذكره لينان ليس اسم المنطقة ولكنه يشير إلى مكان القبيلة .

خطوطها وكانت مكتوبة بالقرب من رأس القربان منقوشة على لوحة من الجبص.[1] وهذه الكتابة استعملت بدلاً من الكتابة الهيروغليفية ولم أر مثل هذه الكتابة إلا في هذا الهرم. وهناك اسمان. في ناحية المعابد وعلى كل هرم شاهدت شكلاً دائرياً أو قل شكلاً ثلاثي الأضلاع يشكل مثلثاً عليه قرص مجنَح وثعبانان.

تجولت داخل هذه الحجرات لكي أتبين مدخل هذا الهرم حتى أتمكن من مشاهدة المحتويات، ولكني لم أجد شيئاً يقودني لممر بالداخل ، وأعتقد أن الحفريات التي قمت بها في الهرم الآخر- وكانت في الجزء الجنوبي منه- توضح أن المقابر توجد تحت الأرض، وما تبقى فهو متساو (غير متدرج) . على كل مدرج هنالك إكليل كما هو الحال على جميع زوايا المعابد والبوابات في مصر، ويكون مدخلها مغلق بالحجارة والطين. ودواخل هذه الأهرامات مليئة بالحجارة ولذا لم أستطع أن أجد أي تجويف، وعندما قمنا بعمل الحفر تساقط كل الذي كان بداخلها على ما حفرناه.

المجموعة الأخرى من هذه الأهرامات تقع في الناحية الجنوبية ومساحتها 750 قدماً وكلها مهدمة وواحدٌ منها فقط يبدو مكتملاً، فقمت بحفره .إنه يبدو صغيراً في حجمه وجذاباً. هناك هرم واحد في الناحية الشرقية أكبر حجماً ولكنه مهدمٌ تماماً. هذه الأهرامات تشبه تلك التي شاهدناها في الجانب الآخر من النيل في نوري من حيث الشكل والارتفاع. وتوجد مجموعات أخرى مشابهة كما تراها حسب الخريطة التي قمت برسمها ، وهرمان في الجهة الشرقية بالقرب من الجبل. كانت هذه الأهرامات الأكثر غرابة فيما شاهدت حتى الآن لأنها تختلف عن الأخريات التي رأيتها. فكل ما رأيته من أنقاض بالقرب من الأهرامات كان أنقاضاً لمعبد صغير مشيَد عند مدخل هذا الهرم.

قضيت يومين أعمل حول هذه الأهرامات وأعتقد أني بذلت قصارى جهدي في عمل رسومات لها، فكنت تارة أضيف وتارة أحذف حتى أُجوِد عملي ويخرج لمن يشاهده عملاً جيداً وجميلاً لهذه الآثار الرائعة.

---

[1] . هي الكتابة المروية بالخط المختزل. قام لينان بعمل نسخة منها.

فالآثار الموجودة عند سفح الجبل التي تقع باتجاه النيل كلها مهدمة. وأستطعت أن أميز أربعة معابد بين هذه الأنقاض المتناثرة في شكل ركام بطريقة تجعل من الصعب أن تتبين الشكل. فالجزء من هذه الأهرامات الواقع في أقصى الناحية هو الأكثر محافظة. (اللوحة 13). يوجد جزء من معبد محفور في داخل الجبل والجزء الأخر منه مشيّد . الجزء المحفور داخل الصخر يحتوي على أربع حجرات ورواق؛ أمام هذا الرواق رواقٌ آخر، جزؤه الأسفل محفور ، والجزء الأعلى والأعمدة مبنية. وهذا الرواق يتقدمه آخر له بوابة لكنها ليست مدخلاً لهذا الصرح ، لأنني شاهدت قاعدة كبيرة لعمود وأعتقد أنها كانت لرواق كبير كالذي شاهدناه في الميمونيوم [1] في طيبة وكان مهدماً تماماً. يحتوي الرواق الأول على خمسة أعمدة وركيزتين؛ وهاتان الركيزتان قاعدتهما دائرية ومزيَنتان بتمثال ضخم لتيفون[2] على رأسه طاقية مربعة وواضعاً يديه أسفل بطنه. تيجان الأعمدة في شكل رأس إيزيس تشبه التي في دندرا ولكنها من جانبين فقط ، وفي الجانبين الآخرين تشاهد زهرة اللوتس ، وفي الأعلى الكتلة التي تشكل طاقية رأس إيزيس، ويوجد ثعبانٌ في كوة صغيرة. الطريقة التي صنعت بها هذه التماثيل جيّدة كما هو الحال في صنعة تمثال تيفون.

أما الرواق الثاني فيتكون من ثمانية أعمدة لم يبق منها إلا عمودان بكامل هيئتهما. هذه الأعمدة مماثلة لأعمدة الرواق الأول ولكنها صغيرة بعض الشيء. أما الرواق الثالث فمحفور تماماً وله دعامتان مزينتان بالتيفون. وفي وسط الحائط الأساسي لهذا الرواق بوابة المعبد الجنائزي . والأخير مزخرف بمنحوتات جميلة، وفي سقف

---

[1] . محررة الترجمة: الميمونيوم تمثالان ضخمان من الحجر الرملي لرجل جالس يمثلان الملك أمونحوتب الثالث ، يفوق ارتفاع الواحد منهما الخمسين قدماً. كان التمثالان يزينان مدخل المعبد الجنائزي للملك والذي زالت معالمه تماماً. أما الاسم " ميمونيوم" فهو نسبة إلى الجزء الغربي من مدينة طيبة المصرية التي كانت تسمى " ميمونيا" في الوثائق الإغريقية .

[2] . محررة الترجمة: تيفون (Eng:Tiphon) هو المقابل الإغريقي للإله ست المصري باعتباره إله الشر والزوابع والعنف. وقد ظن لينان ، وهو مخطيء ، أن المعبود المنحوتة صورته على الركيزتين هو **ست** . في الحقيقة الصورة للإله **بس** وهو معبود شعبي محبوب كانت صورته تنحت في شكل تمائم من القاشاني غالباً، وتلبس أو تحمل كرقية من الأرواح الشريرة . اشتهر **بس** أيضا بحمايته للنساء عند الوضوع . توجد صورة لهذا الجزء من المعبد المحتوي عل تمثال **بس** في كتاب كايو (Voyage ... vol.1. pl. 74). وقد ضمنّا هذه اللوحة في هذه الترجمة لتصبح اللوحة رقم 29 .

الرواق كوة في شكل قبة ، في أرجائها الأربعة تشاهد فتحات صغيرة لعلها عُملت بهذا الشكل لوضع بعض الأشياء فيها. توجد مثل هذه الفتحات الصغيرة في كل جزء من هذه الحجرة، مزينة ببعض المنحوتات. وبدلاً من أن تكون هذه المنحوتات ذات نقوش بارزة كالتي شاهدناها في الحجرة الكبيرة ، كانت مجوَفة. ولم أجد شيئاً سوى المقصورة الجنائزية المجوَفة مما جعلني أعتقد بأن طراز هذه المنحوتات هو طرازٌ فريدٌ مقارنة بالآخرين. خلف هذه الحجرة ومن جهة اليمين توجد حجرة أخرى تفتح على المقصورة الجنائزية وكل ما في هذا الصرح التاريخي نجده جيد الصنعة وعالي الطراز وذوقه رفيع. لم ألحظ طلاءً ولا ألواناً كثيرة تغطي التماثيل والخطوط ولم ألحظ أي فرق بين ألوان هذه الآثار وتلك التي شاهدتها في مصر.

توجد أثارٌ حفرية أخرى في الجهة الغربية ولكنها مهدمة تماماً ولذا من الصعب أن تتبين معالمها. هذا المعبد مزين ببوابة وبه حجرتان؛ الحجرة الأولى يوجد بها رواقٌ وقد شاهدته من خلال قواعد لأعمدة محفورة داخل الجبل، وخلف هاتين الحجرتين توجد ثلاث حجرات أخرى صغيرة الحجم غير مسقوفة. بقية المنحوتات التي شاهدتها برهنت لي أن هذا الصرح أكثر جمالاً وأجود صنعة من الصروح الأخرى.

يوجد معبدٌ آخر في الناحية الشرقية، أيّ الجزء الشمالي الشرقي للحفرية الكبيرة ولكن لم نجد منه غير بوابة واحدة. تشاهد على هذه البوابة مجموعة من المنحوتات البالية إلا أنها كانت سابقاً جميلة ومتقنة. وخارج المعبد يوجد تمثال لمذبح فقمت برسمه ووضعت عليه قرابين. وأمام بوابة هذا المعبد رواقٌ آخر ولكني لم أشاهد غير اثنتين أو ثلاث قواعد لأعمدة ، خلفها أسوار وحجارة مكومة، وبلا شك أنها كانت تشكل حجرات هذا المعبد ، وكان الرواق قريباً من هذه الحجارة المكومة. أمام هذا المعبد وفي الناحية الجنوبية الغربية يوجد صرح أثري آخر ويبدو أنه كان ذا شأن في زمانه ، أما الآن فلم يبقَ منه غير حجرتين دون سقف مهدمتين تماماً. إحدى هاتين الحجرتين تشكل المعبد الجنائزي، وفي هذا المعبد الجنائزي توجد بعض المنحوتات على الجدران. وفي وسطه مذبح من الحجر لكن لا توجد عليه منحوتات. هذا الصرح محاط بكثير من الأنقاض وحطام الأسوار المتناثرة، ويوجد في وسطه تمثال التيفون العظيم وأنقاض لآثار أخرى

مهدمة تماماً. وشاهدت بقايا أسدين[1] من الجرانيت الأحمر صناعتهما جيّدة . ولسوء الحظ هذه البقايا تكسرت لقطع صغيرة، وكان هذان الأسدان في موقع واحد ومظهرهما جميلٌ جداً ، ونحتا بعناية فائقة على الطريقة المصرية. قمت برسم هذه القطع بدقة متناهية . لكن برغم الدقة التي استخدمت في رسمها إلا أن تلك القطع على الطبيعة تبدو أكثر جمالاً من الرسم. أعتقد أن هذين الأسدين كانا عند مدخل الصرح ليزيناه. هناك أربعة أكوام من الأنقاض لكن من الصعب تحديد إن كانت لأربعة مواقع أثرية أم لموقع واحد، ولكني أعتقد أنها كانت لأربعة.

يقع أكبر المعابد مساحةً في الجهة الشرقية، وإذا كان حدسي صحيحاً كان أمام هذا الصرح رواقٌ وعمودٌ ولكنني لا أستطيع أن أجزم بأن هذا المعبد أكبر من معبد الكرنك ، [2] وذلك لأن كل أبعاده أصغر من أبعاد معبد الكرنك. هذا الصرح ربما كان من أجمل وأغني المعابد لكن في الوقت الحاضر فهو عبارة عن ركام من الأنقاض بسبب عامل الزمن والأمطار. أما بقية المنحوتات والتماثيل التي شاهدتها هنا فتؤكد بأن هذا الصرح كان في غايةً الجمال والروعة لمثل هذا الطراز من المعابد. أما بالنسبة لتصميم الصرح والذي تمعنته بدقة ، توصلت إلى أن هناك جزءاً أُضيف إليه مؤخراً.

أمام هذا الصرح وخلف العمود والدعائم توجد واجهة مهدمة ، وأمام هذه الواجهة توجد مجموعة من تماثيل أبي الهول مصنوعة من الجرانيت الأزرق، وهي من نفس الطراز الموجود في طيبة برؤوس الكِباش. وقد شاهدت بقايا لاثنين من هذه الكِباش. يوجد خلف هذه البوابة فناء به رواق دائري الشكل بين البوابة الأولى والثانية . لم نجد داخل هذا الرواق سوى قواعد لأعمدة.

البوابة الثانية كانت أكثر محافظة من البوابة الأخرى، ويوجد بالداخل سلم وحُجرات صغيرات وبالداخل أشكال عبارة عن مناظر حرب، وكانت غريبة في شكلها وقد بذلتُ جهداً كبيراً لرسم ما شاهدت. خلف هذه البوابة يوجد رواقٌ كبيرٌ يؤدي إلى

---

[1] . من المحتمل أن يكون هذان الأسدان هما اللذان أخذهما اللورد برودهو (Lord Prudhoe) في فترة لاحقة ، ومن بعد أهداهما للمتحف البريطاني عام 1835م ، وما زالا موجودين هنالك في المعرض.

[2] . محررة الترجمة :الوصف هنا لأكبر معابد جبل البركل ب 500.

حجرة قدس الأقداس. هذا الرواق مقسم إلى ثلاثة أجزاء كما هو موضح في رسوماتي التخطيطية ؛ وكل الجدران عليها زخرفة ومنحوتات تصور بعض المواضيع التاريخية. هذه الأعمدة منحوتة بطريقة جيدة ولكن من المؤسف أن كل هذه الآثار مدمرة تماماً ولم يتبق منها داخل الرواق سوى عمود واحد سليم . في الجزء الثاني منه تمثالٌ لطائر، ولكنني لم أر رجليه ويبدو أنه كان مومياء، ولم أر رأسه بالرغم من بحثي الشديد عنه. ولحسن الحظ وجدت عينة من هذا الرأس مصنوعة من الخشب في مجموعة السيد صولت (Salt) وعرفت أنها رأس طائر الباز. هذا الطائر منحوت على قاعدة عمود في شكل شبه دائري وعليه كتابة هيروغليفية، وهذا العمود مصنوع من حجر جميل ضاربٍ للزُرْقة وغامِق ومُزيّن بطريقة جميلة.

توجد داخل الحجرة الأخرى من هذا الرواق بين كل عمود وآخر قاعدة ربما أعدت خصيصاً لوضع التماثيل. ولكنني لم أجد أي أثر لهذه التماثيل. حجرة قدس الأقداس هي الأطول وهي مزخرفة بنقوش تبدو أكثر وضوحاً من تلك التي شاهدت في المنحوتات المصرية. هذه المنحوتات ذات أشكال شبه دائرية ومُحْدَوْدَبَة ، و بالرغم من أنها مكسرة لكن يمكن فحصها جيداً. لحظت في كل زاوية من زوايا هذه الحجرة أنّ الرسومات والأشكال الموجودة فيها هي نفسها الموجودة في المذبح الموجود في مؤخرة هذه الحجرة. شكل هذا المذبح شبه مكعب وفيه قطع من المنحوتات هي أجمل ما رأيت على الإطلاق في هذه البلدة، وهي من النوع الذي يمكن أن تزين به المتاحف. إنه عبارة عن قطعة من الجرانيت الأزرق ذات لون جميل وذرات ناعمة جداً. الجزء الأعلى منه مزين بالإفريز المصري وبضفائر. على الجانب الأمامي والخلفي يظهر شكلان يصوران شخصين يقومان بشد مجموعة من زهرات اللوتس، ويتوسطهما اسمان في خرطوشتين على طاولة صغيرة – إنه نفس المنظر الذي شاهدته على مسلة ديبود. في كل جانب وفي أعلى هذين الشكلين سطر من الكتابة الهيروغليفية. وفي الأسفل أشكال لأربعة أشخاص رافعين أياديهم إلى أعلى ، ويبدو أنهم يحملون في أياديهم خطّاً من النجوم ، يظهرمن فوقهم، وبين كل شخص وآخر خرطوشة وكتابة هيروغليفية منحوتة بطريقة بارزة وجيدة لم ألحظ مثلها من قبل ، خاصة اللوحة الأمامية.

توجد خلف هذه الحجرة مجموعة أخرى من الحجرات؛ التي على اليمين تبدو مغايرة للأخريات، لأنها في شكل معبد له مدخل لا توجد سواه مداخل تؤدي إلى الحجرات الأخرى المجاورة. وفيها مذبح وقاعدة لعمود من الجرانيت جيد الصنعة والشكل وغاية في الجمال مقارنة بالأعمدة الأخرى. ولكن للأسف كل هذا الجمال لم يبق منه غير قطع متناثرة هنا وهناك. هذه القطع من الحجارة مزيَنة بنقوش من الكتابة الهيروغليفية. ويوجد في مقدمة الحجرة سُلَمٌ منحوتٌ على هذه الحجارة، وأربع حفر في الاتجاهات الأربعة، مما أوحى لي بأن تمثالاً كان في هذا المكان. ومن جانب آخر إذا لم تكن هذه القطع داخل الحجرة لظننتُها قاعدة لإحدى المسلات.

في إحدى الحجرات التي تقع على شمال قدس الأقداس هناك بعض الأعمدة الموزعة داخل أسوار، ويبدو لي أنها كانت موجودة قبل الرواق الذي تهدم فيما بعد، وهذه الأعمدة تجزأت إلى قطع صغيرة. أما الحجرات الأخرى فقد شاهدتها بصعوبة لأنها مدمرة تماماً. في الناحية الشرقية الشمالية للمعبد وجدنا بعض التماثيل في الخارج مشابهة للتماثيل التي شاهدتها بالداخل ، فهي كبيرة ومجوَفة. ووجدت رأساً لأحد هذه التماثيل، وكل الجدران مجصصة ولونها يميل إلى الأحمر.

في الجهة الشمالية وخلف الواجهة الثانية داخل هذا المعبد وعلى الجدران شاهدت بعض المنحوتات، ولكن لم يبق منها غير بقايا صغيرة جداً ، وحاولت أن أرسمها ولكني أظن قد لا أستطيع رسم الشكل الحقيقي لهذه الأشكال. على كل قاعدة من القواعد الموجودة بين الأعمدة أمام حجرة قدس الأقداس يوجد تمثال للتيفون لكنه مهدم تماماً. بالإضافة لهذا المعبود هناك تمثالان لامرأتين أمام المذبح داخل قدس الأقداس. وجدت بالقرب من المعبد وفي الجهة الجنوبية الغربية منه قاعدة عمود ليس في موضعها. وكان شكل المادة المصنوعة منها تختلف عن مادة الأعمدة الأخرى ، فهي من الحجر الرملي المحروق. ويبدو أنها من الطراز القديم جداً. وقمت برسمها مع إعطاء وصفٍ دقيقٍ لها. ثم بحثت أمام هذا الصرح عسى أن أجد أثراً لبناء بالقرب من النيل أو ممراً إلى التماثيل ولكني لم أعثر على شيء.

بالقرب من الجبل وفي الجهة الشمالية الشرقية حيث يوجد المعبد وجدت مجموعة من الأواني المهشمة شبيهة بما وجدناه من مومياءآت لطيور في سقارة وطيبة. ووجدت أيضاً أنقاضاً لأسوار داخل الجبل أظنها كانت مدافن لحيوانات مقدسة ، وأنقاضاً أخرى في هذا الجانب وفي الشرق والجنوب. كما وجدت أنقاضاً لمدينة في جانب النيل عبارة عن طوب أحمر وفخار مبعثرة داخل الأحراش . وشاهدت أيضاً مجموعة كبيرة من الآثار في هذا الموقع وعدداً كبيراً من بقايا أعمدة صغيرة وتيجان لأعمدة شبيهة بالطراز المصري لكنني أعتقد أن الذين بنوا هذه الآثار هم أناس مختلفون عن الذين بنوا الآثار الأخرى، وأعتقد أن أعداداً كبيرة من الأعمدة داخل الأروقة والمذبح الصغير هي من الطراز نفسه الذي شاهدته في تافا في النوبة السفلى. وهناك ثلاثة مذابح متشابهة وقطع عديدة من المنحوتات المتشابهة.

خلف الجبل ومن الناحية الشمالية الشرقية وفوق تلة وجدت أنقاضاً لأثر تاريخي ولكنه مهدمٌ تماماً ومعالمه غير واضحة. هذا الجبل لا يمكن الصعود إليه إلا من جهة الشمال. وفي الجانب الغربي تقبع أهرامات نوري.

الاثنين 15 من أكتوبر 1821م

في صباح هذا اليوم جلبت بعض الخيول للذهاب لتلك الآثار التي شاهدتها عند مغادرتي تنقاسي . في البداية شاهدت عند محاذاتي لأطراف بعض الجبال الصغيرة المحاذية للأراضي المزروعة ، مقابر محفورة داخل الحجر فيها عظام بشرية ولم تكن مثيرة للاهتمام. كما شاهدت أيضاً بعض المحاجر. وفي قرية صغيرة تسمى أوصوت (Ossuot) يوجد منزل الملك علي يحيط به سور تحتمي بداخله عشيرة الملك وبالأخص في أوقات الحروب. وعلى مقربة منه يوجد منزل الملك أبعاشه . وشاهدت أخت هذا الأمير وهي تركب حماراً وهي لا تختلف عن النساء الأخريات في ملبسها. ليس بعيداً عن هذا المنزل يوجد منزل الملك شاويش ، من عظماء الشايقية وذو شخصية جريئة وصارمة مما جعل الباشا يرسله إلى سِنار لجلب الذهب من المناجم القريبة من الحبشة. يقوم بيت هذا الملك على موقع أثري لأنني شاهدت في مكانه جزءاً من سور به بعض

الحجارة وعليها كتابة هيروغليفية. أمام بوابة المنزل يوجد حجرٌ من الجرانيت المنحوت لونه أسود وشكله شبه مكعب وفي أحد أجزائه لوحة صغيرة عليها كتابة هيروغليفيـــة. وهذا الحجر يستخدم كمقعدٍ للملك شاويش، وهذا المكان يسمى مروي. وبحثت عن الاسم مروي في باقي الآثار ولكن لم أجد له أثراً. ومن جانب آخر شـــاهدت بعـــض الآثـــار المحفورة في الحجارة الموجودة في السهل الموجود بين النيل والجبال[1].

اكتشفت أن الأنقاض التي كنت أعتقد أنها لأثر تاريخي كبير إنما هي لقرية تسمى كجبي تقوم على تلة عالية ، لم تعمر بالسكان منذ هزيمة الشايقية. فقد هجرها ســكانها بعد أن قاموا بحرق وتدمير جزء كبير منها منذ ذلك التاريخ مما حول القرية إلى مكان قفر وخرابات. كان يحكمها الملك شورادو والذي فر منها هو وأهله بـسبب الحـروب. ويقال إن هؤلاء القوم يعتبرون من أخطر لصوص الشايقية. كانوا يذهبون حتى أرقـو ووادي المحس وبربرمن أجل النهب والسلب. وذهبت إلى منزل الملك ولكن الباب كان موصداً ولم أتمكن من الدخول، وشاهدت منازل كثيرة بكامل أثاثها. ووجدت ســرجين لحصانين غاية في الجمال ومن صنع أهل المنطقة وطلبت من الجنود الذين كانوا برفقتي أن لا يأخذوهما لأننا لا نريد تخويف أهل هذه البلدة. ووجدت أحــد العبيــد طلــب أن يصطحبني لأنه أوشك أن يموت من الجوع ، فأطعمته وطلبت من سيده أن يبيعــه لــي لأني لا أريد أخذه دون موافقة سيده.

ومررت بأراضٍ مزروعة وشاهدت بلدة مخضرة وجميلة بادي اهتمام أهلها بهـا، ولكن كان من الممكن أن تكون أكثر خضرة وجمالاً إذا كانت في أيادي أنــاس يبــدون اهتماماً أكثر بالزراعة.

---

[1]. هذه قلعة الملك شاويش وهي ما زالت تشاهد الآن في مروي الشرقية. وما زالت هنالك بعض الكتابــات الهيروغليفيــة الموجودة على بعض الكتل الصخرية التي نقلت من موقع نبتا (مروي الغربية) حيث توجد بعض الآثار المــصرية. تــم العثور كذلك من حوالى القلعة على كسرات من الفخار المسيحي الملون. هذه القلعة استخدمت كمركز في الفترة التركيــة ، وما زالت شامخة اليوم رغم حالتها الخربة.

مغادرة البركل
الطريق إلى شندي والمكوث بهذه المدينة

الثلاثاء 16 من أكتوبر 1821م

لماَّ كنت قد حددت تاريخ مغادرتي للبركل ليكون في ظهر اليوم السابع عشر من أكتوبر، فقد أمضيتُ الصباح في ترتيب أغراضي وإعداد بعض الهدايا للقائمقام وبعض الشخصيات التي عليَ بعض الالتزامات نحوها. وعند منتصف النهار، وبعد جهّزت الإبل ، حَّملنا عليها أغراضنا وارتحلنا وكان أدلاؤنا في الطريق من الشايقية، وهم أناس طيبون ومرحون جداً. وفي سيرنا مررنا أمام أهرامات نوري بالقرية التي يسكن فيها القائمقام، الذي استقبلني بحفاوة ودعاني لوجبة العشاء.

الأربعاء 17 من أكتوبر 1821م

في صبيحة اليوم التالي سرنا لمدة أربع ساعات ونصف الساعة، لم أر خلالها إلا أراضي زراعية قليلة وقليل من الناس. وعلاوة على ذلك فإن كل من لمحنا على البعد ولّى هارباً. كما أن الناس الذين كانوا برفقتي بدوا كأنهم أعداء حقيقيون لهؤلاء القوم الذين هم مواطنوهم ، وما كان لديهم مانع في نهب كل ما وجدوه أمامهم إن لم أمنعهم. عندما وصلنا الحامداب عند منتصف النهار كان الناس قد فروا من منازلهم ولم نجد فيها أحداً. وطلبت من رفقائي أن لا يأخذوا شيئاً من هذه المنازل. مكثنا بأحد هذه المنازل حتى انزوت شمس الظهيرة، وعند الساعة الثالثة عصراً واصلنا السير حتى وصلنا إلى قرية تسمى أمري، جلب لنا أهلها الطيبون الأسِّرّة وكمية كبيرة من العشب لإبلنا. الرجال الذين كانوا برفقتي زعموا أن رجال الباشا الذين أتوا إلى هذه المناطق لإصلاح القرى وتطويرها كانوا رجالاً طيبين، والآن وفي اللحظة التي أكتب فيها هذه اليوميات وجدت نفراً من سكان هذه المنطقة يثنون عليّ وطلبوا مني أن أذكرهم بخير عند الباشا. وأحد هؤلاء الناس قال إنّي رجل شجاع وإني كالثور. بالرغم من أن هذا الثناء لم يعجبني ولكن حسب بيئتهم هذا أجمل مدح سمعته في هذه المنطقة. من جانبي

عاملتهم برفق وحنكة وطلبت منهم خروفاً بشرط أن أدفع ثمنه . وبالفعل وعدوني بذلك ولكن رغم كل هذا خشيت أن لا أجد لحماً طرياً لهذا المساء.

غير أني رأيت رجلاً وظننت أن معه خروفاً ولسوء الحظ لم يكن خروفاً بل كانت نعجة وأنا لا آكل لحم النعاج ، لذلك أرجعتها إلى صاحبها وأخبرته بأني لا أنكر عليه كرمه هذا، وكان ذلك من باب المجاملة. كل مَنْ التقيت به أثنى عليّ ثناءً جميلاً وذكروا لي أنني لست كالأتراك وأنهم لم يروا رجلاً سمحاً مثلي.

في المساء زارتنا العناية الإلهية بتعويضنا عن الخروف لأن ترجماننا اصطاد غزالاً وكان لحمه أطيب لحمٍ. وأحضر لنا أهالي المنطقة اللبن والدُخن بكميات كبيرة، والدخن لم يكن مظهره حسناً ولكن مذاقه حلوٌ جداً.

الخميس 18 من أكتوبر 1821م

بدأنا في السير منذ طلوع الشمس حتى الساعة الحادية عشرة والنصف وتوقفنا عند قرية شبابيت ، وكالعادة فر الناس منا. وأخذنا قسطاً من الراحة في أحد المنازل، وأمرت أصحابي بألا يؤذوا أحداً. وعندما حضر أصحاب هذه المنازل أهديتهم بعض الأشياء الصغيرة. ومن هذا المكان سرنا لبعض الوقت حتى وصلنا إلى مكان الملك عمر. وفي أثناء الطريق شاهدت على تلة أطلالاً لمدينة صغيرة في إحدى الجزر.

عندما وصلنا إلى الملك وجدته مريضاً وعلمت بأنه قد أُجريَت له عملية حصوة قبل أيام قليلة، وكانت هي العملية الثانية التي أُجريت له . وحكى لنا بأن هذه الحصوة عندما بدأت تتكوّن اشتدت عليه الآلام وأغلقت الحصوة مجرى البول وتضايق كثيراً، فاضطر أن يقوم بإخراج الحصوة بطريقة بدائية بوساطة موس. استقبلنا بحفاوة كبيرة في منزله وأخبرني بأنه سوف يرسل لي جملين حسب طلبي في هذا المساء. وفي المساء مرّ بالقرب منّي ضبعٌ أيقظتني أنفاسه من النوم ، فتناولت بندقيتي التي كانت تحت رأسي وصوبَتها تجاهه ولكنه أفلت منّي. وقد أيقظ صوت البندقية الترجمان. وكانت الضباع تطوف حولنا وحول إبلنا طوال الليل.

الجمعة 19 من أكتوبر 1821م

في الصباح انتظرنا لمدة ساعتين للحصول على إبلنا ولكن لم نحصل إلا على جملٍ واحد ، ولم أكن أتوقع المزيد ولهذا قررت الرحيل واضعاً في الاعتبار أخذ أي جمل نجده في طريقنا . وواصلنا السير حتى منتصف النهار، تارة على ضفاف النيل وتارة من خلال الجبال. وتوقفنا في مكان توجد فيه ساقيتان وتقريباً ثلاثة أو أربعة أكواخ بالقرب من النيل. ومن بداية الشلال في نوري كان مظهره شبيهاً بشلال وادي حلفا. أضف إلى ذلك أنه لم يكن سهل الاجتياز بالمراكب. ووجدنا عددا كبيراً من الجزر ولحظت قلة المياه وضيق الممرات وقلة الأشجار في هذه الجزر وأن الصخور الموجودة فيها تختلف عن الصخور الموجودة في وادي حلفا، فهي عبارة عن جبال صخرية سوداء . لكل ذلك نجد أن الزراعة في هذه الجزر قليلة.

في المساء بتنا في حوش الجروف[1] . وكانت هذه المنطقة تشكل آخر قرية في ديار الشايقية. وشاهدت في الضفة الأخرى من النيل بعض الجنود في طريقهم إلى بربر حيث يقيم إبراهيم باشا . لم نجد الترحاب من الناس في هذه الديار كما وجدناه في المناطق الأخرى ولم تكن معاملتهم لنا كما ينبغي ، ولكن أستطعنا أن نأخذ منهم ما نريد.

السبت 20 من أكتوبر 1821م

تحركنا في الصباح الباكر ومررنا بمنطقة تكثر فيها فئران الحجارة. هذه المنطقة تشكل الحد الفاصل بين ديار الشايقية والمناصير[2] ، والأخيرون يتزعمهم الملك السوكري. وهذه الحدود أيضاً تفصلها مجموعة من الجبال الصغيرة تسمى جبل ميناير. وبعد ذلك وصلنا إلى بيرلي. وبعد أن تجاوزنا هذه القرية الصغيرة سرنا خلال الجبال حيث اعترضتنا عقبة بوكي ولم نجد سبيلاً إلى ضفاف النيل. واصلنا السير لمدة ثلاث ساعات لتجاوز هذه العقبة التي كانت عبارة عن صحراء موحشة طبيعتها حجرية وغير مستوية ولكن لا توجد فيها جبال شاهقة . وفي الجهة الشمالية يوجد جبل مرتفع قليلاً

---

[1] . يقع حوش الجروف على الحد الحالي بين منطقتي بربر ودنقلا.

[2] . المناصير قبيلة نيلية تقطن المنطقة حول الشلال الرابع.

يسمى بركل سومو[1]. عندما تجاوزنا العقبة وجدنا جزيرة ورأينا عليها جبلاً يسمى جبل يوبوكي، وقد أخذت الجزيرة اسمها منه . وهذا الجبل له سلسلة ممتدة مع الجبال الأخرى ويرى من الضفة الأخرى للنيل وهو أكثر ارتفاعاً من جبل البقدان ، وتوجد في هذه الجبال نوع من الحجارة الصلبة لم أرها في جبل يوبوكي. ليس بعيداً من هذا المكان مررنا بقرية تتكون من ثلاثة أكواخ وساقية ومسجد مكثنا به بعض الوقت إتقاء الحر. عندما غادرنا هذه القرية دخلنا في سلسلة من الجبال واعترضتنا عقبة بيد التي أخذت اسمها من جبلين قريبين من نهايتها يحملان هذا الاسم نفسه. في المساء وصلنا إلى قرية تسمى السالمية حيث قضينا الليل. وطبيعة هذه المنطقة قاحلة لا يوجد بها غير الحجارة التي تتكون منها الجبال. تقريباً كل الجُزُر التي تقع على ضفتي النيل تبدو أكثر ارتفاعاً من غيرها، وأعدادها كبيرة وهي متقاربة وجداولها ضيقة بعض الشيء.

الأحد 21 من أكتوبر 1821م

في صباح هذا اليوم مررنا بعقبة السالمية ووجدنا صعوبة في تجاوزها. وقبل وصولنا إلى قرية نوريق شاهدنا جبلاً على ضفة النيل يسمى بيهال، وبالقرب منه توجد أنقاض قلعة من نفس طرز القلاع التي تنتشر في هذه الأماكن. فهي مبنية من الحجارة الخشنة وأسوارها محصنة. وعند منتصف الظهيرة وصلنا قرية بها بعض الأكواخ وقليل من الأراضي الزراعية. وعندما وصلنا قرية شيري وجدنا قافلة من الجلابة قادمة من أسوان استغرقت رحلتها خمسة عشر يوماً من السير عبر الصحراء وكانت محملة بالذرة لبيعها في القرى. وعند منتصف النهار قدمنا إلى قرية أبريمتا وهي مقابلة لقرية السلامات . عندها وقفنا لتناول الطعام والشراب. دليلنا في هذا المسير هو الرجل الذي أهداني إياه الملك عمر ومعه الجمل الذي أمتطيه الآن. في هذا المكان أخذ مني الجمل ليسقيه لكنه لم يرجع إلينا أبداً وهرب ومعه الجمل. غضبت جداً للحادثة لأنه لم تكن لدينا إبل كافية لحمل أمتعتنا ، وهذا الرجل أعطى نموذجاً سيئاً لبقية زملائه مما جعلني

---

[1] . جبل برق الشامون.

أخشى أن يقلدوه . ولكن لحسن الحظ لم يجرءوا على ذلك. ولم أنم في تلك الليلة لأنني كنت أراقب الشايقية الذين كانوا برفقتي وأحذرهم بأن الذي يحاول الفرار سوف يعامل معاملة قاسية. لكنهم ناموا بسلام.

الاثنين 22 من أكتوبر 1821م

في الصباح غادرنا هذه القرية ومررنا بعقبة الحويلة حيث يوجد وادٍ جميل مسطح ولكنه خالٍ من الأشجار والخضرة، فكل ضفاف النيل في هذا المكان يقطنها العبابدة الذين يزرعون رقعة صغيرة من الأرض ويملكون قطعاناً كبيرة من الأنعام. بعد ست ساعات من السير الحثيث وصلنا إلى قرية كبيرة تسمى الكاب وتوجد بها قلعة لأحد الملوك (اللوحة 14) وقلعة أخرى قديمة مهدمة. ولهذه القلعة أبراج وسور مزدوج. أما الأشياء الأخرى التي شاهدتها هي نفس ما شاهدت من قبل. وفي هذه القرية أخذت جملاً وجدته بين الأشجار ولم يطالب به أحد من الناس، وذهبت لكي آخذ جملين آخرين رأيتهما من مسافة قصيرة ولكن صاحبهما وصل إليهما قبلي واصطحبهما واختفى. كان أهل هذه القرية على درجة كبيرة من السوء ، فهم يرفضون أن يبيعوا لنا شيئاً. لذلك قررت أن آخذ أي خروف يظهر أمام عيني وأُعطي قيمته لصاحبه. وبالفعل وجدت مواطناً وأشتريت منه الخروف وقام بذبحه. وهذا الفعل لم يرض بقية سكان القرية. أما بالنسبة لنساء القرية فقد أهديت لهن مجموعة من العقود المصنوعة من الخرز مما نال رضاءهن ، وفي مقابل هذه الهدايا جلبْن لنا لبناً كثيراً.غادرنا هذه القرية في وقت متأخر ولم نفكر باصطحاب دليل معنا منها مما جعلنا نطوف الليل كله دون وجود قرية نبيت فيها، وعسكرنا في منتصف الصحراء بالقرب من النيل وكنت دائماً أخشى أن يهرب الشايقية الذين يرافقوننا مع إبلهم لذلك لم أنم إلا قليلاً.

وقبل أن يدركنا المغيب بساعة شاهدت جزيرة هي عبارة عن صخرة لكنها مضيئة جدا بفعل بياض االمرمر الذي تتشكل منه والذي يتناقض تماماً مع اللون الداكن للجبال المجاورة. هذا المنظر يعكس جمالاً فاتناً ، وهذه هي الجزيرة الوحيدة التي

شاهدتها بهذا الوصف. هذا النوع من الصخور يعترض النيل ويمتد حتى الضفة الأخرى ويتعداها إلى داخل الصحراء.

الثلاثاء 23 من أكتوبر 1821م

تحركنا في صبيحة هذا اليوم في الصباح الباكر وحاولنا البحث عن أي قرية صغيرة تقع على ضفاف النيل لكي نستريح فيها وعسى أن نجد بها عشباً لإبلنا. ولكن ضاعت آمالنا سدىً إذ لم نجد غير الصحراء، ووددت أن نلتحق بالمراكب الثلاثة التي قالوا إنها أمامنا وسوف تصل حتى الشلالات لجلب العبيد إلى القاهرة حسب أوامر إسماعيل باشا. وكنت أرغب في ذلك لأن هذه المراكب ستذهب حتى بربر وأن الجمَّالة الذين يصطحبونني هددوا بمغادرتنا . وكان هذا الأمر مربكاً لنا في منطقة لم يكن لنا فيها بدائل. ولكن حالفنا الحظ فلحقنا بهذه المراكب في حوالى الساعة العاشرة، وكانت راسية في الضفة الأخرى من النيل وعددها ثلاث ، وهي من نوع المراكب القيّاسة التي تستخدم للشحن. ووجدنا ركاب هذه المراكب ينتمون لنفس المنطقة ولنفس جنس الخدم الذين برفقتنا ويتكلمون لغة واحدة حيث إنهم تعارفوا مع بعضهم البعض وطلبوا منّا بعض البضائع لأنهم ظنّوا أن إبلنا هذه محملة بالبضائع وسألوا عما إذا كنا نحمل تبغاً . وعندما دخلت إلى داخل المركب طلبت منهم أن يأتوا إلى الجهة التي أجلس فيها ، فلبوا طلبي وسألتهم عما إذا كان معهم عساكر فأجابوني بالنفي. وبعد ذلك رأيت جنديين كانا داخل المركب وأظنهما قد أتيا لأخذ البضائع التي كانت بحوزتنا دون مقابل. وحالما جلسا معي طلبا مني التبغ فقلت لهما بوساطة الترجمان: نحن أوروبيون ومسافرون ولا نحمل إلا ما نحتاج إليه وليس عندنا شيء نبيعه . وفي الحال غضبا من هذا الحديث وقالا لنا: أنتم قلتم لنا أنّ لديكم تبغاً. واحتدم النقاش مع الترجمان وقالا له: لماذا تتحدث معنا بلهجة حادة وأنت مسيحي مثلنا؟ هذا الكلام جعل الترجمان يشتاط غضباً ويشهر عصاه أمامهما. وفي الحقيقة أن الترجمان كان يصر بأن يقول لنا إنه مسيحي، وأظنه كان كذلك، ولكنه الآن ليس بمسيحي. وبما أن النقاش كان حول التبغ فإنني أمسكت زمام غضبي طيلة هذا النقاش إلا أنني بدأت أكيل لهما الشتائم مستخدماً بعض الكلمات

البذيئة باللغة العربية، وهددتهما بأنّني سوف اشتكيهما للباشا وأخبرتهما بأنني أمتلك كمية كبيرة من التبغ ولكنني أرفض أن أعطيهما أي شيء منه. وعندما رأياني أشتاط غـضباً لانا قليلاً وسألاني: إذاً لماذا حضرت إلينا ولم يكن لديك شيء تقدمه لنا. فأوضحت لهما بأنني في حاجة للمراكب.

وبدأ نقاش آخر، ومن جانبهما رفضا أن يعطيانا المراكب مع أنهما ليسا بحاجة إليها. وكان هناك معسكر للجيش في الضفة الأخرى من النيل سوف يمرون به. لكنهما كانا في حالة شديدة من الغضب والانفعال وفرا من أمامنا. من جانبي قررت أن آخـذ المراكب بالقوة ، ولكن البحارة الذين بصحبتي نصحوني أن أتركهما يذهبان ، وعندما يمرون بالمعسكر سوف يأخذون منهما المراكب . ولكن العسكر الذين بصحبتهم قـالوا من الأفضل أن أذهب معهم إلى قيادتهم في المعسكر ومعي طلبـي بأخـذ المراكـب. وبالفعل أخذت سلاحي لكي أرافقهم إلى المعسكر في الضفة الأخرى من النيل ، ولكـن حالما تأهبت لصحبتهم تركوني وأبحرت مراكبهم. وهكذا رجعنا إلى إبلنا وواصلنا السير حتى وصلنا إلى قرية صغيرة. وفي هذا المكان حصل خلاف بيننا وبين الجمّالة الـذين برفقتنا ؛ فهم يودون الرجوع وأعتقد بأنهم يريدون أن يتركوننا عند أول سانحة تـسنح لهم. ولذا قررت أن أتخلى عن فكرة الارتحال بالبر إذا أتت المراكب لتحملنـا وقلـت لهؤلاء الجمّالة سوف أبقى في هذه القرية حتى تأتي المراكب. وبالفعـل أتـت ثـلاث مراكب وكانت تتقدمهم مركب مرت من أمامنا في حوالى الساعة الثانية بعـد الظهـر، وناديت عليهم ولكن دون جدوى ، وقالوا لنا: ما بكم؟ وأعتقد أن المـركبين الآخـرين سوف يحذوان حذو هذا المركب ولهذا سوف يكون موقفنا حرجاً! ولأننـا لا نريـد أن نكون في منتصف الطريق خاصة وأن الجمالة يريدون الرجوع إلـى البركـل أو إلـى بربر. والمشكلة الأخرى أنه لا يوجد كاشف في هذه القرى المجاورة . ولكـن لحـسن الحظ كان تقديري خاطئاً بخصوص المركبين الآخرين لأنهما عندما مرا بجانبنا أخبرنا أصحابها بأنهم سوف يأتون إلينا. وبالفعل رأيناهم يتجهون نحونـا، وكـان فـي أحـد المركبين شاويش وهو قبطان في ميناء بولاق، وهو قائد لهذه المراكب الثلاثة. ورأيـت أنه الشخص الذي يجب أن أرتب أموري معه. وطلبت من الترجمان أن يدعوه لتنـاول

فنجان قهوة معي، ولكنه لم يجب وبقي في مركبه وعاد الترجمان غاضباً، وأخبرني بأنه قال له إنه سوف يأتي. وانتظرناه طويلاً. وبينما كنت أتجول هنا وهناك رأيت الشاويش يخطو نحونا ، فاستقبله الترجمان من غير ترحاب وقال له: الله يلعنك!!.. وقال له أيضاً: لو دعونا الباشا نفسه لحضر فمن أنت؟ فأنت لا تساوي شيئاً وجعلتنا ننتظرك طـويلاً. ولكن الشاويش لم يرد عليه، ومما زاد حيرتي سمعته يلقي إليّ التحية بالإيطاليـة ولـم أجبه، فرد عليّ التحية بالتركية، وعندما سألته عن سبب الغطرسة هذه أجاب بالإيطالية أيضاً أنه يخاف أن يُقطع رأسه، وقلت له: لكن أنت أوروبي.. فأجاب بالإيجاب ، وقلت له: لا تخف من شيء وأترك كل الأمر لي. شعرت بأن هذا الرجل من الزنت(Zante) وأنه تحت حماية الإنجليز وأنه عمل كثيراً في السفن الإنجليزية ، وعرض عليّ جـواز سفره وأخبرني بأنه كان على ظهر السفينة نفسها التي كان بها الدكتور.

هذا الرجل يدعى إبراهيم، وهو من فريق القاهرة الذي يعمل في خدمة الباشـا لتمرير المراكب من خلال الشلالات، وأخبرني بأنه قدم خدمات كثيرة للباشا لكن الباشا تجاهل هذه الخدمات. ووعدته بأن أُخبر الباشا بخدماته ، وقال إنه وصل حتـى دنقـلا ولكنه لم يتجاوز ذلك، وأسرّ لي بأنه ينوي الفرار، ولكن عندما أتيت طلب مني أن أطلب له إجازة من الباشا وأن أصحبه إلى القاهرة. وقد ترتبت هذه الأمور تماماً.

تم تجهيز المركبين وقررنا أن نغادر في صباح اليوم التالي وعدت إلـى أهـل الإبل وطلبت منهم العودة، وأن يذهبوا إلى حسن كاشف لكـي يعطـيهم أُجـرتهم، وإذا رفض بأن يعطيهم عليهم أن يذهبوا إلى دنقلا ويطلبوا من عابدين كاشف بـأن يـوفيهم حقهم، لأن كاشف البركل قد أرسل هذه المبالغ لمساعده في دنقلا . وأعطيـتهم هديـة عظيمة فرحوا بها كثيراً. شكروني كثيراً وأخبروني بأنهم لم يروا جندياً في حياتهم بهذه الطيبة وسررت أنا أيضاً لسرورهم.

قضينا الليل في هذه القرية واحتفلنا مع أهلها ومع أصحاب المراكب والجمّالـة. ويمتاز أهل هذه المنطقة بالمرح خاصة النساء اللائي يحببن الضحك ولم يكنّ كريهـات مثل الفلاحين وذلك من طبعهن. ومن جانب آخر فهنّ جمـيلات بـالرغم مـن سـواد بشرتهن.

الأربعاء 24 من أكتوبر 1821م

في الصباح الباكر وضعنا كل أغراضنا في المركبين ؛ أما أنا والدكتور فأبحرنا في واحدة ، والترجمان والقادم الجديد في المركب الآخر، ولم نكن في أحسن أحوالنا ولكن لا يوجد خيار لدينا أفضل من ذلك. وأخذنا معنا خيمة لتقينا حر الشمس لأننا لا نتوقع أن يكون حالنا أفضل مما كنا عليه في القرية الأولى التي تجاوزناها حيث نفترش البروش وفروع أشجار النخيل.

حينما عبرنا الشلالات كانت الرياح تهب من الناحية الشمالية الشرقية دون توقف، ولهذا كان من المستحيل أن ننصب الشراع للمراكب، لذلك نصبنا خيمة كبيرة لتقينا خطورة الرياح والتيار وظللنا على هذه الحالة حتى وصلنا في المساء إلى قرية هاش كوش (Hash Couch)[1] شيخها يدعى محمّد ، جلب لنا لبناً وخبزاً من الذرة. وشهدت في هذا الموقع قسوة وفظاظة الفلاحين المصريين . وبالرغم من حديثي معهم إلا أنهم لا يتوقفون أبداً عن ارتكاب الأخطاء. وبما أن المراكب تتبع لهم وقد وافقوا بأن يوصلونا إلى ضفاف النيل، لهذا لم أعاملهم كما أعامل الناس الذين كانوا برفقتي.

لم يجد هؤلاء البحارة رجلاً في هذه القرية البائسة لكي يساعدهم في نصب الشراع، لأن رجالها كلهم لاذوا بالفرار. فأخذ البحارة من هذه القرية ماعزتين كما أخذوا كل النساء الجميلات وحبسوهن في واحدة من المراكب معتقدين بأن هذا السلوك سيحمل الرجال على الرجوع، ولكن هذا التصرف لم ينجح. وبدأت النساء في البكاء وكأننا بأخذ هاتين الماعزتين أخذنا كل ثروة القرية. ويقال أن الباشا يأمر بأخذ أغنام هؤلاء القوم ولكنني لا أصدق هذا الإدعاء لأن الباشا لا يمكن أن يفعل ذلك. عندما أدخلنا النساء إلى داخل المركب حضر أحد الأعراب إلى ضفة النيل وطالب بالنساء. ولسوء الحظ كان يحمل سيفاً وحينما شاهده البحارة سبوه وقالوا له أنه مسلح فأخبرهم بأنه لا يريد قتالاً بل يريد النساء.

---

[1] . هل هي قرية الشمخية؟

وطلبوا منه أن يساعدهم في شد أشرعة المراكب ، وتمادوا أكثر من ذلك بأن طلبوا منه أن يعطيهم سيفه. فرفض رفضاً شديداً وقال إنه عبَّادي وأنه من جنود شيخ كاشف أحد أتباع الباشا، وأخبرهم بأنه سيوافق على شد الشراع بشرط أن يطلقوا سراح النساء. ولكنهم أجبروه على شد الشراع بالضرب والشتائم ودخل معهم في عراك شديد حتى أن أحدهم أوقعه على الأرض وهجموا عليه وطلبوا منه تسليمهم سيفه . إلا أن هذا الرجل العربي الشريف لم يستسلم ورفض أن ينزع سلاحه الذي لم يكن يريد أن يستخدمه ضد أناس مسلحين بالعصي. وعندما وقع على الأرض انهالوا عليه ضرباً بالأرجل والعصي وأوسعوه ضرباً بالعصي من الخلف ومن الأمام. واستدعوا الشاويش الذي حضر إلى المكان وهو لا يعلم ماذا يفعل ولكنه تصرف كالأتراك وانهال عليه ضرباً بالكرباج حيث ضربه اثني عشر سوطاً مما جعل الأعرابي يتأذى كثيراً. ما حصل جعلني أعاتب الشاويش على فعلته تلك وقلت له إنني لا أقبل أن يفعل مثل تلك الأفعال. ولكنه ردّ عليّ بالإيطالية بأن الذي لا أفهمه أن الذي يعيش مع الأتراك لابد أن يسلك سلوكهم وإلا سوف يعامل معاملة سيئة.

أحزنني مشهد العبّادي المسكين وهو مغشي عليه ومضرج بالكدمات والرضوخ، ولكنني سررت لمجئ الشيخ محمد الذي أمر باطلاق سراح النساء وإرجاع الأغنام والسيف، ولكن حسب ظني أن العبادي لن يكون راغباً في المرات القادمة أن يتشاجر مع هؤلاء الفلاحين الملاعين حتى لو كان السبب النساء ، لأن هؤلاء الفلاحين أكثر وحشية بألف مرة من الجنود أنفسهم.

وصل بنا المقام بالقرب من منزل الشيخ محمد حيث قضينا الليل.

الخميس 25 من أكتوبر 1821م

تحركنا مبكراً في هذا اليوم وبعد قرية هاش كوش وجدنا النيل ينعطف ناحية الشمال بنحو ثلاثة أميال تقريباً . وفي منتصف المسافة في الضفة الشرقية للنيل تقع قرية على تلة عالية كان الجزء التحتي منها غارقاً في مياه النيل. بنهاية انعطاف النيل وعند الجهة اليسرى نجد أن مجرى النهر ضيقٌ جداً وتوجد جزيرة صغيرة منشطرة

إلى جزئين، تسمّى تولتي وبها منزل أحد الشيوخ في شكل قلعة. هذه الناحية من النيل مليئة بالحجارة الكبيرة التي تعيق مجراه وتشكل عقبةً كبيرةً. وتوقف مركبنا عند المؤخرة. وقبل حلول الظلام قررنا الانضمام إلى المجموعة الأخرى وقضينا الليل في هذا المكان.

الجمعة 26 من أكتوبر 1821م

في الصباح بحثنا عن رجال لشد الشراع في القرية الصغيرة التي تبعد قليلاً عن المكان الذي قضينا به الليل. ولكن عندما حضر الرجال وجدونا قد شرعنا في الرحيل. وبعد ذلك وصلنا إلى جزيرة مقرات . كان مجرى المياه في الناحية الشمالية يبدو عريضاً وتكثر فيه الشلالات هي الأكثر خطورة من سابقاتها. والمياه هنا تجري في انحدار شديد دون وجود عمق كبير حيث توجد كميات كبيرة من الحجارة. ويوجد أيضاً ممران آخران وهما الأكثر خطورة حيث صعب على المركب أن تمر من هذه الناحية. وفي الضفة الأخرى من الجزيرة توجد مجموعة من الحجارة تُضيِّق مجري النيل، ويوجد ممرٌ ضيقٌ للمراكب الصغيرة، وهي المفضلة لديهم لأن سقوط المياه وتدفقها بطئ جداً مع وجود أعدادٍ كبيرة من الناس الذين يمكن أن يساعدوا في شد الأشرعة وتسهيل عبور المراكب من خلال الشلالات. وخشينا المجازفة حتى لا يتحطم مركبنا ولهذا آثرنا إصلاح بعض الثقوب في مراكبنا بدلاً عن التحرك.

وصلنا عند منتصف النهار إلى مكان المركبين الآخرين وكان ترجماني والشاويش يظنان أن المركب سوف يتحطم وسوف نفقد كل أغراضنا. المجموعة الموجودة في المركبين الآخرين أرسلت لنجدتنا بعض الرجال وكلَّ البحارة في المركبين مستخدمين القِرَب المملوءة بالهواء للوصول إلينا لإنقاذنا. وعندما التأم الشمل مكثنا حتى الساعة الثالثة نصلح المركب من الأعطاب التي لحقت به بسبب الممرات الضيقة والشلالات الموجودة في هذا الجزء من الجزيرة. في الحقيقة كل المراكب تسربت إليها المياه وهذا شيء غير مستغرب لأنها طيلة ثمانية عشر شهراً لم يتم ترميمها وهي تبحر باستمرار وسط الحجارة.

السبت 27 من أكتوبر 1821م

في هذا اليوم لم نستطع المغادرة إلا عند منتصف النهار لأننا لم نتمكن من جمع عدد كاف من الناس. وشققنا طريقنا بصعوبة حيث النيل ملئ بالحجارة والشلالات الصغيرة مما جعل المراكب تمر بصعوبة . كما هو الحال بالنسبة للرجال ، فإنهم لم يجدوا مكاناً يستطيعون الوقوف فيه لشد الشراع، لأن ضفاف الجزر والنهر شديدة الانحدار ومليئة بالأشجار مما اضطر معه هؤلاء الرجال أن يسيروا في الماء دون أن يسبحوا.

لحظت منذ وجودي في جزيرة مقرات أن هذه الجزر مكسوة بأشجار السنط وبأعدادٍ كبيرةٍ من أشجار الدوم، ومن الملحوظ أيضاً قلة الأراضي الزراعية. والسكان في هذه المنطقة يعيشون على الألبان وأشياء الأخرى ولهم أنعام كثيرة. ذهبنا إلى منزل الملك أبي عجيل[1] وأستطيع أن أجزم أن أسوأ مزارع الأبقار في بريطانيا بها مساكن أفضل من مسكنه. وبتنا على مقربة من قرية صغيرة حيث يوجد شلال صغير لا يمكن عبوره إلا قبل حلول الظلام.

الأحد 28 من أكتوبر 1821م

تحركنا في هذا اليوم بعد طلوع الشمس وواصلنا السير حتى المساء. لم يكن النيل سيئاً ولكن واجهتنا بعض العوائق مثل شد الشراع. وقضينا الليل بين جزيرة صغيرة وجزيرة مقرات. والنهر في هذه الناحية جميل جداً ومجراه ضيق وضفافه مكسوة بالخضرة والأشجار العالية التي تلامس أوراقها النيل مما يعطي هذا المجرى منظراً خلاباً. وعند المساء وصلنا إلى قرية صغيرة تسمى الكرمل تقع على جزيرة مقرات وقضينا بها الليلة.

---

[1] . ربما كان هذا اسم المنطقة (أبو عجلي) وليس اسم الملك.

الاثنين 29 من أكتوبر 1821م

أبحرنا في اليوم التالي وكنا دائماً نقوم بشد الحبال حتى الساعة الثالثة بعد الظهر حيث وصلنا إلى نهاية جزيرة مقرات، وهنا أخذ النيل يجري مجراه الطبيعي نحو الجنوب. وأعتقد أن هذا المكان هو الذي حدد فيه السيد دانڤيل (Danville)[1] موقع نبتا ولكنني لم أرى أطلالاً تدل على هذه المدينة. وعلمت أن المسافة من هذا المكان إلى البحر الأحمر تبلغ مسيرة ثلاثة أو أربعة أيام تقريباً، وأن الجهة الشرقية التي حدد فيها السيد دانڤيل موقع نبتا صحراء ولم يكن فيها إلا عدد قليل من السكان والرمال الممتدة حتى مشارف المياه. ولا توجد على هذه الضفاف إلا أشجار الدوم. وعلمت أن أهل هذه الديار يسمون بالرباطاب والتكاكي [2]. وأما الشرق فسكانه من العبابدة، وفي المساء بتنا بالقرب من الزويرة.

الثلاثاء 30 من أكتوبر 1821م

في صبيحة هذا اليوم سرنا قليلاً دون أن نستخدم الشراع إلى أن توقفت الرياح فاتجهنا إلى الجهة الغربية آملين في أن نجد رجالاً يساعدونا في شد الشراع. وواصلنا السير حتى المساء حيث وصلنا لجزيرة كرقس وقضينا الليل بها، وهي جزيرة صغيرة ولكنها مأهولة بالسكان فيها كثير من الأراضي المزروعة وكثير من أشجار النخيل.

الأربعاء 31 من أكتوبر 1821م

لم تكن هناك رياح تساعد على السير. ولحظت أن الجانب الشرقي لا توجد فيه زراعة كثيرة بينما الجانب الآخر مأهول بالسكان والأراضي الزراعية وأشجار النخيل.

الخميس الأول من نوفمبر 1821م

[1] . السيد دانڤيل هو رحالة فرنسي ورسام للخرائط، نشر عمله الموسوم *الأطلس العام* في باريس في عام 1749م.

[2] . التكاكي هو الاسم الذي يطلق على الصحراء الواقعة شمال مقرات وغرب أبي حمد.

في هذا اليوم سرنا قليلاً، وعند المساء وصلنا لقرية تسمى الجريف تقع على الضفة الغربية، وشيخها هوأخ الملك أبوعجيل، وقد زارنا ونحن على متن المركب وكان رجلاً مهذباً ومفضالاً. وسألته عن الوقت الذي تستغرقه الرحلة إلى البحر الأحمر فأجابني ما بين ستة أو سبعة أيام، وأخبرني بأنه يمكن أن يطلعني على المكان الذي حدد فيه السيد دانفيل مكان نبتا. أخبرني أيضاً بأن البشاريين سكان الصحراء يسكنون في الجزء الشرقي منها في خيام كبيرة ويتغذون على اللبن ولحوم قطعانهم ويتحدثون لغة تخصهم . أما الجهة الغربية فيسكنها العرب الحسانية[1] وهم من قبيلة العبابدة. أما ضفة النيل فيسكنها العرب المناصير حتى بربروالرباطاب والتكاكي. وهذا الشيخ مسنود بأخيه أبي عجيل الذي اشتهر بهزيمته لأعدائه الشايقية وأهل بربر .

الجمعة الثاني من نوفمبر 1821م

أثناء الليل هبت رياح شديدة استمرت حتى الصباح فساعدتنا في السير، ولكن صعب علينا الإبحار لأن النيل ملئ بالحجارة مما جعل الممرات سيئة جداً بالنسبة لمركب صغير وخطيرة بالنسبة للمراكب نفسها؛ لأن الحجارة هذه أصبحت تعمل كالسكاكين في تمزيق هذه المراكب وهي على سطح المياه. وفي منتصف النهار اشتدت الرياح حتى اضطررنا إلى التوقف عند جزيرة صغيرة توجد بها بعض المنازل جلب لنا سكانها اللبن والخبز. وتوجد في هذه الجزيرة كميات كبيرة من الأرَضة مما جعل سكانها يبنون مساكنهم من الحجارة على نمط المخزن ، بمعنى أن لا يلامس المنزل الأرض. وبهذا لا تستطيع الأرَضة أبداً أن تتسلق إلى هذه الحجارة . وبهذا الأسلوب فإن مؤنهم وأغراضهم تكون في مأمن من خطر هذه الديدان اللعينة. وبعد منتصف النهار هدأت الرياح قليلاً وبدأنا في السير، وعند حلول الليل وصلنا لجزيرة سمبينا [2] وقضينا فيها الليل.

السبت الثالث من نوفمبر 1821م

---

[1] . قبيلة الحسانية هي فرع من قبيلة "الكواهلة" وهي قبيلة شبه رعوية وهي القبيلة الرئيسة في صحراء بيوضة.

[2] . غير معروفة.

في صباح هذا اليوم أشتدت الرياح التي بدأت منذ الليل مما جعلني أخشى على المركب من عدم مقدرته على مقاومة تلك الرياح، لأننا كنا في الجانب الذي تعصف فيه الرياح بشدة . ولكن بالرغم من أن المراكب تضررت بعض الشيء إلا أنه لم يحـصل ضرر كبير. وفي الصباح بدأنا في شد الشراع كالعادة . وكانت ضفاف النيـل جـرداء حتى جزيرة دريكي[1] التي تقع في مملكة بربر. ومن الملحوظ أيضاً أن حدود الرباطاب وبربر غير مأهولة بالسكان. وشاهدت في الجهة الشرقية أطلالاً لمدينة صغيرة أو لقلعة، وهي مبنية من الحجر الخشن المتراكم بعضه فوق بعض مـن غيـر انتظـام. وهـذه الأطلال صغيرة وقريبة من النيل.

تعتبر جزيرة دريكي من الجزر الكبيرة وهي أول الأماكن التي توجد فيه قـرى تنتمي لبربر، وهي جزيرة قفر لا توجد فيها زراعة إلا في الأطراف وما تبقى منها فهو عبارة عن حجارة . وفي نهاية الطرف الشمالي من هذه الجزيرة توجد أطـلال لقلعـة ولحظت أن أمام سور هذه القلعة أنقاض لقلعة صغيرة أخرى متصلة بالقلعة الكبيـرة [2]. ومن هذا المكان تجلب مياه النيل بوساطة مبنى في شكل بئر مبني من الطوب المحروق الذي لا زالت بقاياه موجودة. ويسمى هذا المبنى القلعة. وعندما مررنا بالجانب الشرقي للجزيرة عبرنا شلالات قوية التيار تسمى شلالات الحمار. وكان الفضل يرجع للريـاح ولمهارة الريس في اجتياز تلك الشلالات. وتكمن خطورة هذه الشلالات فـي تياراتهـا القوية التي تتسبب في قلب المراكب بسرعة مدهشة. والشلالات لا تتجـاوز الثلاثـة أو الأربعة أقدام في الطول وسبب خطورتها تلك الحجارة الصغيرة الموجودة في الممرات.

خلف هذه الشـلالات والجزر التي تقع على اليمين وعند انعطاف النيـل وفي جهته اليسرى شاهدت جبالاً صغيرة مخضرة بالزراعة . وفي هذا المكان يتسع النيـل ويبدو في شكل بحيرة كبيرة. كل الأراضي منخفضة إلا جبل واحد يبدو مرتفعاً جداً يبعد كثيراً من النيل ولولا علوه لما شاهدته. وهنا تظهرديار بربر الجميلة التي تقـع خلفهـا مجموعة من الجزر الموشحة بالأشجار المتناغمة مع هذه الديار التي كلما توغلت فيهـا

---

[1] . ربما جزيرة العشير.

[2] . تنتمي هذه الأنقاض للحقبة المسيحية .

لا تشاهد غير الخضرة والأراضي المنبسطة والجزر، وهذا أول مكان أشاهد فيه فرس البحر. هذا الحيوان وجدناه بالقرب من الجزر المليئة بالأحجار وهو يخرج بنصف جسمه من الماء، وشاهدت واحداً منها لونه ضارب إلى الحُمرة على رأسه غرة كبيرة بيضاء.

واصلنا السير حتى أدركنا الليل في قرية تسمى علي بادي[1]. وهذه الديار تبدو غنية أكثر من سابقاتها، وكل أراضيها مزروعة وتروى بمجموعة من السواقي وتبدو القرى في غاية من الجمال وبيوتها مبنية من الطين وغير متباعدة كما في القرى التي شاهدناها من قبل. وهي تقع على أطراف الصحراء ونادراً ما تجدها بالقرب من الأراضي الزراعية ، والسبب في ذلك الخوف من الأرَضة. و سبب آخرهو أن رمال الصحراء نظيفة وصحية أكثر من أراضي ضفاف النيل ذات الطبيعة الرطبة.

ومن الملحوظ أيضاً أن أراضي هذه المنطقة منبسطة لا تجد فيها علواً واحداً يزيد عن عشرين قدماً، وكثيراً ما يفيض النيل ويغطي مساحات كبيرة من هذه الأراضي وليست هناك أي وسيلة لحماية هذه الأراضي مما أدى إلى تكوين الجزر التي من الصعب أن نميِزها بعلوها عن غيرها لأنها مغطاة بالزراعة والخضرة.

عند المساء وصلنا إلى قرية كبيرة كانت بيوتها مهجورة.

الأحد الرابع من نوفمبر 1821م

استمرت الرياح حتى الصباح وأصبحت أكثر قوة، وواصلنا السير حتى وصلنا إلى بربر قبل منتصف النهار حيث مدينة المقريف، ووجدنا أن البيه القائد قد ذهب لملاقاة البشاريين عند مقرن النيل مع نهر عطبرة ، ولم نجد غير أمين الخزينة الكاسندار ومعه بعض الجنود . وأخبرني الكاسندر أنه يصعب جداً وجود إبل أشتريها في هذا المكان ومن الأفضل لي أن أنتظر حتى أصل إلى شندي، وأعطاني مركباً لأصل به إلى الدامر التي ربما أجد فيها البيه ، وفي حالة عدم وجوده سوف يعطيني خطاباً إلى

---

[1] . غير معروفة

أهل الدامر ليوفروا لي الإبل التي ستوصلني إلى شندي. شكرت له صنيعه وقررت الرحيل في اليوم التالي

في المساء أخبروني بأنه سوف يكون هناك سوقٌ خارج القرية في الصحراء وتحت أشعة الشمس الحارقة. ولم أر في حياتي مثل هذا البؤس ، فكل تاجر لديه قرشان يوفرها من بيع البلح أو الذرة أو البصل، وآخرون لديهم سمن الضأن يضعونه في سلطانيات صغيرة ، وهذا السمن بالنسبة لهم بمثابة العطر فكل حسناء تأتي لشراء سلطانية منه بعشرين باراس[1] وتضعه على رأسها. كل هذه البضائع الجميلة توضع على الرمال وغالباً ما تكون متسخة ، والسمن يعبونه في السعون ويبيعه الرجال. بعد ذلك تأتي النساء ويبعن الخبز والويكة (البامية الجافة) والسعف لصناعة البروش. ورأيت إحدى النساء لديها عُلبٌ صغيرة مصنوعة في الهند تضع فيها الدهان، وهناك أشياء أخرى مثل الإبل الهزيلة والخراف والبيض وغيره. وكل هذا يعطيك سوقاً بائساً. ولكي لا أرجع خالي الوفاض أشتريت كرباجاً بقرشين فقط.

الاثنين الخامس من نوفمبر 1821م

في هذا اليوم أبحرنا بكل يسر في الصباح الباكر، تفصل بيننا وبين مدينة السلمة مسافة بعيدة [2]. وهذه المدينة أكبر من المقريف وتبعد بحوالى اثني عشر ميلاً من هنا. وبعد ساعتين من السير وصلنا إلى بحر المقرن. ومصب هذا النهر من الناحية الشرقية ونجده في الأعلي ينعطف تجاه الجنوب. ومقارنة مع نهر النيل لا يبدو كبيراً ومياهه تبدو مختلفة عن مياه النيل. على مسافة ميل من المصب تلحظ اختلاف هذه المياه ، فهي خفيفة وصافية مقارنة مع مياه النيل الأقل صفاءً. وعندما ينخفض تصل مياهه لمرحلة الانعدام ويجف المجرى. هذا النهر يقع في حدود بربر وشندي ويسكن على بعد عدة أميال من مصبه عرب البشاريين. وبعد ذلك واصلنا المسير وقبل ساعتين من مغيب الشمس كنا بالقرب من الدامر. وذهب الترجمان إلى قرية تبعد حوالى ميل من النيل

---

[1] . عملة صغيرة .

[2] . حالياً توجد في هذا المكان منطقة صغيرة تسمى السلمة لكنها ليست مدينة.

ليتفاكر مع الكاشف بخصوص الإبل . ولكن الكاشف كان قد ذهب مع جنوده إلى بربر ولم يترك وراءه غير أخيه وجنديين ، وهم مصابون بمرض الدوسنتاريا. وأخبرنا أخو الكاشف بأنه في صبيحة الغد سوف تكون الإبل جاهزة ، وسوف يرسلها إلى المراكب لتساعدنا في حمل أمتعتنا ، ولنا الخيار في المكوث أو المغادرة حسب رغبتنا.

الثلاثاء السادس من نوفمبر 1821م

في الصباح الباكر حضرت الإبل بالفعل وحملنا عليها أمتعتنا وتوجهنا إلى قرية أكبر من بربرومأهولة بالسكان . وذهبت إلى الكاشف وكان رجلاً مضيافاً ومكثت معه حتى منتصف النهار. وبعد ذلك توجهت لمنزل أحد التجار هو الأغنى في القرية، لأشتري منه بعض الأغراض. وأقمنا بالقرب من سبيل حوله مجموعة من التكارنة الوافَدين من دارفور في طريقهم إلى مكة. وقام شيخ الحلة والتاجر باستضافتنا وأحضروا لنا بعض الطعام.

الأربعاء السابع من نوفمبر 1821م

في هذا الصباح صرفت الشاويش والريس بعد أن قدمت لهما هدايا نالت إعجابهما. وفي هذا اليوم زارنا رجل الدين المقيم في القرية وكان رجلاً عجوزاً جاءنا طالباً العلاج لعيونه. وكعادة الأطباء فإن الطبيب طلب منه أجراً مقابل العلاج فأجاب الشيخ بأنه يمكن أن يعطيه ذهباً أو فضة أو ماساً أو كل ما يريده منه. وراعى الطبيب المقام العالي لهذا الشيخ وسط أهله وقرر أن يعالجه مجاناً. وفي الحقيقة إن هذا الدكتور طيلة هذه الرحلة لم يأخذ أجراً من شخصٍ عالجه.

عند منتصف النهار شعرت بحالة ضيق شديد لم أعرف سببها. والدكتور كذلك بدأ يتبرم منذ تحركنا من بربر، ومن المستحيل أن يكون سبب تبرمه هو حالة الضيق التي انتابتني. لذا لم نتجاذب أطراف الحديث وكنا في حالة صمت حتى وصلنا إلى الدامر. وكما هو معروف فإن مثل هذه الأشياء تحدث كثيراً وبعد ذلك تعود المياه لمجاريها . ولهذا عاودنا الأُنس مع بعضنا البعض كأن شيئاً لم يكن. وعند وصولنا إلى

بربر سألت ترجماني حول أسباب ضجر الدكتور وبدأنا نخمن الأسباب التي أدت إلى هذا التبرم. وأخيراً توصلنا إلى أن السبب هو أننا لم ندعوه معنا في الزيارة التي قمنا بها أثناء الليل في هذه المدينة لأننا حسبناه نائماً. وعندما بدأنا في تحميل أغراضنا بدأ الدكتور في تحميل أغراضه على ظهر الجمل . وفي هذا الأثناء دخلت إلى المكان الذي كان فيه وقال لي هذه الكلمات: انظر إلى ترجمانك فقد أخذ البعير الذي أود أن أركب عليه وأني هنا لا أشعر بالراحة . وأجبته بأن الترجمان أخذ هذا البعير منذ الأمس ولم يكن يعلم أنك تود الركوب عليه، ومحمدّ ملتزم بالأوامر مثلنا تماماً وإذا طلبت منه أن يترك لك البعير فسوف يتركه على الفور ويمكنه أن يمتطي أي بعيرٍ آخر. ومنذ أن بدأ الدكتور في التذمر لم يتحدث مع أحد ولهذا لم نستطع أن نكتشف نواياه ولم نعرف ماذا يريد وخرجت من عنده مواصلاً تحميل الإبل ، بينما بدأ هو بإنزال أمتعته من على البعير وقال إنه لا يريد المغادرة. ولم أكن أود أن أتحدث حول هذا التصرف الجنوني لأنني كنت في غاية الغضب مما انعكس أثره شعوراً عدائياً تجاه أهل المنطقة الذين تقاعسوا عن مساعدتنا.

مجموعة من الجلابة وترجماني ، وهم لم يعرفوا ما دار بيني وبين الدكتور من حديث ، حاولوا أن يعيدوا الدكتور إلى رشده لكنهم باؤوا بالفشل. من ناحية أخرى أعتقد أنه لزامٌ عليّ أن أصطحب الدكتور معي رغم عناده لأنه ليس من الحكمة أن أتركه دون مؤن ولا مال. وبالفعل عندما بدأت في الرحيل تركت له جملين: جمل لشخصه والآخر لعتاده وخادمه وطلبت من الكاشف أن يوفر له ما يحتاجه حتى يصل إلى شندي ولا يعود أدراجه. وطلبت من التاجر أن يعطيه ما يريد . ثم امتطيت جملي وقلت له إنك مجنون ، ورد عليّ بأن هذا السلوك عاديٌ في ظل تصرفاتي غير العادية.

سرنا بعيداً عن النيل وسط أشجار السنط والأدغال، وفي المساء وصلنا إلى قرية تسمى الموقربات[1] (Mograbatte) واسترحنا فيها ووجدت بها بعض الجلابة ووجدنا صعوبة في توفير الطعام للجمّالة والإبل. أطلقت عيارين من مسدسي مما أخاف

---

[1] . ربما يقصد المكابراب ؟ .

الناس وفعلت ذلك لأجعلهم يحسوا بوجودنا. وبالفعل عند المساء حضر نفر من الأعراب وهم يمتطون الإبل ومسلحين بالحراب والسيوف، وظننت أنهم جاءوا لينهبوننا ولكن علمت أنهم جاءوا ليشربوا البوظا [1] ومن ثم يعودون إلى خيامهم في الصحراء. وطيلة الليل كنت أشاهد مجموعة من الجلابة يمرون عبر هذا الطريق.

الخميس الثامن من نوفمبر 1821م

تحركنا قبل طلوع الشمس ولم نتوقف إلا قبل ساعة من منتصف النهار حيث وصلنا لقرية تسمى قباتي وهي بعيدة عن النيل وتقع في سهل ملئ بالأدغال والأعشاب، يزرع الناس هذا السهل في موسم الأمطار وكذلك عندما يفيض النيل. ومنذ تحركنا في الصباح كنا نسير في سهول بعيدة عن النيل. وقبل وصولنا لقرية قباتي مررنا بسهل عظيم تنتشر فيه قطعان من الأغنام، وقضينا الليل بالقرب من هذه القرية وعلى مقربة من قرية أخرى تسمى سقدي حيث مكثنا حتى منتصف الليل. ثم تحركنا حتى نتمكن من وصول شندي في يوم السبت للوقوف على سوقها. مررنا أيضاً بسهل ملئ بالحصى وجبال قريبة من النيل بها مجموعة من القرى، إحداهن كبيرة جداً تقع متطرفة في الناحية الجنوبية تسمى الجبُل.

الجمعة التاسع من نوفمبر 1821م

كالعادة واصلنا السير حتى أدركنا الفجر عند قرية صغيرة تسمى ماروقا تمارس فيها الزراعة المطرية. وقبل ساعتين من طلوع الشمس وبعد أن قطعنا سهولاً مليئة بالنباتات مررنا بأطلال لمدينة قديمة شاهدنا فيها أنقاضاً لمعبد وأهرامات. ومعظم هذه الآثار بالقرب من الجبال ويبدو لي أنها محافظة وجميلة. لم أرد أن أتوقف عند هذه الآثار لأنني منذ البداية عزمت على أن أتفحصها عند عودتي. وواصلنا السير كالعادة من خلال السهول المنبسطة المكسوة بالأشجار الكثيفة والأدغال والأعشاب، ووجدنا الأماكن ذات الطبيعة الرطبة مكسوة بالخضرة وبها أشجار السنط الكثيفة ومليئة بالطيور

---

[1] - البوظا نوع من الخمور البلدية.

من كل نوع. عند منتصف النهار وصلنا لقرية تقع وسط غابات تسمى القوز ووجـدنا أنفسنا وسط غابات كبيرة بداخلها بيوت صغيرة متباعدة تشبه في شكلها طواحين الهواء مما أعطاها منظراً متفرداً. بعد منتصف الظهيرة وصلنا إلى سـاقية صـغيرة مغطـاة بحشائش خضراء وأشجار وارفة وظليلة وتوقفنا عندها. هذا المكان يبعد عن شندي أربع ساعات، وغادرناه في الساعة الرابعة والنصف وسرنا في سهول مليئة بقطعـان مـن الأغنام كسابقتها ووصلنا شندي في الساعة الثانية صباحاً. وبما أن الوقت كان متأخراً لم نذهب إلى بيت الكاشف ودلفنا إلى أول منزل وجدناه ، وبمحض الصدفة كان هذا البيت لأحد التجار، وكان والد هذا التاجرهو الذي ذهبنا إليه في الدامر. مكثنا بالمنزل بالرغم من أننا لا نعرف مالكه ولا هو يعرف من نحن وقد لا يكون راغباً في زيارتنا.

السبت العاشر من نوفمبر 1821م

في الصباح ذهبت إلى منزل الكاشف ولكنني لم أجده لأنه ذهـب إلـى الـضفة الأخرى من النيل حيث يوجد معسكرٌ لمجموعة من المغاربة الذين يودون الذهاب إلـى سِنار وهم في حاجة للمؤن . فعدت أدراجي إلى المنزل. وبعد وصولي إلـى المنـزل أرسل إليّ الكاشف أحد جنوده ليخبرني بعودته، لأنه لم يتمكن من عبور النيـل بـسبب الرياح الشديدة ويريد رؤيتي. ذهبت إليه في الحال واستقبلني بأدب جم ومن ثم قدمت له الفرمان الذي رفض أن يقرأه . وقال لي أنه يعرف إن لم أكن مدعوماً من الباشـا لمـا أتيتُ إلى هنا. ومكثت معه بعض الوقت وطلبت منه الإبل التي وعدني بها لكي أستعين بها في سفري. وبعد ذلك ذهبت إلى السوق.

الأحد 11 من نوفمبر 1821م

في هذا اليوم ذهب ترجماني إلى منزل الكاشف ، ولدهشتي الشديدة رجع ومعـه الدكتور وتحركت نحوه لمصافحته وقلت له أتمنى أن تكون قد غيرت شعورك نحـوي وتود السفر معنا. ولكن الترجمان قال لي: أنت تعلم أن الدكتور لا يمكن أن يتراجع إلى الوراء. فأجاب: كيف تريد مني الرجوع؟.. إذا كان لدي المال والمؤن لما كنت هنا. هذه

الكلمات أوضحت لي معدنه وأثّرت فيّ كثيراً. وبعد سماعي هذه ا لكلمات شعرت ببرود شديد نحوه، وبعد برهة من الزمن قال لي إنه في اللحظة التي غادرت فيها أنا الدامر ذهب هو إلى منزل الكاشف ليطلب منه الإبل حتى يصل إلى شندي. وعندما أعطاه إيّاها بدأ يرتب للرحيل في اليوم التالي، وعندما رأى مركباً كبيراً وظن أنه المركب الذي يحمل عتاد دكتور إسكوت (Scott)[1] وبالفعل ذهب إليه ووجد بداخله رجل أعمال هو طبيب الباشا. ولهذا هو برفقة هذا المركب. لحظت من طريقة كلامه أن لديه الرغبة للسفر معي وهو فقط ينتظر مني أن أؤكد له ذلك. وسألني: ماذا عليَ أن أفعل؟.. فأجبته: أنت تعلم جيداً يا دكتور أنك إذا أتيت معي فهذا يعني فقط تقديراً للسيد صولت وطلبه وهذا ضد رغبتي، وعليه فإنه لم يكن لدي إذن من السيد بانكس لكي أصطحبك معي بالرغم من أنك لديك بعض الأعمال التي تريد أن تنجزها له. أما الآن فلا يتوجب عليّ أن أعطيك أي مشورة لأن كل ما فعلته بخصوصك أثناء الرحلة كان من ذوقي وليس من أساسيات ترتيب الرحلة. أما الآن فليس لي حق التدخل في توجيه مسارك وسلوكك ، ويكون في علمك أن ما ينبغي عليك قوله وما تفكر فيه سوف تقدم به تقريراً في يوم من الأيام للسيدين صولت وبانكس وأنت الوحيد المسئول عن أفعالك. وقال لي إنه لا يود أن ينظر إليه كخادم ويجب أن يُحترم من قبل الناس الذين بصحبتي. لكن ما قاله أنه يعامل معاملة الخدم كلام غير صحيح لأن كل الناس يعرفون أنني أعامله معاملة كما لو أنه صديقي ولا يوجد فرق بيني وبينه. نجده دائماً يختلق مثل هذه الأوهام والشكوك ، ليس معي فحسب بل مع كل الأشخاص وأن كلامه عارٍ من الصحة . ولهذا لم أتوقف عنده كثيراً ولم أجبه. وقال لي إنه يريد الذهاب إلى سِنار لأن المال متوفر هناك . ولكني أوضحت له أن الباشا قد لا يوفر له مالاً لأنه لا يملك فرماناً ولا خطاب توصية. وأجابني بأن هذه شؤونه هو وطلب مني بعض الأشياء ، ولكن كان من المستحيل أن أعطيه شيئاً. وبعد ذلك ذهبنا إلى السوق معاً وتركني هناك وذهب للمركب في طريقه إلى سِنار وقلت له إن كل ما أستطيع أن أقدمه له في سِنار سوف أقدمه بطيب خاطر.

---

[1]. لابد إن هذا الشخص هو الدكتور أنطونيو إسكوت ، طبيب إيطالي ، أصبح فيما بعد الطبيب الخاص لإبراهيم باشا وصحبه في رحلته إلى سنار وتوفي بها في عام 1821م.

الاثنين 12 من نوفمبر 1821م

في صباح هذا اليوم لم تتوفر لي أشياء كثيرة كنت محتاجاً إليها ولهـذا أرسـلت ترجماني إلى الكاشف موضحاً له بأني لا أستطيع المغادرة في هذا اليوم إذا لم يوفر لي الإبل. فأجابني الكاشف بأن الإبل جاهزة منذ ثلاثة أيام ، وإذا لم أرحل في هـذا اليـوم فسوف يطلق سراحها ولن يبحث لي أيّ طلب عن إبل أخرى . وأخبرني ترجماني بكل هذا. على التو أرسلته ثانية إلى الكاشف ليطلعه بأني لا أود المغـادرة الآن ، وعنـدما أقرر ذلك أرجو أن يرسل لي الإبل . وبعثت له بهدية بسيطة وبعـض الخمـور ودواء شراب لأنه كان مريضاً. في الحال رد عليّ بأن فـي اسـتطاعتي أن أمكـث حـسب رغبتي، فقط طلب مني أن أخطره قبل يومين من مغادرتي شندي ليوفر لـيّ كـل مـا أحتاجه من إبل وغيرها. وهكذا قررت أن أمكث عدة أيام تبدأ منذ اليوم الثالـث عـشر حتى السادس عشر.

الجمعة 16 من نوفمبر 1821م

في هذا اليوم اشتريت عبداً ليقوم بخدمتي وأيضاً ليقوم برعاية الإبل . وفـي أول يوم له معي حصل مشهدٌ غريبٌ حيث ذهب إلى السوق ليشتري حطباً ولم يعد. فأرسلت خادمي ليبحث عنه وذهب إلى القائمقام ووجده يضرب رجلاً بالعصا لأنه باع له حطبـاً بسعر غالٍ جداً ، وكان هذا الرجل هو العبد الذي أشتريته.

السبت 17 من نوفمبر 1821م

ذهبت إلى الكاشف في صباح هذا اليوم ووجدته قد ورد إليه خبرٌ بأن أحد الجنود القادمين من بربر إلى الدامر اغتيل بالقرب من نهر عطبرة، ووجد رأسه مقطوعاً وملقى في الرمال وأن بقية أجزاء جسده مقَطّعة ومبعثرة بعيداً عن الرأس. ومن المعلوم أن هذا المكان شهد عدة حوادث مثل هذا الحادث لأن مجموعات صغيرة من البشاريين يـأتون عبر هذا المكان وهم من أشرس قطاع الطرق من العرب ، وقبل فتوحات الباشا كـانوا يمارسون النهب والسرقة حتى شندي.

الأحد 18 من نوفمبر 1821م

وصل المعلم في هذا اليوم نفسه . وفي اليوم التالي ذهبت لملاقاته ووجدتـه فـي منزل الكاشف، وتجاذبنا أطراف الحديث وتحدثنا كثيراً عن التاريخ المقدس وكان ملمـاً به إلماماً كبيراً. فتحدث كثيراً عن المعرفة ولكن دخول الشيخ سعد عم الملك نمر [1] قطع علينا حديثنا. وكان الشيخ سعد في ذلك الوقت ملك المنطقة من شندي إلى سِنار. وأعتقد أن لديهم بعض الأمور يريدون مناقشتها . لذلك تركتهم وعدت إلى منزلي. وكان هذا اليوم يوم السوق فانتظرت حتى يفتح السوق . ثم بعد ذلك ذهبت إلى الشيخ سعد الـذي ساعدني كثيراً في إيجاد بعيرٍ لأشتريه وأخبرني بأنه سوف يحـضر لزيـارتي. وعنـد وصوله إلى بيتي بدأ ينظر إلى ما أملكه باستغراب ، ولو لم أكن أعلم بشهرته ومقدراته لظننت أنه غبي . فأهديته خنجراً فسُرّ بذلك وانصرف بعد أن أثنى عليّ ثنـاءً عـاطراً ظاناً أنني تركي الجنسية ، فأخبرته بأنني مسيحي وأوروبي ، فقال لـي إنـه مـسرورٌ لكوني لست من رجال الباشا.

الاثنين 19 من نوفمبر 1821م

في صباح هذا اليوم زارني المعلم في البيت ومكث معي زمناً طـويلاً ، تحـدث أثناءه عن الجغرافيا والتاريخ وأخبرني بأنه وجد في بعض الأماكن التي زارهـا كتبـاً عربية مثيرة للاهتمام وموغلة في القدم. وهنا دخل علينا أحد خدمه وأخبره بـأن أحـد الخواص جاء من سِنار ومعه خطابات وليمون من الباشا، وبالفعل عندما رجع إلى بيته أرسل لي كمية من الليمون. وبعد منتصف النهار ذهبت لمشاهدة رقصة تؤديها النساء عندما تموت أي امرأة. إنها طقوس غريبة سوف أتحدث عنها لاحقاً.

الثلاثاء 20 من نوفمبر 1821م

في هذا اليوم زارني الكاشف وسررت بهذه الزيارة لأنني كنت أود زيارة بعـض الآثار بالقرب من شندي في الناحية الشمالية الشرقية منها لكن الرياح العاتيـة والبـرد

---

[1] الملك نمر: هو المسئول عن مقتل إسماعيل باشا في وقت لاحق .

أفسدتا عليّ هذه الزيارة فظللت بالبيت. وأخبرني الكاشف بأن إسماعيل باشا وإبراهيم باشا في طريقهما إلى جبال تبعد عن سِنار مسافة اثني عشر يوماً من المسير وهذه الجبال تسمى جبال الذهب. وهما يسلكان طريقين مختلفين. وأخبرني أيضاً بأن هنالك مجموعة من التجار القادمين من سِنار ضلوا الطريق وعُثر على واحد منهم فقط وهو مقتول بطلق ناري. إن الذين يرتكبون مثل هذه الجرائم هم الأتراك أو المغاربة وليسوا أهل البلد. هذه الأخبار بالرغم من أنها لا تَسُر إلا أنها لم تخيفنا لأن ثلاثتنا كنا مسلحين، بالإضافة إلى العبد الذي كان برفقتنا وهو الذي أعوِل عليه كثيراً، كان أيضاً مسلحاً.

الأربعاء 21 من نوفمبر 1821م

في مساء هذا اليوم ذهبت لزيارة المعلِم آنّي (Anné) ووجدت معه الشيخ سعد وسألته عما إذا كانت هناك آثار أو أنقاض في أرجاء الصحراء. وأكد لي بأنه مر من قبل على بعض الآثار والأنقاض على مسافة مسيرة يوم. وعلمت أيضاً أن السيد فريدياني (Fredianni) [1] أصيب بالجنون في منطقة سِنار وأن الباشا كبله بالسلاسل لأنه أصبح يشكل خطراً على نفسه وعلى غيره من الأوروبيين الموجودين في سِنار وأنه أحرق كل أوراقه. من جانب آخر لم أكن حزيناً لجنونه لأنه قبل أن يصاب بالجنون كانوا يصفونه بالاحترام والوقار لكي يَخْفوا جرائمه ورذائله التي أدت إلى جنونه هذا، والآن بعد أن أصبح مجنوناً بالفعل أصبحوا يذكرون فضائله محاولة منهم أيضاً لموارارة هذا الجنون.

الخميس 22 من نوفمبر 1821م

في هذا اليوم زارني الشيخ سعد في المنزل لأني كنت مصاباً بآلام شديدة في الرأس والأسنان نتيجة للفحة هواء، وأخبروه بأن ابن أخيه السلطان وصل إلى الحلفايا وسيصل في غضون أيام قلائل.

---

[1] . اسمه بالكامل: Domenico Ermenegildo Fredianni توفي في القاهرة سنة 1823 م

الجمعة 23 من نوفمبر 1821م

إنه يوم السوق . قضيت كل اليوم في السوق لأتعرف عليه وماذا يحصل فيه.

السبت 24 من نوفمبر 1821م

اليوم الثاني للسوق. اشتريت في هذا اليوم بعيراً جيّداً ، وكان ثمنه عشرون "تالاريساً" [1] ، وفي القاهرة يكلف هذا الجمل مائة دولاراً.

الأحد 25 من نوفمبر 1821م

حددت في هذا اليوم تاريخ مغادرتي التي ستكون في اليوم الثامن والعشرين من هذا الشهر. وبدأت في ترتيب كل أغراضي وترميم وإصلاح بعض الأشياء التي استخدمتها.

الاثنين 26 من نوفمبر 1821م

ذهبت في هذا اليوم إلى الكاشف ووجدته قد ذهب في جولة تستغرق خمسة أو ستة أيام، وأعطى أوامره بأن يوفروا لي كل ما أحتاجه. وافترقنا بعد أن أصبحنا أصدقاء وعلاقتنا أكثر متانة. في المساء حضر إليّ القائمقام وأخبرني بأن الكاشف أعطاه الأوامر بأن يعطيني الإبل إلا أن المعلم آنّي قال يجب أن أدفع ثمنها. وطلبت منه أن يذهب إلى المعلم ويقول له إنني أفضل أن أمكث في هذا المكان لمدة ستة أشهر من أن أدفع قيمة الإبل؛ لأن الفرمان الذي بحوزتي يخوِل لي أن أتصرف مثل أي رجل من رجال الباشا وأن لا أدفع ثمن إبل الحكومة، بل أدفع فقط ضريبة الحكومة ولا شيء غير ذلك. وعاد القائمقام ليقول لي بأنه نقل كلامي إلى المعلم وأنه أجاب بأن لا أدفع شيئاً وأنه لم يقل ذلك. وفهمت أن القائمقام هو الذي يحاول أن يتحصل على بعض المال مني. وأخيراً أخبرني بأن كل شيء سيكون جاهزاً في الغد.

---

[1] . دولار؟ يساوي 20 قرشاً. ثمن الجمل في القاهرة يتراوح بين 4 إلى 20 جنيها إنجليزياً.

الثلاثاء 27 من نوفمبر 1821م

في صباح هذا اليوم جلب القائمقام ستة جمال ولكن لسوء الحظ كانت ملك للجلابة لذلك ينبغي عليه أن يعيدها إليهم في النهاية. وفي المساء عاد ومعه إبل أخرى أخذها من عرب الصحراء ، وعددها ستون لنختار أفضلها. ومن بين هذه الإبل إبل للجلابة فأرجعناها لهم واحتفظنا بما يكفي حاجتنا منها.

الأربعاء 28 من نوفمبر 1821م

قمنا بتحميل إبلنا ثم تجهزنا للرحيل بعد جهد جهيد لأن الجمالة الذين برفقتنا وهم من العرب الجعليين كانوا ثملين لأنهم أفرطوا في شرب المريسة والبوظه التي أشتريتها لهم، وبالإضافة إلى سكرهم كانوا أغبياء لدرجة محيرة.

مغادرة شندي
الطريق إلى سِنار

الإقامة في هذه المدينة ثم الذهاب إلى فازوغلي لملاقاة جيش الباشا والعودة إلى سِنار وشندي.

الأربعاء 28 من نوفمبر 1821م

تحركنا حوالى الساعة الثانية بعد الظهر وواصلنا السير حتى المساء عندما وصلنا لقرية صغيرة قضينا بها الليل. كانت الحراسة مشددة لأن الطريق كما أخبرونا غير آمن.

الخميس 29 من نوفمبر 1821م

تحركنا بعد طلوع الشمس وبعد زمن وجيز مررنا بقرية أرقنتو[1] ومن ثم واصلنا السير حتى وسط الصحراء. وعند منتصف النهار توقفنا عند قرية صغيرة للغداء إلا أننا أُجبرنا على مغادرتها بسبب الأعداد الكبيرة من قمّل الإبل الذي بدأ يعضنا. بعد أن ابتعدنا مسافة ساعتين عن هذه القرية وجدت أطلالاً لمدينة صغيرة تبدو أنها قديمة ووجدت فيها مجموعة من الآثار المصرية، لكن كلها مدمرة. ووجدت فيها عمودين لهما تيجان في شكل رأس إيزيس. نسبة لتأخر الوقت ولبُعد القرية التي كان ينبغي علينا أن نبيت بها أجلت رسوماتي وملحوظاتي حول هذه الأماكن إلى حين عودتي إلى تلك القرية. وفي المساء وصلنا إلى قرية ود بانقا وقضينا الليل في بيت القائمقام ، وكان البرد قارساً في تلك الليلة.

الجمعة 30 من نوفمبر 1821م

هذا اليوم هو يوم السوق لهذا انتظرت حتى منتصف النهار لأشتري بعض الطعام لأننا سوف نقضي يومين من السير دون أن نجد قرية واحدة.

---

[1] . ربما قندتو ، المسافة التي قطعوها من شندي مناسبة لموقع قندتو .

عند منتصف النهار أرسلت في طلب الإبل التي كانت ترعى في السهول لنحمل عليها أمتعتنا ونغادر. وبعد تحركنا وجدنا أنفسنا في سهل كبير لا يختلف كثيراً عن السهول التي شاهدناها في طريقنا منذ تحركنا من شندي إلا أنه لا توجد به أشجار كثيرة غير أنه مغطى الأعشاب اليابسة، ولم نجد قرى بالقرب من النيل . في المساء توقفنا بالقرب من جبل صغير وقضينا الليلة في هذا المكان وكان البرد قارساً.

قبل ساعة من توقفنا في مساء اليوم التالي حدث لنا حادث لا يخلو من شؤم؛ فبينما كنا أنا وترجماني محمد نركض خلف بعير ، لم ألحظ أن ترجماني قد وقع على الأرض، وفجأة رأيت اثنين من التكارنة يمران من أمامي، وعندما رجعت إلى محمّد وجدته مستلقياً على ظهره وواضعاً رأسه بين يديه بينما كان البعير بعيداً منه. تحركت نحوه بسرعة وعندما ترجلت من البعير وتفحصت رأسه لحظت عليه كدمة كبيرة في أعلى عينه اليمنى تمتد حتى أعلى الرأس، ولحظت أن الرأس منتفخ، بمعنى أنه لم يحصل نزيف وما زال الدم محتقناً. فزعت من هذا الحادث الأليم وكان احتقان الدم واضحاً في عينيه لأنهما محمرتان تماماً ولولا أنه كان يلبس عمامته لمات من أثر هذه الضربة القاتلة. أخذت بعض الماء والملح وعركت رأسه جيداً وربطته بمنديل وقضيت الليل كله أضع الضماضات المبللة بالكحول والصابون على رأسه.

السبت الأول من ديسمبر 1821م

في الصباح عندما كنا نستعد للتحرك، كان علينا أن ننتظر ساعةً من الزمن، ذلك لأن حمار أحد التجار الذي كان يسير معنا في الطريق قد فرّ. واصلنا سيرنا بعد ذلك حتى بقيت ساعة واحدة من غروب الشمس. توقفنا بالقرب من صخرة في عقبة قرّي. ولم تقابلنا خلال كل اليوم سوى غابة من السنط وقرية صغيرة للعرب.

المكان الذي توقفنا فيه كان بعيداً عن النيل وقريباً من جبال عالية تقع بين النهر ومكان توقفنا ، تمتد تلك الجبال من الشرق إلى الغرب في شكل مدرج.

الأحد الثاني من ديسمبر 1821م

تحركنا في الصباح الباكر وواصلنا السير حتى الساعة الحادية عشرة ولم تقابلنا قرية واحدة ، ولكن في أسفل العقبة وجدنا أطلالاً لقرية كبيرة تسمى قـرّي ، ووجـدنا بعض الأعراب يسكنون في منازل بالقرب من النيل. وفي هذه القرية شـاهدت نهـراً صغيراً يصب في النيل ولكن عندما مررنا به لم نجد فيه ماءً ، وكانت ضفافه محاطـة بالأشجار الكبيرة والأعشاب الكثيفة. على مسافة قريبة من جهته اليسرى شاهدت جـبلاً صغيراً ثم سهلاً غير ذي زرع تربته سوداء . وثمة سراب عريض لا يستطيع المرء أن يتبين فيه شيئاً. وأصبحنا الآن بعيدين عن النيل وقررنا أن نأخذ قسطاً من الراحة. فـي أثناء السير أخذنا معنا أحد الأعراب كنا وجدناه في طريقنا ، أرشدنا إلى قرية صـغيرة بالقرب من النيل تسمى مطرف مكثنا فيها حتى صباح اليوم التالي.

تجولت بالقرب من النيل بغرض الصيد حيث شاهدت مجموعات مـن أفـراس البحر ، وأخبرنا الرجل الذي وجدناه في الطريق بأن هـذه الحيوانـات أتـت لتأكـل مزارعهم، وأنها أتت إلى هذه النواحي خوفاً من الانقراض . وأخبرني بأنهم في الغالب يأخذون هذه الحيوانات من ذيلها؛ لأنها قوية جداً فهي تستطيع أن تجرهم إلـى النيـل . لهذا تجدهم مجبرين بإخلاء سبيلها. وطلب مني طلسماً لكي يتمكن من الاحتفـاظ بهـذه الحيوانات . ضحكت كثيراً من بساطة هذا الرجل الذي يستطيع أن يسيطر على فـرس البحرمن ذيله.

الأثنين الثالث من ديسمبر 1821م

في صباح هذا اليوم بعد طلوع الشمس وفي هذا الطريق قابلنا الملك مساعد ملك شندي الغربية ، وكان يمتطى حصاناً وله حاشية كبيرة تتبعه ؛ منهم من كـان راجـلاً ومنهم من يركب حصاناً أو بعيراً لكنهم جميعهم كانوا مـسلحين بالـسيوف والحـراب الطويلة ولابسين دروعهم. والذين يسيرون على الأقدام كانوا مسلحين بحـراب طويلـة وجميلة ودروعهم كبيرة ذات شكل بيضوي ومصنوعة من جلد الزراف . حياني الملك بكل أدب وأخبرني بأنني سأقابل الملك نمر الذي قدم لتوه من سِنار مثله.

عند منتصف النهار توقفنا لوقت قصير تحت الأشجار الوارفة حيث شاهدت مجرى نهر صغير ما زالت فيه برك من المياه. ثم واصلنا سيرنا كالعادة بين غابات السنط وعبرنا سهلاً منبسطاً حتى وصلنا في المساء إلى قرية صغيرة شبه مدمرة وقضينا الليل بها. كل المناطق التي مررنا بها ابتداءاً من ود بانقا مأهولة بالقبائل العربية المختلفة. وفي هذا الجزء حيث ترتفع درجات الحرارة وجدنا عرب الشُكرية[1] وقد استحوذوا على كل هذه المنطقة حتى يكونوا قريبين من النيل للحصول على الماء. وهؤلاء العرب يملكون ثروة كبيرة من الأنعام . أحاطونا بكرمٍ فياضٍ وأروونا بألبانهم . وبينما نحن معهم وصل ساعي بريد إبراهيم باشا يفيد بأنه قد غادر الإسكندرية منذ خمسة وثلاثين يوماً.

الثلاثاء الرابع من ديسمبر 1821م

في صباح هذا اليوم وخارج القرية التقينا بساعي الباشا وكان يركب جملاً وهو من قبيلة العبابدة . أخبرني بأنه يبحث عني منذ ستة أيام لأنه يحمل لي خطاباً من إبراهيم باشا. وعندما استلمت الخطاب عرفت أنه من الدكتور وأن فحواه أن الدكتور منزعج من بعض الأخبار التي وصلت إليه خاصة بعد أن سمع بالاغتيالات الكثيرة التي حدثت، لهذا خشي أن أكون قد أصابني خطر. وأرسل إبراهيم باشا رجلين على جملين مهمتهما أن يتقصيا أحوالي في كل الجهات . وأطلعني أيضاً بأن سموه يرغب في حضوري إلى سِنار على جناح السرعة ، وأن سموه يريدني أن أصطحبه في مهمة تبعد مسافة عشرة أيام من سِنار، وأنه سوف ينتظر يومين أو ثلاثة لملاقاتي. وأخبرني أيضاً بأن دكتور إسكوت قد توفي وأن الباشا عينه مكان الدكتور إسكوت.

هذا الخبر أفرحني ولكن كنت أتساءل هل ما زال الدكتور حاقداً عليّ. عندما وصلت إلى الحلفايا بعد ثلاث ساعات من السير ذهبت إلى منزل القائد وكان شاباً وسيماً ومضيافاً استقبلني بحفاوة كبيرة . دهشت جداً عندما وجدت بين جنوده اثنين من

---

[1] . غالبية أفراد قبيلة الشكرية يقطنون المنطقة بين النيل ونهر عطبرة المعروفة بالبطانة .

الأوروبيين كان أحدهما فرنسياً. أثناء إقامتي القصيرة في الحلفايا لم أشهد مثل هذا الأدب الذي يتمتع به هذا القائد . فقد قام على الفور بتكليف أحد رجاله ليبحث لنا عن الإبل ، وأعطاني حجرة في منزله ، وكتب للدكتور بأنني سأكون في سِنار في غضون ستة أيام. لم تصل الإبل حتى المساء وكان الكاشف يريد أن يرسل الرجال الذين بصحبتنا إلى شندي ومعهم حمولة من الصمغ . إلا أن هذا التصرف لم يعجب هؤلاء الأعراب وطلبوا مني أن آخذهم معي إلى سِنار. هذا السلوك أدهشني لأن هؤلاء الناس لم يأتوا إلى هذا المكان طواعية ، فلماذا غيروا رأيهم؟ وبدأت أفكر في هذا الأمر وأخبرت الكاشف بذلك فسر سروراً شديداً لهذا الترتيب.

قررت الرحيل في صبيحة اليوم التالي ، حتى ذلك الحين كنت غارقاً في كرم هذا القائد وصحبه.

الأربعاء الخامس من ديسمبر 1821م

تحركنا عند الساعة العاشرة من صباح هذا اليوم وسلكنا طريقاً يبعد كثيراً عن النيل تتخلله السهول والغابات. وقبل ساعة من مغيب الشمس وصلنا إلى قرية العيلفون وهي قرية جميلة تقع بالقرب من النيل. وعلى مسافة ساعة أسفل هذه القرية يصب النيل الأبيض في النيل. ومن هذا المكان تبدأ منطقة جزيرة سِنار[1]. وبعد ذلك التقينا بالقائمقام الذي اصطحبنا إلى منزل أحد الأهالي حيث قضينا الليل . وكان الملك نمر موجوداً في هذه القرية إلا أن الوقت كان متأخراً فلم أستطع زيارته.

وفي المساء تجولت في القرية وعندما عدت إلى المنزل لم أجد الإبل ولكن وجدت الرجال وطلبت منهم أن يبحثوا عنها. لكن ترجماني محمد أخبرني بأنه لا يوجد شيء يقلق لأن دليلنا هو نفسه بصحبة الإبل وكان خوفي بأن هؤلاء الأعراب عندما يعم الظلام سوف يهربون. وبالفعل عند الصباح ولدهشة الجميع لم نجد الإبل ولا الرجال الذين كانوا معنا وأعتقد أن دليلنا هو الذي دبر لهم الأمر.

[1]. محررة الترجمة : بالنسبة للينان تبدأ جزيرة سنار مباشرة بعد مقرن النيلين الأبيض والأزرق ، وتشمل المنطقة الواقعة بينهما حتى سنار.

في الحال ذهبت إلى القائمقام وبمساعدته أستطعنا أن نعثر على ستة من الإبل فقط ، ثم شرعنا في الرحيل . وفي هذه اللحظة تحرك الملك نمر إلى شندي . وفي طريقنا مررنا بأودية تنمو فيها الغابات. وعند منتصف النهار وصلنا إلى قرية على ضفاف النيل تسمى الشريق ومنها عبرنا النيل وكان النهر ضيقاً جداً مع قوة التيار، عبرنا النهر على متن مراكب الأهالي وحملنا عليها أمتعتنا وربطنا الإبل بالمراكب وعبرنا النهر.

بعد نصف ساعة من السير وجدت أحد العبابدة في قرية الجديد أتى إليها يبحث عني ولكن أصابته وعكة في هذه القرية. جدير بالذكر أنه توجد في هذا المكان أربع قرى تحمل اسم الجديد . وبتنا في الجهة الجنوبية ، حيث كنا نتوقع أن نجد القائمقام، ولكن وجدناه قد ذهب إلى قرية تسمى النوبة تبعد ثلاثة فراسخ من قرية الجديد. وأستطعنا أن نحصل في الجديد على منزل قضينا فيه الليل وحصلنا على كل ما نحتاج إليه دون جدال.

الخميس السادس من ديسمبر 1821م

تحركنا مبكراً في هذا اليوم. وبعد ثلاث ساعات وصلنا إلى قرية النوبة لكننا لم نجد القائمقام ولا العبادي الذي أرسلته ليجهز لنا الإبل. ذهبنا إلى قرية أخرى حيث وجدتهما هناك ولكن لم نجد الإبل . وواصلنا السير حتى المساء حتى وصلنا قرية تسمى التكلة. وفي هذا المكان قرر الجمالة الذين يصطحبوننا ومعهم إبلهم أن يعودوا أدراجهم حسب ما وعدتهم بأن لا يتجاوزا الجديد. ولقلة معرفتنا على كيفية الحصول على الإبل قررنا أن نأخذ أي إبلٍ تصادفنا في الطريق . وبالفعل عند المساء وصل بعض الجلابة ومعهم إبل محملة بالحبوب أخذنا منهم ستة ، ووضعنا حمولتها في منزل الشيخ كضمان لإرجاع الإبل إلى أهلها وخاصة أنهم لا يحملون كتاباً يحمل نفس الخاتم الذي أعطيته للشيخ . اتخذت هذا التحوط حتى لا يتركنا هؤلاء الجمالة في منتصف الطريق.

اضطررت لهذا التصرف لأنني أُجبرت بأن أقيم لفترة طويلة في قرية لا توجد فيها وسيلة أتخذها غير التي أتخذت . ومن جانب آخر كانت أراضي كل الديار التي تقع

على جزيرة سِنار مسطحة، ونجدها تارة عامرة بالقرى وتارة بالأشجار وحوالى هـذه القرى توجد حقول الذرة. لكننا وجدنا زمن الحصاد قد انتهى ولحظنا أن عملية الزراعة في هذه المناطق ليست سهلة وأنهم يقومون بزراعة الذرة بعد توقف الأمطار. الحـصاد يتم بعد شهرين من زمن الزراعة. ومظهر جزيرة سِنار يبدو مستوياً لأنك لا ترى غير الأراضي المنبسطة حتى القرى الموجودة في هذه السهول لا تقع على مناطق ذات علو محسوس. والمنازل في الغالب الأعم صغيرة وذات أشكال دائرية ومغطاة بشكل يـشبه الشمسية، وليس هناك ما يميز أهلها عن سكان شندي وبربر.

الجمعة السابع من ديسمبر 1821م

في هذا اليوم بعد مسيرة نهار كامل وصلنا إلى قرية الكوع ونزلنا فـي منـزل الشيخ الذي أحسن معاملتنا. وعندما شرعنا في المغادرة في الصباح اكتشفنا أن العبادي الذي يتبع لإبراهيم باشا قد سُرق بعيره في الليل . بالأحرى فإن أهالي هذه المنطقة أفلتوا البعير عن قصد بغرض الاستيلاء عليه. من جانبي أطلقت التحذير في القرية كلها بأنـه إن لم يحضروا هذا البعير في ظرف ساعة سوف أضرم النار في القرية. وفي الحقيقـة وجدوا البعير وسط الأشجار. وتحركنا بعد ساعتين من طلوع الشمس.

السبت الثامن من ديسمبر 1821م

سرنا في هذا اليوم النهار كله حتى وصلنا في المساء إلى المسلمية وهي قريـة كبيرة ما وجدته فيها كان أفضل مما وجدته في سِنار. ووجدنا القائمقام قد غـادر إلـى سنار فأقمنا في منزل الشيخ الذي لم يكن موجوداً ، ومع ذلك فقد عوملنا معاملة طيبة.

الأحد التاسع من ديسمبر 1821م

قمنا في الصباح الباكر ووصلنا قبل منتصف النهار إلى قرية كبيرة تسمى طيبة. وذهبنا إلى الشيخ حيث وجدنا عنده القائمقام وطلبنا منه أن يؤجر لنا الإبل، وبما أن اليوم يصادف يوم السوق فلم يجد صعوبة في أن يؤجر لنا الإبل . وفي غضون ثلاث ساعات

كانت الإبل جاهزة. كانت لدي الرغبة في أن أستريح بعض الوقت في "طيبة لأذهب إلى السوق. لذلك لم نغادر إلا قبل ساعتين من بزوغ الفجر.

الاثنين العاشر من ديسمبر 1821م

منذ صباح هذا اليوم واصلنا المسير ومررنا بالغابات والسهول المزروعة بالذرة حتى وصلنا في المساء عند قرية صغيرة قضينا بها الليل. وشاهدت في هذه القرية عادة جميلة ؛ فحينما يحين المساء يذهب كل شخص أنهى عمله إلى المسجد حيث يوجد شيخان أو ثلاثة ومجموعة من طلاب القرآن، يتحلقون نساءً ورجالاً ويقرؤون بعض الأدعية ويتعلمون القراءة والكتابة ويعلمون بعضهم البعض. ويستمر هذا النشاط لمدة ساعتين.

الثلاثاء 11 من ديسمبر 1821م

غادرنا تلك القرية في الصباح الباكر ومررنا بغابات كثيفة وأراضٍ مزروعة وأخرى غير مزروعة يكثر فيها العُشب. وعند الساعة الواحدة وصلنا قرية صغيرة لا تبعد كثيراً عن منى[1] كان أهلها سيئين للغاية. فقد رفضوا أن يعطونا الماء ولكن الكرباج علمهم كيف يكونون كرماء. وبعد منى مررنا بقرية كبيرة وهي القرية التي اغتيل فيها الوزير محمد قبل مدة قصيرة، أما الآن فهي خالية من السكان لأن الباشا أمر بتدميرها بسبب هذه الجريمة. وبتنا على مقربة من قرية على ضفاف النيل تبعد من سِنار مسيرة أربع ساعات. وفي هذا الموقع أخبرنا أحد الجنود أن إبراهيم باشا وإسماعيل باشا غادرا إلى سِنار وقال لنا أحدهم إنه بالأمس قتل أربعة جنود في خيامهم في سِنار. هذا الخبر لم يكن جيداً بالنسبة لي لأنني سأقيم لبعض الوقت هناك.

الأربعاء 12 من ديسمبر 1821م

تحركنا في الصباح ومررنا بسهول مليئة بالأدغال والأعشاب وشاهدنا قريتين

---

[1] . بالقرب من ود الحداد .

وكانت الثالثة سِنار. قبل الدخول إلى المدينة ذهبت إلى المعسكر للتأكد عما إذا كان هنالك شيء يخصني أم لا . ووجدت ديوان أفندي المسؤول عن المنطقة مريضاً بالحمى. وذهبت أيضاً إلى منزل المعلم آنّي وكانت خيمته ليست بعيدة من هذا المكان. كان قد وصل إلى سنار قبل أربعة أيام ولم يكن يعلم شيئاً بخصوصي لكنه قال لي: إذا أردت مقابلة الباشا فسيوفر لي الإبل فأجبته بالإيجاب. وطلبت منه أن يجهز لي بيتاً في سِنار. وفي أثناء وجودي معه دخل طبيب الباشا وكان مُقيماً في سِنار لمعالجة ديوان أفندي. وبينما كنت أتحدث مع ترجماني بالإيطالية عرفني في الحال وطلب مني أن أقيم معه إلى أن يجدوا لي بيتاً فوافقت على ذلك. كان بيته على ضفاف النيل ويتكون من حجرة واحدة دائرية الشكل. نصبت خيمة لخدمي وسكنت معه في حجرته تلك. كان مضيفي يدعى ميكوني(Miconni) كنت قد قابلته من قبل في القاهرة . عاملني بكل أدب ولطف ولكنه لم يرق لي أبداً لأنني أحسستُ بأنه ذو طبيعة مقرفة ومغامرة كعادة أهله . ولأنه من أهل جنوة الأصليين فإن لديه شعور بالعظمة. لمست ذلك من خلال تصرفاته.

في المساء رافقته لزيارة فريدياني (Fredianni) التعيس فوجدت رجلاً يتعذب من تأنيب الضمير أكثر من كونه مجنوناً بفعل الجرائم التي ارتكبها. وتعرف عليّ وكان في حالة يرثى لها وموثوق على أحد الأَسِّرة ، وطلب منِّي أن أسامحه على الأذى الذي سببه لي، لكني لم أعرف ما هذا الأذى؟ وحاولت أن أواسيه ولكنه كان غارقاً في تأنيب الضمير لا ينفك عن الحديث عن معاقبة الله له على جرائمه واعتقاده أنه يستحق عقاباً أكثر من ذلك. في الحقيقة إذا كان فريدياني في صحة جيدة لما أتيت لزيارته ولكن في هذا الظرف أثار شفقتي وقررت أن أزوره كل يوم حتى أعيده إلى صوابه . ولم أرَ استحالة في هذا الأمر؛ كل المطلوب منا أن نفعله هو أن نزيل تلك الأفكار التي تكبله ونهون له من حجم الجرائم التي ارتكبها . ولم أر فيه رجلاً حقيراً ولكنه تعيس يستحق المساعدة.

الخميس 13 من ديسمبر 1821م

في صبيحة يوم وصولي أرسلت ترجماني إلى منزل المعلم آنّي ليناقشه في

توفير ما يلزمنا من احتياجات ويسأله عما إذا كان ديوان أفندي سيمكث طويلاً في منى التي ذهب إليها تخفيفاً للرتابة وكان قد وعد بالرد عندما أذهب إليه ؛ ولكن اشترط أن أسأله فقط عن توفير الإبل. وعندما قابلته أخبرني بأنّ كل ما طلبته جاهز ما عدا المال . وحاولت أن أجبره بأن يعطيني المال حسب الفرمانات التي بحوزتي، لكنني كنت أتحاشى أن ينشب الخلاف بيننا فقلت له سوف أكتب خطاباً للباشا بغرض أن يرسل الأوامر إلى سِنار بخصوصي. وفي الحين ذهبت إلى المعلم آنّي ليعطيني واحداً من العبابدة ليحمل رسالتي إلى إسماعيل باشا . وأرسلت معه برقية لإبراهيم باشا لأخبره بوصولي إلى سِنار.

الجمعة 14 من ديسمبر 1821م

التقيت في هذا اليوم بشخصيات كثيرة تعرفت عليها في مصر من بينها السيد بيوني(Piogni) رئيس الصيادلة في الجيش الذي سلمني خطاباً من ريتشي . وقضينا اليوم في تفقد مدينة سِنار. وحدثني عن جنون فريدياني وأخبرني بأن هنالك أوروبيين كثيرين ملتحقين بالجيش لم يصبهم ما أصاب فريدياني.

لم يكن لدّي أي نشاط في يوم السبت.

الأحد 16 من ديسمبر 1821م

مكثت بالمنزل الذي أعطوني إياه وكان من أجمل المنازل في المنطقة وهو يقع بالقرب من منزل فريدياني، لهذا أستطعت أن أزوره على الدوام، وأقدم له كل ما يحتاج إليه لأنه في الحقيقة معزولٌ تماماً عن العالم ، وفي بعض الأحيان كنت أرسل إليه بعض الطعام خاصةً السمك.

الاثنين 17 من ديسمبر 1821م

ذهبت في صباح هذا اليوم إلى منزل السيد بيوني. لم أجده وانتظرت حتى عاد وأخبرني بأنه كان مع رجل أعمال إبراهيم باشا ووجد معه خطاباً يخصني من معسكر

إبراهيم باشا عن طريق بريد أرسل إلى ديوان أفندي. وعندما أطلعت على الرسالة رأيت أنها أرسلت بخصوصي من طرف الدكتور، كتبها رداً على الرسالة التي بعثتها إليه وأنا بالحلفايا. قال لي إن إبراهيم باشا قد كتب إلى ديوان أفندي لتوفير كل ما أحتاج إليه. وأخبرني بأن هناك رجلين من العبابدة ينتظراني في قرية تسمى سرِيوة لكي يقوداني إلى المعسكر ونصحني بأن أغادر في الفجر تفادياً لطقس سِنار السيئ . وكان يحدثني دائماً عن الرحلة الممتعة التي سيقوم بها الباشا. وفي الحال طلبت من المعلم أن يقوم بواجبه نحوي، ولكن كنت أفضل أن يحضر إليّ بنفسه وأعلم أنه بالفعل يتوجب عليه أن يرسل خطاباً لديوان أفندي . وبالفعل قبل المساء كتبت خطاباً للمعلم.

الثلاثاء 18 من ديسمبر 1821م

في الصباح سألوني عمّا إذا كنت أود المغادرة فأستفيد من المراكب المتجهة نحو سرِيوة لجلب بعض العبيد. لكني شكرتهم وقلت لهم إنني أنتظر رد الباشا على خطاباتي. وبعد ذلك أرسل رجل أعمال ديوان أفندي يطلبني ، فبعثت إليه ترجماني وعاد الترجمان وقال لي: إنه وصل خطاب من الباشا يأمر ديوان أفندي بأن يوفر لي كل ما أحتاجه. ومن ثم ذهبت إلى منزل المعلم وأخبرته بأني قررت بأن لا أغادر إلا والباشا راضٍ عني، وشعرت بأنه ليس لديّ أي شيء أفعله في هذا الجزء من العالم وأود أن أذهب إلى الباشا وكل أسباب الراحة متوفرة لدي . واتفقنا على أن يوفر لي مركباً يوصلني للقرية التي ينتظرني فيها العبابدة. وبسرعة فائقة رتبت نفسي للمغادرة في اليوم التالي.

الأربعاء 19 من ديسمبر 1821م

بدأنا في الترحال في الساعة العاشرة من صباح هذا اليوم. ولم تكن الرياح جيدة ولذلك لم نتمكن من السير لمسافة طويلة. وتوقفنا بعد غروب الشمس في الضفة الغربية من النيل. وكان النيل كثير التعرجات متغيّراً في جريانه من الجنوب الشرقي إلى الجنوب الغربي حيث لا جزر ولا صخور، ولم يكن واسعاً في هذا الموقع، وكانت

ضفافه مرتفعة وشديدة الانحدار، تارة تجدها صخرية وتارة ترابية ولكنها ذات طبيعة تختلف عن التي شاهدتها منذ تحركي حتى وصولي لهذا المكان. فقد كنت أعتقد بعدم وجود أيّ اختلاف في طبيعة النهر منذ بداية بحر أبيض. توجد عدة قرى ولكني لم أتمكن من مشاهدتها بسبب الغابات التي تغطي ضفاف النيل، ولم تكن في المواقع التي نأخذ منها الماء حتى نتمكن من رؤيتها. كان النيل يعُج بأفراس البحر والأشجار المليئة بالطيور الجميلة وبأعداد كبيرة من القرود التي تقفز من غصن لآخر بكل خفة ورشاقة.

الخميس 20 من ديسمبر 1821م

صحوت في هذا اليوم مبكراً على أنغام تغريد الطيور من كل جنس وكنت مستمتعاً بأنغامها المختلفة وريشها الجميل. بدأنا التحرك ببطء لأن الريح لم تكن قوية. وفي المساء توقفنا بالقرب من إحدي القرى. أثناء سيرنا طول النهار شاهدت على ضفاف النهر آثار أقدام الأفيال وهي تبدو واضحة في المناطق المنخفضة على ضفاف النيل. والمكان الذي توقفنا فيه تغطيه الغابات المسكونة بالطيور والحيوانات الأخرى التي كنا نسمع صياحها.

الجمعة 21 من ديسمبر 1821م

في صباح هذا اليوم لم تكن الرياح جيدة لتمكننا من التحرك ، لكننا اكتفينا بعبور النيل لنصل لقرية في الجانب الآخر منه كنا نسمع نباح كلابها طوال الليل. قرر البحارة وترجماني أن يجلبوا بعض المؤن ولكني نصحتهم بأن يأخذوا معهم أسلحتهم لأنهم قد يتعرضون لبعض الإساءات من سكان هذه المناطق. أما بالنسبة لي فأخذت بندقيتي وذهبت للغابة للصيد ولحظت في المكان الذي توقفنا فيه آثارا كثيرةً لأقدام الأفيال وكمية من روثها الذي ما زال ليّنا، مما جعلني أخذ حذري عندما دخلت الغابة حتى لا أفاجأ بأحد هذه الحيوانات . وكانت كل الطرقات في الأدغال تغطيها الأشجار، وحقيقة كانت هذه المناطق غاية في الروعة.

شاهدت أعداداً كبيرة من الطيور ولكن لم أستطع اصطيادها؛ لأنها كانت في مناطق وعرة فضلاً عن أنّ كل الطرقات كانت مغطاة بروث الأفيال وآثار أقدامها التي تدل على أن هذه الأفيال من الأحجام الكبيرة. وهناك أشجار كثيرة حَطّمتها هذه الأفيال. توقفت في أحد الأماكن الخالية من الأدغال وكنت مترقباً عسى أن تخرج عصفورة فاصطادها. وفجأة سمعت جلَبة داخل الأدغال وكانت قريبة منّي فوقفت وبدأت أنظر من حولي ، وتحوُطاً اتخذت طريقاً مؤدياً إلى النيل ، وفجأة اصطدمت بأحد الأفيال ولكنني آثرت الذهاب مهرولاً إلى مركبي.

في الحقيقة إن هذا الفيل لم يكن كبيراً ولكنه فاجأني وكان الرصاص الذي أحمله من العيار الصغير فلم أر ضرورة للاقتتال مع الفيل، لذا تصرفت بكل حذر وعدت إلى المركب وانتظرت البحارة لفترة طويلة. وبالفعل عادوا ببعض المؤن وأخبروني بأنهم عندما وصلوا القرية فزع الناس منهم، وتسلح كل رجال القرية. فلما سألوهم عن سبب تسلحهم أجابوهم بأنهم يحملون السلاح لمقاومة الأفيال التي سببت لهم خراباً كبيراً في الأيام السابقة . ولما أخبرتهم بأنّي ذهبت إلى الغابة اندهشوا لذلك الخبر وأخبروني بأنه لا يمكن أن يتجرأ أحد على فعل ذلك. ومن ثم تحركنا ووصلنا قرية تقع على الشاطئ الآخر للنيل تسمى دورلا ، ووجدنا أهلها طيبين وساعدونا في شد الشراع . وعلى الفور هبت الريح وواصلنا السير حتى المساء. توقفنا عند الشاطئ الغربي للنيل ومن ثم تحركنا ولم تكن الرياح شديدة . وقبل ثلاث ساعات من طلوع الشمس وصلنا للشاطئ الشرقي للنيل.

السبت 22 من ديسمبر 1821م

تحركنا في صباح هذا اليوم على هبوب ريح طيبة فتمكنا من السير بسهولة، ووصلنا للغابات. وجدت مجموعة كبيرة من العصافير الدورية لم أشهد في حياتي مثلها وبهذا العدد ، حتى أن المرء لا يستطيع أن يحصي عددها فهي بدت كأنها سُحُب مما أدى إلى حجب الشمس عنا. فكنا تارة نسمع ضجيج أصواتها وتارة حفيف أجنحتها. واستمرت على هذا النحو لمدة ربع ساعة. ولم أرى مثل هذا العدد من العصافير إلا في

الأرض الجديدة[1]. وعبرنا عدة قرى وكان سكانها يأتون لشاطئ النهر لتحيتنا وكانوا معجبين بمشاهدة مركبنا، لأن معظم المراكب التي شاهدوها كانت صغيرة الحجم. وساعدتنا الرياح في ذلك اليوم في المسير حتى المساء . ثم توقفنا لبعض الوقت للتزوُد ببعض المؤن. في قرية صغيرة لحظت أن معظم أهلها كانوا مرضى و طريحي الفراش وهو ما لحظته أيضاً في القرى التي مررت بها من قبل.

وعندما توقفنا عند الضفة الشرقية سمعنا نباح كلاب مما يدل بأن هناك قرية قريبة من هذا المكان، وذهبنا لهذه القرية للتزوُد ببعض المؤن ، فوجدت أهلها أيضاً مصابين بالأمراض، وكلهم طريحو الفراش ، ودخلت في أحد المنازل ولم أجد غير النساء وهن أيضاً يعانين من المرض. واللافت للنظر أن المظهر الخارجي لهؤلاء المرضى يعطيك شعوراً بأنهم موفورو الصحة وأن أجسامهم ليست بالهزيلة. طلبت من هؤلاء النسوة شيئاً آكله وقدمت لهن عقوداً من الخرز وبعض الأشياء الأخرى مما جعلهن يتحلقن حولي ويظهرن لي حسن المعاملة رغم مرضهن، إلا أنني لحظت أنهن يحببن الترف وأنهن ملحاحات في الطلب . وأعطينني ما طلبت منهن، وسألتهن عن هذا المرض المتفشي في هذه المنطقة . فأخبرتني إحداهن وكانت تحمل العقد الذي أعطيته إيّاها في يدها؛ بأن هؤلاء الناس ليسو بمرضى ولكنهم يتظاهرون بالمرض خوفاً من المعاملة السيئة التي يتلقونها من قبل الأتراك. فضحكت كثيراً من هذه الحِيَل. بعد ذلك عدت إلى مركبي وقضينا الليل في مكان قريب من هذه القرية.

في المساء لحظت أن ترجماني لم يكن مرتاحاً أبداً خاصة عندما سمع نباح الكلاب، ونباح الكلاب هو مؤشربوجود قرية بالقرب منا . أخذ الترجمان بعض البحارة وذهب لتلك القرية، وذهبتُ أنا للنوم. قبل أن أستغرق في النوم حضر إليّ أحد العبيد وطلب مني باروداً للريس. وعندما سألته عن السبب أخبرني بأنه سمع طلقات نارية بالقرب من القرية. وفي هذا الأثناء سمعت أنا طلقاً نارياً وتأكدت بما لا شك فيه أنه صادر من ترجماني الذي ربما قد يكون اشتبك مع أهالي هذه القرية. لهذا أخذت سلاحي

---

[1] . هذه إشارة لعمله السابق في البحرية الفرنسية عندما قضى بعض الوقت على ساحل كندا والولايات المتحدة الأمريكية. ولابد أنه في ذلك الوقت قد زار نيوفاوند لاند (Newfoundland).

ومعي أربعة من الرجال المسلحين وتوجهنا لنجدة رجالنا. وكان الظلام دامساً فلم نستطع تبصُر الطريق من كثرة الأدغال. وبعفوية أستطعنا أن نصل إلى الطرف الآخر من القرية حيث سمعنا نباح الكلاب بالقرب منّا وصحنا لرجالنا فردوا علينا. وعرفت أن الطلق الناري الذي صدر منهم كان بغرض التسلية فأغضبني ذلك. وعندما وصلت إلى القرية وجدت ترجماني يقف بالقرب من نار كبيرة وحوله عدد كبير من الأعراب. ولم أستطع أن أخفي غضبي من ترجماني لتهوره، ولكنه اعتذر بأن هذا الطلق الناري كان لإبعاد الكلاب عنهم . بقيت مع هؤلاء الأعراب لبعض الوقت، وجدتهم من قبيلة الجعليين ، يعتمدون في عيشهم على منتوجات أغنامهم، ويتصفون بالشجاعة وسماحة التعامل. وحملوا لنا العشاء الذي كان يتكون من العصيدة واللبن، واصطحبونا حتى المركب. وقدمت لهم هدية صغيرة وطلبوا مني كتاب الصلاة فقلت لهم ليس عندي؛ وفي المساء كانوا يتحلقون ويقرءون القرآن.

الأحد 23 من ديسمبر 1821م

في صباح هذا اليوم شعرت بحمى وإعياء شديد وكنت أتوق للتقيؤ ولكن للأسف لم يكن معي أي طبيب. وشربت كثيراً من الماء الساخن وتقيأت مادة صفراء ولكن الحمى لم تفارقني وبقيت معي طول الليل والنهار. ولم تفارقني إلا في ليلة 24.

الاثنين 24 من ديسمبر 1821م

قبل منتصف النهار وصلنا إلى المكان الذي كان علينا أن نترك فيه المراكب، وعلمت أن الباشا على مسافة مسير يوم من المكان الذي نحن فيه ويسمى سريوة. أخبرني نفرمن الناس بأن الباشا مريض[1] ويود العودة إلى شندي ؛ والآن يُجهز له المركب. كل هذا الكلام لم أتحرَّ منه وأرسلت أحد العبابدة إلى الدكتور وطلبت منه أن يرسل لي كل أغراضي لأتمكن من مصاحبة الباشا لأنني مريض أيضاً.

---

[1] . كان مريضاً بالدوسنتاريا.

الثلاثاء 25 من ديسمبر 1821م

تحسنت بعض الشيء في صباح هذا اليوم وكنت منتظراً جواب الدكتور حينما وصل حامل خاتم إبراهيم باشا الذي التقيت به من قبل في أسوان، وحضر إليّ في المركب وبلّغني تحيات الباشا والدكتور وقال لي إن الباشا مريض وسوف يصل قريباً جداً وأنه أرسله إليّ ليطمئن على حالي. وبالفعل وصل الباشا ومن ثم حضر الدكتور وزارني وذهبت للتو إلى الباشا وكان في مركبه ووجدته مستلقياً واستقبلني بحفاوة وأجلسني على سريره وأصر عليّ أن أبقى معه في مركبه وليس في مركب آخر. واستسمحته بأن أركب مركباً آخر لأنني مريض ولا أريد مضايقته وطلب مني أن أتصرف وكأنه غير موجود، وهو سيتصرف على هذا النحو. وبقيت معه وتحركنا في الحال. في المساء ترك الباشا سريره لي على سطح المركب، وكانت هنالك خيمة جميلة مصنوعة من المخمل وذهب الباشا إلى حجرة الدكتور وتشاطرا الحجرة. وسهرت معه ساعات طويلة من الليل. ورغم خطورة مرضه إلا أنّه كان متماسكاً. ومع أنه كان في حالة حرجة وتحت رعاية الدكتور، إلا أنه كان يحاول أن يظهر وجوده بكل فاعلية.

في المساء توقفنا عند جزيرة رملية صغيرة نصبنا فيها خيمتنا وتناولنا العشاء.

الأربعاء 26 من ديسمبر 1821م

واصلنا السير طيلة النهار وتحسنت صحة الباشا أكثر من اليوم السابق ، وكان يصر عليَ ألا أفارقه لحظة واحدة. كنا نتمشى طول الليل مع بعضنا البعض وسُررت غاية السرور بتلك اللحظات. بالرُغم من أنه لا ينقصني أي شيء داخل هذا المركب، إلا أنني لم أشعر بالراحة كما لو كنت في مركب آخر. وفي سنار كان عليّ أن آخذ مركب الكانو(Fr. cange)

الخميس 27 من ديسمبر 1821م

في صباح هذا اليوم وقبل منتصف النهار وصلنا إلى سِنار. وطلب الدكتور وشخصي من الباشا عدة أشياء . وحضر القائد بنفسه ووفر لنا كلّ ما نحتاجه. وبالرغم

من أن كل الأشياء التي طلبتها توفرت إلا أن الباشا أصدر أمراً بأن أمكث بضع أيام في سِنار، وأصدر توجيهاته بأن يوفروا لي كل ما أحتاج . وأعطاني الباشا مركباً جميلاً كان من المفترض أن يحمل عليه هو بعض أغراضه، ولكن كرماً منه أهداني إياه. وغادر قبل المساء إلى شندي وبقيت أنا في سِنار. أما ترجماني وخدمي فكانوا في مركب آخر في المؤخرة. في البداية قررت أن أذهب لمنزل ميكوني لأبيت فيه ولكن عدلت عن رأيي لأن صحبة هذا الرجل لم تكن مريحة فقررت الذهاب لمنزل السيد بيوني وقلت له: أود أن نستأنس مع بعضنا البعض . وبالفعل قضينا كل الليل في الأنس. وعند منتصف الليل عاد ترجماني ومعه الدكتور وأخبرني بأن المركب قد وصل وأنه يريد أن يتأكد بأنني لم أغادر مع الباشا.

الجمعة 28 من ديسمبر 1821م

في صباح هذا اليوم ذهبت لزيارة المعلم آنّي وديوان أفندي. واستقبلاني استقبالاً حافلاً كأنني الباشا وأخبراني بأنهما تحت الخدمة وهما رهن الإشارة. وطلبت منهما أن يوفرا لي كتاباً عن تاريخ سنار مكتوب باللغة العربية يعود تاريخ تأليفه لعدة قرون، وكنت قد تحدثت بشأنه مع الباشا. ولكن هذا الكتاب غيرموجود في سنار وقد أرسل من يبحث عنه. وضعت كل أغراضي في منزل السيد ميكوني في انتظار تجفيف مركبي التي عاثت فيها الفئران فساداً طيلة فترة مكوثي مع السيد بيوني. وفي يوم السبت ، 29 من ديسمبر لم أقم بأي نشاطّ.

من الأحد إلى الاثنين 30 – 31 ديسمبر 1821م

قضيت وقتي حتى الأول من يناير في قضاء بعض الأعمال الصغيرة في سنار، وعندما حان هذا التاريخ لم أتمكن من المغادرة لعدة أسباب.

الثلاثاء الأول من يناير 1822م

في مساء هذا اليوم زرت السيد ديوان أفندي الذي أعطاني خطاباً للباشا يتضمن سنداً فيه مبلغ من المال بأمر إسماعيل باشا. وقد عاملني بكل لطف، وسألني عدة مرات عما إذا كنت في حاجة لبعض الأشياء حتى يكملها لي.

الأربعاء الثاني من يناير 1822م

شاهدت في هذا اليوم زرافة يافعة وديعة كان يحتفظ بها الباشا. وكانت تلعق أرجلها الأمامية مثل الكلب ، وشعرت أنهم لا يريدونني أن أتفحصها عن قرب. هناك أيضاً أنثى فهد قالوا لي لواقتربت منها ستجلب لك النحس. فما كان مني إلا أن قمْتُ برسمها ولم تكن بوداعة الزرافة بل كانت شرسة جداً. بدأنا رحلتنا عند الساعة التاسعة من صباح هذا اليوم وواصلنا السير حتى مُنى. كانت المياه منخفضة ولم يكن التيار قوياً، وبدأت أتسلى كثيراً بمشاهدة مجموعات القرود التي تسكن الغابات وهي تتسلق الأشجار بكل خفة. وفي داخل النهر شاهدنا أعداداً كبيرة من أفراس النهر، كما شاهدنا أفيالاً كبيرة الحجم تتجه صوب النهر للشرب. وهناك في الضفة الشرقية للنهر مجموعة من الأفيال تتلاعب بطريقة خشنة، وعندما أتت بالقرب من ضفاف النيل تهدمت الأرض تحت أقدامها ونزلت إلى الماء. يقولون إنّه في موسم الجفاف تكون هنالك أعداد كبيرة من هذه الأفيال في هذا الجانب. وضفاف النيل في ذلك الحين غير صالحة للزراعة؛ لأنها مغطاة بالغابات الكثيفة.

الخميس الثالث من يناير 1822م

تحركنا قبل طلوع الفجر في هذا اليوم وواصلنا المسير. وفي حوالى الساعة الرابعة وصلنا إلى مصب نهر أطلق عليه من كان معي في المركب اسم الدندر، وأظن أنه الرهد وملتقى الدندر. كان هذا المصب ضيقاً جداً والمياه قليلة أيضاً، والنهر صغير وضفافه مرتفعة تغطيها الأشجار. وهذه الأشجار حسب أهالي المنطقة تصبح كبيرة جداً في زمن الأمطار وتخزن فيها المياه. وفي المساء توقفنا في قرية تسمى "طبع حلسيم؟".

وذهبت مع ترجماني وسألت أهل القرية عن اسم هذا النهر الذي مررنا به فقالوا: هـذا النهر حتى بحر أبيض يسمى الدندر ولا يوجد غيره.

من الجمعة الرابع حتى الأحد السادس من يناير 1822م

سرنا لمدة ثلاثة أيام ولم نتوقف إلا عند المساء وذلك لتمكين البحارة لأخذ قسطٍ من الراحة. وفي اليوم السادس من هذا الشهر وفي المساء وصلنا منطقة أبي عشر وهي قرية كبيرة كنت قد مررت بها عندما كنت متوجهاً إلى سِنار. وطيلـة المـساء كنـت أستيقظ على أصوات أفراس النهر التي كانت بالقرب منّا، وكانت أصواتها تسمع علـى بعد ميل لأنها كانت قوية جداً وكانت موجودة خارج المياه. وقد شاهدت تلك الحيوانات على ضوء القمر فأطلقت عليها عياراً نارياً فعادت مسرعة إلى النهر حيث أحدثت هزة قوية في المياه مما جعل مركبنا تتأرجح لمدة عشر دقائق. في هـذه النـواحي توجـد مجموعات كبيرة من الحيوانات مما يسبب ذعراً كبيراً للأهالي. لهذا نجدهم يجدُّون فـي اصطيادها ويداومون على إشعال النيران بغرض إخافتها حتى لا تقترب من محاصيلهم. وتوجد على ضفاف النيل مجموعة من التماسيح وملايين من طيور اللقلـق والطيـور الأخرى، ورأيت طائر أبي منجل لكنني لم أتمكن من اصطياده.

يتسع النيل في منطقة أبي حراز، لكن المياه ضحلة والتيار ليس قوياً في هـذا المكان، وضفاف النيل في هذه الناحية ليست مرتفعة ومنظرها أقل جمالاً وأشـجارها قليلة .

الاثنين السابع من يناير 1822م

قضينا معظم النهار في السير حتى وصلنا إلى منطقة الجديد وقضينا الليلة فـي مكانٍ إلى الشمال منها.

الثلاثاء الثامن من يناير 1822م

في صباح هذا اليوم توقفنا عند العيلفون للتزود ببعض المؤن. وعندما هبت الرياح بشدة آثرنا أن نتمهل في السير. وعند الساعة الثالثة وصلنا إلى سوبا [1] حيث شاهدت بعض الآثار الموجودة في هذا المكان، وكانت على بعد ميل من النيل وهي عبارة عن أكوام من التراب تغطيها قطع صغيرة من الطوب المحروق مما يوحي بوجود مدينة في هذا المكان. هذا الاسم " سوبا " أعطاني شعوراً بأنها مسماة على سبأ القديمة، ولم أكن مستغرباً لعدم عثوري على آثار من الحجارة لأنّي منذ يومين من تحركي لم أشاهد جبلاً في طريقي. ومن ناحية أخرى فإن تلك الجبال التي تقع إلى الشمال من الحلفايا لا تصلح لصنع التماثيل والآثار التاريخية.

في كل هذه الأنقاض التي شاهدت لم أعثر إلا على حجر واحد مصنوع منه أسد على الطراز المصري[2]، ولكنه كان متهالكاً بفعل الزمن لهذا لم أتبينه أجيّد الصنعة أم لا. ربما كان الاسم الذي أطلق على هذا المكان مأخوذ من اسم هذه الحجارة أو ما تمثله والتي يطلق عليها اسم سبأ باللغة العربية . يبدو أن هذه المدينة كانت كبيرة جداً لأن المساحة التي توجد عليها هذه الأنقاض والطوب تقدر بميل مربع. قضينا الليل في هذا المكان حيث تسكن بعض مجموعات صغيرة من العرب، وقابلت أخا ملك الحلفايا الذي أتى لزيارتي في المركب واستقبلته بحفاوة. وفي المساء جلب لنا لبناً كثيراً وكان مبتهجاً جداً عندما رأى البحارة وهم يرقصون ولعل هذا المشهد جديد عليه.

---

[1] . سوبا: هي العاصمة القديمة لمملكة علوة ، تلك المملكة المسيحية الجنوبية التي ازدهرت في العصور الوسطى وقضى عليها الفونج في حوالى سنة 1500م.

[2] . قد يكون هو تمثال الكبش الذي أحضر إلى الخرطوم والذي توجد على قاعدته كتابة مروية. ربما يكون حمل إلى سوبا من موقع آخر، لأنه لا يوجد في الوقت الحاضر أي دليل على استيطان مروي في سوبا.

الأربعاء التاسع من يناير 1822م

وصلنا عند الساعة الحادية عشرة من صباح هذا اليوم إلى ملتقى النيل ببحر أبيض، ولعل هذا هو المكان الذي ذكره السيد بروس[1](M.Bruce) والذي وضعه خطأ إلى الشمال من الحلفايا. وقضيت هنا بعض الوقت لأدون بعض الملحوظات. وعند الساعة الثالثة بعد الظهر وصلنا إلى الحلفايا والتقيت بالقرب من النيل محمد أغا، وكان كاشفاً للمدينة. وذكر لي أن الباشا توقف بالحلفايا لقضاء الليل بها ، وأخبرني بأن الباشا أبلغه بأن أحضر على جناح السرعة إلى شندي، لأنَّه لن يمكث بها طويلاً. ولذا شرعت في الارتحال على الفور.

الخميس العاشر من يناير 1822م

في هذا اليوم كانت الرياح شديدة فتوقفنا عند جزيرة تقوم عليها قرية. ذهب إليها ترجماني محمد لإحضار بعض المؤن، ولكنه لم يجد شيئاً بل إن سكانها عاملوه أسوأ معاملة. لكنه أحضر معه عجلاً إلى ظهر المركب، وفي الحال حضر أحد سكان القرية يطلب إرجاع العجل، لكننا رفضنا أن نعطيهم إياه إلا بعد أن يحضروا لنا خروفاً مكانه . وبالفعل أحضروا الخروف ودفعنا لهم سعراً أكثر مما يستحق. وفي المساء مررنا بجبل صغير يمتد حتى ضفة النيل. وفي هذا المكان وجدت مجموعة من التماسيح كبيرة الحجم لم أر مثلها في مصر. هذه التماسيح كانت في معية مجموعة كبيرة من أفراس البحر التي كانت تخرج رؤوسها من الماء تارة تلو الأخرى محدثةً زفيراً شديداً ومخيفاً.

توقفنا على مقربة من ذلك الجبل لوجود شلالٍ صغيرٍ في هذا المكان.

الجمعة 11 من يناير 1822م

في صباح هذا اليوم بدأنا الولوج داخل الشلال حيث كانت توجد كمية من الحجارة. وشاهدت أعداداً كبيرة من الإبل أتت لتشرب من مياه النيل . أصحاب هذه

---

[1] . هو جيمس بروس الذي سافر عبر الصحراء النوبية إلى البحر الأحمر، وبعد زيارته للحبشة رجع لسنار ووصل لأسوان عبر بربر. وكانت هذه الرحلات ما بين 1768 – 1772م . في وقت لاحق كتب بروس تقريرا عن هاتين الرحلتين.

الإبل قبيلة عربية تدعى الكبابيش[1] .هؤلاء الكبابيش هربوا من كردفان خوفاً من الدفتردار وذهبوا إلى الباشا وطلبوا منه أن يتركهم لكي يعيشوا في سلام وطمأنينة.

عند الناحية الغربية مررنا بجزيرة توجد بها أعدادٌ كبيرة من الأشجار والجبال العالية. في هذا المكان ينحصر النيل بين الجبال الجرانيتية العالية التي تشكل مضيقاً يمتد حتى المياه [2] . هذا الممر يبدو طويلاً وواسعاً حيث يمتد لفرسخين، ومن ثم يلج داخل النهر مكوناً شلال النيل الملئ بالحجارة. وعند دخولنا وخروجنا من هذا الممر لم نر مجرى النيل؛ لأننا كنا أمام سلسلة من الجبال تبدو وكأنها تسد مجرى النيل وتشكل واحدة من الممرات الأكثر غرابة في مجرى النيل ابتداءً من فازوغلي. وأُجبرنا على التوقف بعد مغيب الشمس لأن الظلام كان قد أدركنا وكان يجب أن ننام.

السبت 12 من يناير 1822م

بدأنا التحرك مع طلوع الشمس ، ومررنا بممرات سيئة للغاية حيث اصطدم المركب لعدة مرات بالحجارة حتى كاد أن يتحطم. وعند منتصف النهار شعرت بأن الريس لا يعرف هذا الممر جيداً ، وبدلاً من أن نسلك الممر الجيد وجدنا أنفسنا بين جزرٍ ومجموعة من الحجارة التي سدت علينا الممر، وصعب علينا العثور على منفذ في هذه الضفاف المغطاة بالغابات الكثيفة. وجرفنا التيار القوي حتى وجدنا أنفسنا وسط هذه الأشجار والأحجار. ولكن لحسن الحظ لم نصب بأذى مما كان محيراً لنا جداً. بعد هذا الممر وجدنا أنفسنا ثانية وسط شلالات قوية وأخذنا وقتاً طويلاً لاجتيازها. وعند المساء خرجنا من هذه الشلالات وأخذنا مجرى النهر وتوقفنا عند جزيرة من الرمال.

---

[1] . الكبابيش. القبيلة الأكبر والأغنى من بين القبائل التي تمتلك الإبل . وهي قبيلة رعوية في المقام الأول وتقطن المنطقة الممتدة من الصحراء شمالاً إلى كردفان جنوباً ومن حدود دار فور غرباً حتى وادي المقدم شرقاً.

[2] . شلال السبلوقة.

الأحد 13 من يناير 1822م

تحركنا عند طلوع الفجر. وعند منتصف النهار مررنا بجبال بُعيد ود بانقا. إنها جبال عالية بعض الشيء وتمتد حتى النهر. ووجدنا على أحدها أنقاض جدران مبنى من الحجر الخشن مما يدل على أنه سور لمدينة لم يُعد لها أثر. بعد مسير ساعة من هذه الجبال مررنا أمام ود بانقا ، وبعد ساعة أخرى توقفت لمعاينة الآثار التي لمحتها عندما كنت صاعداً النيل. هذا الموقع يسمى بالمصوَرات[1] أو بالأحرى بالكنيسة. وهو يبعد مسافة نصف ميل من النيل ووهو عبارة عن أطلال مدينة مصرية مبنية من الطوب الأخضر- ليست بالكبيرة. وتوجد أنقاضٌ كثيرة تغطي كل المساحة التي تشغلها هذه المدينة، وجزء كبير من هذه الأنقاض يمثل معبداً ، وبقايا الأنقاض الأخرى تمثل آثاراً مصنوعة من الحجر.

الناظر من الجهة الشمالية الغربية لهذه الأنقاض يجد مكاناً مرتفعاً في وسطها، نصفه مغطى الأنقاض . وهذا المكان المرتفع يمثل معبد تيفونيوم [2] الذي لم يتبقَ منه إلا دعامته، وما زالت الحجارة الموجودة في الأعلى يمكن رؤيتها والباقي منها مهدمٌ وأصبح أكواماً على سطح هذا الصرح. ومدخل هذا المعبد في الجهة الشمالية الشرقية وأمام هذين العمودين قطعٌ صغيرة من هذه الأنقاض. كما أن هنالك مجموعة من الحجارة التي صنعت منها بعض المنحوتات، ولكن لم تكن لافتة للنظر، ولكني لمحت باباً مقبباً عليه كرة مُجنّحة ذات طابع مصري صرِف، وبالقرب منه رأيت إفريزاً يونانياً شبيه بالأنواع الموجودة في تافا في النوبة.[3]

هذه الأعمدة مقطوعة بطريقة لافتة للنظر. وعلى جوانبها الأربعة يوجد المعبود تيفون واضعاً كلتا يديه على بطنه، ولحيته مفصولة بخصلات من الشعر قبيحة المنظر.

---

[1] . هذه الأنقاض التي أشار إليها لينان تعرف بود بانقا وهي تقع على بعد 5 أميال من قرية تحمل الاسم نفسه. أما الآثار التي تسمى بالمصورات (الشهيرة) فتقع جنوب شرق ود بانقا على مسافة نحو 18 ميلاً من النيل. لكن الآن يكاد لا يوجد أثر لأنقاض في ود بانقا.

[2] . محررة الترجمة: أي معبد مخصص لعبادة المعبود تيفون. عن الأخير انظر أعلاه ص 46.

[3] . تؤرخ آثار ود بانقا للفترة المروية.

الأعمدة مغطاة بطاقية عريضة من الجانب الأعلى، وعلى هذه الطاقيــة رأس إيــزيس أيضاً مغطى بطاقية مكونة تاج العمود. وعلى جانبي رأس إيزيس ثعبان علــى رأســه دائرة وفي الأعلى، وبين الطاقيتين زهرة اللوتس . هذه الأعمدة جيدة التنسيق والصنعة ولكنها الآن أصبحت مهدمة بعامل الزمن . خلف العمودين رواق والمسافة بين العمودين تبلغ 30 قدماً، وفي مؤخرة هذا المعبد حطامٌ لأحد الأبواب مبعثر حتى السقف. في الجهة الجنوبية الشرقية قطعٌ صغيرة من الأنقاض وتوجد أيضاً بقايا لأعمدة تتبع لمعبد آخــر. وليست ثمة شيء آخر جدير بالملاحظة.

عند عودتي إلى المركب رأيت في الطريق مدفناً لشيخ يدعى دراجي كنت قــد رأيته من قبل عند صعودي النيل. هذا الولي مدفون تحت شجرة تحيط بها بقايا ســاقية وآنية وقطع من الخشب. إنه بالتأكيد يمثل صورة الخلفــاء عنــد الــدهماء الأمريكــان والأفارقة. كان هذا الشيخ وقوراً ومحترماً ولكن للأسف لم أتمكن من معرفة تاريخه.

وصلت إلى المركب عند المغيب وغادرنا في الحال. ولكننا لم نواصل الــسير أكثر من ساعة واحدة؛ لأننا كنا نخشى أن نصطدم بالصخور. ولكن لحسن الحــظ بعــد تجاوزنا لأطلال الكنيسة لم تواجهنا أي صخور.

الاثنين 14 من يناير 1822م

وصلنا عند منتصف النهار إلى شندي. وذهبت في الحال إلى منــزل الكاشــف وطلبت منه توفير منزل لي، وسألته إن كانت هناك أخبار من الباشا أو الدكتور مُرسلة إليّ، فأجابني بالنفي. وكنت مندهشاً جداً وشرحت له سبب دهشتي بأني لا أكاد أصــدق بأن الباشا لا يمكن ألاّ يترك أمراً بخصوص ترتيب أموري. وأفهمني الكاشف بأن مــا سأطلبه سينفذ. واستغربت لهذا الأمر لأنه إذا لم تكن هناك أوامر من الباشا فلا يمكن له أن يوفر لنا مثل هذه الطلبات. حملنا كل أمتعتنا إلى البيت الذي خصصه لنا. ووجــدت أحد الصيادلة الذين يعملون في الجيش يريد المغادرة إلى سِنار. وكنت قد تعرفت عليــه في مصر وأعطاني خطاباً من الدكتور ذكر فيه بأن الباشا وشخصه ذهبا إلى القــاهرة؛ لأن الباشا تلقى خبر تقلده باشوية دمشق وأنه ما زال مريضاً.

الثلاثاء 15 من يناير 1822م

عند وصولي إلى شندي بادرت بمقابلة عدد كبير من التجار الذين كنت قد تعرفت عليهم خلال إقامتي الأولى بشندي. وكان الغرض من المقابلة الإطلاع والتعرف على بعض المعلومات حول مواضيع شتى، مثل شراء عِقالات للإبل ، لأنني لن أحصل على إبل من الحكومة ولأنني سأتوقف في كثير من الأماكن، ولهذا أردت أن أحافظ على الجمال التي بصحبتي. واستلمت خطاباً آخر من الدكتور مرسلاً من بربر، ذكر لي فيه بأن الباشا أجهده كثيراً وأنه مريض كاد أن يموت بسبب بعض التصرفات الطائشة، وأخبرني بأن سموه أصدر بعض الأوامر الإيجابية في شندي وأنه مهتم بذلك الأمر.

من الأربعاء 16 من يناير حتى الثاني من فبراير 1822م

مكثت عدة أيام أطَلع فيها على أحوال البلد وأرتب فيها أموري للرحلات القادمة التي تنتظرني. ولكنني لم أجد الإبل الجيدة لأنها تصل بأعداد قليلة إلى الأسواق في مثل هذا الوقت. ولهذا قضيت معظم وقتي مع تجار المنطقة والسلطان والكاشف.

علمنا أن خبر باشوية دمشق إلى إبراهيم كان غير صحيح وأن هذا الخبر نقله أحد المترجمين الذين كانوا بالقاهرة، ظناً منه أنه بعد وصوله إلى سِنار سينال جائزة من الباشا بعد نقله لهذا الخبر، ولكنه لسوء الحظ أن الباشا وهو في بربر تلقى بريداً من القاهرة لم يذكر فيه مثل هذا الأمر. ولهذا عاقب الباشا هذا الترجمان بأن يذهب إلى القاهرة سيراً على الأقدام وهو في معيته. وكان هذا الترجمان محظوظاً لأنه لم يتلقَ عقاباً آخر أكثر قسوة من هذا العقاب.

من جانب آخر عرفنا أن محو بيه[1] قد وصل إلى بربر حاكماً للمنطقة الممتدة من ديار الشايقية حتى جزيرة سِنار، ومن ثم وجدنا أن أحد كواشفه وصل إلى شندي.

وفي هذه الأثناء وصل تركمان إسماعيل باشا من سِنار ومعه المخطوطة التي تتحدث عن تاريخ سِنار.

---

[1] . محو بيه عرفلي ضابط تركي وصل للسودان سنة 1821 حاكماً للمنطقة حول بربر وشندي. في وقت لاحق أصبح حاكماً على منطقة سنار. توفى سنة 1828.

وكان الملك نمر الذي قمت بزيارته عدة مرات يرسل لي بعض المؤن في شكل هدايا، وكنت أعامله بالمثل خاصة عندما أهديت له إناءً من البلور مملــوءاً بــالعطور. مكثت فترة طويلة في انتظار بعيَري اللذين أشتريتهما فــي أول قــدومي إلــى شــندي واضطررت لتركهما في سِنارعلى أن استلمهما لاحقاً في شندي. أخيراً وصلا إلــىّ إلا أنهما كانا ضعيفين ومنهكين وانتظرت قليلاً لحين يأخذان قسطاً من الراحة مــن عنــاء السفر.

الجمعة 25 من يناير 1822م

كان هذا اليوم هو يوم السوق الذي كنت معتمداً عليه في شراء الإبل، إلا أننــي لم أر أحداً في السوق لأن الأعراب كانوا يخشون جنود حامد بيه الذي وصل إلى هــذا المكان وهو في طريقه إلى الحلفايا عن طريق بحر أبيض. وهؤلاء الجنود رغم الفتــرة القليلة التي قضوها في شندي إلا أنهم نكلوا بالمواطنين وتسببوا في مضايقتهم. بعد ذلك وصل البيه نفسه يوم 28 من هذا الشهر وغادر بعد يومين من وصوله لأنه لــم يجــد مؤونة كافية لجنوده في شندي. أرسل المعلم آنّي معي مبلغاً من المال إلى أســرته فــي القاهرة، وأعطاني بعيراً جميلاً مقابل ثلاثمائة قرشٍ على أن أعطي هذا المبلغ لزوجته، وأعطاني مبلغ سبعمائة قرشٍ.

الأحد الثالث من فبراير 1822م

ذهبت في صباح هذا اليوم إلى مترجم إسماعيل باشا، وبدأ لي تعيساً جداً وعنده زمرة من الناس. وعندما صرنا لوحدنا أخبرني بأن أخباراً سيئة وردت له من الحلفايا، ذلك أن الملك نمر مرعليه في الليل وأخبره بأن ملك الحلفايا ومعه أهالي هــذه المدينــة كانوا مسلحين ومخمورين وكانوا ينوون اغتيال الجنود في الليل، وأن الجنــود احتمــوا بأحد المنازل وظلوا محبوسين في هذا المنزل يوماً وليلة، وكانوا حذرين جداً ولم يطلقوا

طلقة واحدة . وبعد ذلك انسحبوا من القرية وحضروا إلى شندي لمقابلة أحمد بيه ، ومن ثم عادوا أدراجهم إلى الحلفايا. وطمأن الملك الترجمان بألا يتوجس من أهل شندي وأنه لا يمكن أن يكون مثل ملك الحلفايا السكير. قال أيضاً: إنه لا يقاتل إلا إذا كان يضمن النصر وهذا مستحيل في مقاتلة جنود مثل جنود محمد علي باشا، لأنه إذا حاول أن يقاتلهم فإن الباشا سيرسل جيشاً لقتاله وهزيمتة مؤكدة.

في أثناء النهار كانت هنالك بعض التحركات التي لا تبشر بخير إذ قيل إن إسماعيل باشا هُزم في إحدى المدن التي حاول الهجوم عليها، وأن أخاه إبراهيم توفي وأن جثمانه في طريقه إلى القاهرة. وعندما علمت بذلك قلت للدكتور إن غياب إبراهيم نذير شؤم للجيش وقد يؤدي إلى فقدان كل المناطق التي احتلوها، وكان من الأفضل البقاء في بعض الأماكن المأمونة حتى يسترد الباشا صحته بدلاً من الذهاب إلى القاهرة.

عند منتصف النهار علمنا بأن المعلم آنّي ذهب إلى سِنار بنفسه لأن أهل هذه المنطقة استولوا على العبيد الفارين من الجيش، وأنهم طردوا كل الجنود من سِنار ومعهم ديوان أفندي، وأن الناس جميعهم في البلاد التي تقع إلى الجنوب من شندي في حالة هيجان وثورة، وأن حامد بيه لم يستطع أن يدخل الحلفايا. وأرسل في طلب البارود والرجال من بربر مما جعلني أفكر بأن الأمور أصبحت تتأزم لعدم وجود رجال أقوياء على رأس الجيش. في المساء تسلحت وتخندقت داخل منزلي واحتميت بالملك وابن عمه لأنهما سيعاملانني بكل لطف ولن يتركاني لحظة؛ لأنهما يعلمان أنني لم أكن من رجال الباشا وكنت خائفاً جداً بأن كل ما اكتسبته في رحلتي هذه قد أفقده في حادث مماثل مثل الذي حدث في الحلفايا.

الاثنين الرابع من فبراير 1822م

لم نعرف أي أخبار غير أن أحد العبابدة قال أمام الكاشف إنّ حامد بيه قد تخندق أمام الحلفايا وأن الأهالي قاموا بنهب مخزني الذرة بالمدينة.

الثلاثاء الخامس من فبراير 1822م

لم يكن هناك أيّ جديد والذين جاءوا من الحلفايا يقولون الشيء نفسه.

الأربعاء السادس من فبراير 1822م

في صباح هذا اليوم جاء رجل إلى الكاشف وكانت يده مجروحة ولا يزال جرحه ينزف. وعندما سأله الكاشف عن سبب الجرح أخبره بأن رجال حامد بيه عاملوه معاملة سيئة وتسببوا في هذا الجرح. وأمر الكاشف باستجواب هذا الرجل إلا أنه اختفى ولم نره بعد ذلك. في مساء هذا اليوم كانت هنالك بعض التحركات الغريبة وأصبح الناس يتكلمون بحرية تامة دون خوف، وبعضهم أكدوا أن مثل هذه الاضطرابات ستكون في شندي أيضاً. وفي الليل أطلعني الترجمان بأنه سمع رجلين يقولان إن إسماعيل باشا قد أغتيل وإن جيوشه تبعثرت بسبب ثوره الجنود الشايقية الموجودين داخل معسكره، وأكدوا بأن هذه الثورة ستنتقل لا محالة إلى شندي.

في ظل هذه الأوضاع السيئة وضعت كل التحوطات الدفاعية في المنزل، وتأكدت من إغلاق الباب في المساء، ومن سلامة قفله حتى لا يأتيني طارق بليل. وكنا أربعة أشخاص مسلحين وكنت أنا وترجماني مسلحين ببندقية ومسدس وسيف بينما كان خادمنا مسلحاً ببندقيته بالإضافة إلى ساطور كبير. أما العبد فكان يحمل حربة وسيفاً بالإضافة إلى درع كبير. وأعتقد أن ثلاثين رجلاً لن يتمكنوا من هزيمتنا. وقضينا الليل في تجهيز الرصاص والبنادق، ووضعنا لغماً تحت باب المنزل عبارة عن كمية من بدرة البارود حتى يتسنى لنا نسفه عندما نلتحم بمن يهاجمنا، لأننا سنجد صعوبة في الهرب من هؤلاء الهمجيين. وتحاشيت أن أبث هذا الرعب وسط صحبتي لكنهم عندما رأوا هذه التحوطات الشديدة شعروا بأن خطراً ما يحدق بهم، فقلت لهم بأنني فعلت كل هذا لنسف كل من يحاول الوصول إلينا بالقوة.

الخميس السابع من فبراير 1822م

في المساء كان نومنا خفيفاً جداً. وفي الصباح ذهبت إلى الترجمان ولم أجده لأنه كان قد ذهب إلى الملك وكان في صورة مزرية ومتكلفاً في استقبالي. وبعد ذلك ذهبت إلى منزل الكاشف ولم أجد خبراً جديداً. وفور وصولي حضر أحد الجنود وقال إنه أتى من دنقلا. وقال إن الكاشف كان قد سمع كل الأخبار التي تذاع هنا عن تلك

المنطقة وأنه قد أخذ كل إبل الجلابة التي تجلب الماء من كورتي إلى شندي عن طريق العقبة، وهو قد أتى وفقاً لأوامر الكاشف ليأخذ المعلومات من مصادرها. وعندما يتأكد من الحقيقة سيرجع في الحال أو يمكث خمسة أيام إذا دعت الضرورة لذلك.

إن هذه الخدعة قد اختلقها الكاشف. وفي الحال علم كل سكان المدينة بذلك. وعند خروجي من منزل الكاشف توجهت إلى الشيخ سعد وكان يبدو منزعجاً جداً وتحدثنا عن هذه الأمور وقال لي: إنه يعتقد أن كل هذه الأخبار السيئة غير صحيحة وبدا لي أنه طيب النوايا. رجعت إلى منزل الترجمان وقد سألني عما إذا كان ذهابه إلى الملك شيئاً مستحسناً؟ فأجبته بأنني لست مسؤولاً عن تقويم تصرفاته، وسألني مستفسراً عما إذا كنت أعتقد بأنه يمكن أن يحدث تذمر في شندي ويكون رجال الملك طرفاً فيه؟ فأجبته بأني لا أعتقد ذلك لأن هنالك أعداداً من الجنود في بربر والحلفايا . ثم أنني لا أتصور أن سلطان شندي يمكن أن يتهور لهذا الحد ويقوم بتمرد أو أي اضطرابات أخرى، أضف إلى ذلك إنه ملتحق بخدمة الباشا وليس لديه أي نوايا خبيثة. ولكن مع ذلك يجب أن أكون حذراً محتاطاً حتى لا أفاجأ.

أصبحت الأخبار السيئة تتفشى في المدينة بأن قوات الباشا قد ذُبحت بما في ذلك الباشا نفسه. وتلقيت هذه الأخبار من الترجمان بينما حضر أحد المواطنين من الحلفايا ذاكراً بأن حامد بيه دخل الحلفايا وأن ملك الحلفايا ورجاله تراجعوا للضفة الأخرى من النيل، وطلبوا العفو والصفح وبرروا ما بدر منهم بأنهم كانوا في حالة سُكر شديد. وخلال وقت قصير جداً تفشى هذا الخبر في المدينة. رغم كل هذه الأخبار ظللت محتاطاً لأي طارئ.

الجمعة الثامن من فبراير 1822م

في صباح هذا اليوم أرسل لي الملك نمر وزيره ليخبرني بأن الرجال الذين كان قد أرسلهم في مساء أمس إلى الحلفايا قد عادوا، وأنهم أكدوا بأن فتوحات إسماعيل باشا ما زالت مستمرة وأن الوضع في سِنار مستقر، وكل أخبار التمرد لم تكن صحيحة بل أن تلك التي ذكرت أن سكان قرى جزيرة سِنار قد اغتالو بعض الجنود كانت أخباراً

عاريةً من الصحة. بالإضافة إلى عدم صحة أخبار الكاشف الذي قيل أنّه عاد من شندي وقام بإعدام الذين قاموا بهذه الأعمال وإشعال الفتنة والحرب في القرى.

السبت التاسع من فبراير 1822م

تلقينا أخباراً في هذا اليوم تفيد بأن مجموعة من العبيد احتجزوا من قِبَل مواطني قرية أبو رأس ، وأن قوات الباشا تمكنت من إطلاق سراحهم وهم الآن في طريقهم إلى شندي. وبالتالي انتهت كل هذه الاضطرابات وانتهت معها تحوطاتي.

الأحد العاشر من فبراير 1822م

في صباح هذا اليوم زارني الملك سعد ومعه هدية عبارة عن حربة جميلة ومعها غِمْدِها. أرسل إليّ الملك نمر مستفسراً عما إذا كنت أرغب في إعطائه مسدساتي لأستبدلها بأخرى ، لأنه كان يعلم بأنني أحتاج للمزيد منها. فأعطيته إياها في الحال، لكنني قلت له إنها ليست من النوع الغالي . فرد إنها تعجبه وإنه سيرسل لي مسدساته الأغلى سعراً. بالرغم مما قلته إلا أنه اعتقد بأنني ما كنت أرغب في إعطائه مسدساتي. فأرسلتها له موضحاً أنني قلت ما قلت ليس بسبب أنني أرفض ، لكن كان قصدي أن أؤكد له عكس ذلك. في المساء أرسل إليّ طالباً حزامي الذي أضع فيه سلاحي. لقد كان حزاماً جميلاً وليس لديّ غيره. رفضت طلبه وقلت له إن هذا الحزام مهم جداً بالنسبة لي، وليس لدي حزام آخر أضع فيه أسلحتي. فعلت ذلك حتى يشعر وزيره بأنني تصرفت بهذه الطريقة لأن الملك لم يقدم لي أي هدية بالرغم من أنه يعرف بأني في حاجة لشراء بعير وأنه يملك الكثيرمن الإبل ولم يهدِ لي واحداً على سبيل المجاملة والعرفان.

الأحد 11 من فبراير 1822م

في هذا اليوم أصيب ترجماني بداء الدوسنتاريا. وبقيت بجواره في المنزل. تأثر الملك بما فعلته بالأمس فأرسل لي قِربة لحمل الماء ومعها قِفْلها من العاج، مصنوع

صناعة جيدة. أرسل لي كذلك جلد نمر فى منتهى الجمال. وكافأت الذي حمل لي هذه الهدايا مكافأة جيدة وأسمعته بأن الملك لا يفوته شيء ويعرف الأصول دائماً. في اليوم التالي مكثت بالبيت.

الثلاثاء 13 من فبراير 1822م

في صباح هذا اليوم زارني الشيخ سعد حاملاً إحدى قلنسوات الملك التي طلبتها من قبل . وأخبرني بأن محو بيه حضر من بربر وسيكون هنا حالاً.

الخميس 14 من فبراير 1822م

بعث إليّ السلطان[1] وزيره ومعه حزام قديم لحمل الأسلحة. وطلب منيّ إرسال حزامي إليه. ولكنني لم أقبل حزامه ورددته إليه. فأرسل إليّ ثانيةً مخبراً بأن محو بيه يود الذهاب معي إلى الآثار الموجودة في الصحراء. وشكرت محو بيه على هذا اللطف ولكني أخطرته بأني سأذهب إلى هذه الآثار بعد أربعة أيام وأود أن يمكث البيه هذه الأيام معنا. وذكر رسول السلطان لي بأننا عندما نذهب إلى هذه الآثار سنمر ببعض العرب الذين سيهدون لي بعيراً جميلاً. وقلت لهم سواء مررنا بهؤلاء الأعراب أم لا، سأكون سعيداً لأنني أعرف كيف أكافئ من يقدم إليّ أي خدمة مهما كان نوعها.

الجمعة 15 من فبراير 1822م

في صباح هذا اليوم ذهبت لمقابلة السلطان فوجدته قد ذهب مع الكاشف لمقابلة محو بيه الذي سيصل في المساء. وقد نصبوا له عشية وصوله خيمة بالقرب من النيل.

السبت 16 من فبراير 1822م

في صبيحة هذا اليوم لم أتمكن من مقابلة البيه لأنه كان مشغولاً ومعه عدد كبير من الناس. وأرسل لي أحد ضباطه ليخبرني بأن البيه يود مقابلتي في اليوم التالي.

---

[1] . محررة الترجمة: لاحظ أن لينان يستخدم اللقبين ، ملك وسلطان في الإشارة لملك نمر.

الأحد 17 من فبراير 1822م

في صباح هذا اليوم أحضروا لي خيولاً للذهاب لمقابلة البيه الذي استقبلني بحفاوة كبيرة وأطلعني على أخبار إبراهيم باشا والدكتور. أخبرني البيه بأنه ذهب إلى الأهرامات التي تقع بالقرب من شندي وهو في طريقه من بربر وتّان يود أن يجدني هناك ولكنه بالطبع لم يجدني. من ثم ذهبت إلى الملك (نمر) وأخبرني بأنه عندما أقرر الذهاب إلى مكان الآثار سيمدني برجال يرافقونني في الطريق.

الاثنين18 من فبراير 1822م

في هذا اليوم قمت بترتيب أغراضي حتى يتسنى لي الرحيل في يوم غدٍ. وطلب منّي البيه مقابلته في المساء. وبالفعل ذهبت إليه وأطلعني على خريطة النيل التي رسمها السيد سوكَولي (Soccoli) الذي كان يأمل أن يكون مهندساً للباشا، وأن الباشا يعرفه جيداً. في الحقيقة هذه الخريطة قد أثارت دهشتي، لأنني كنت أتساءل كيف لهذا المهندس أن يعرف تعرجات النيل رغم أنه لم يَرَهُ. ولسوء حظه كانت الأسماء مكتوبة باللغة العربية، فاكتشفت السر بسرعة عندما بدأت أتفحص الأسماء على الخريطة، فعرفت أنني انخدعت في سوكَولي. كانت الخريطة بالفعل جميلة ولكنها كانت فرية كبيرة.

وسألني سوكَولي هل يمكن لي أن أُعِدَّ مثلها؟ فأجبته: مع مرور الزمن سأفعل. فانفجر بالضحك وقال لي: إنك شيطان. فهو يعلم أنني قادر على فعل ذلك، وأن الباشا حدثه عني كثيراً وأنني رجلٌ علاّمة وسأعرف أن هذه الخريطة لا فائدة منها. وشكرته على ثنائه عليّ وقلت له إنني لا استحق كل هذا الثناء. طلب مني رسم خريطة فوعدته بأنني سأقوم بإعدادها في بربر بكل سرور.

الثلاثاء 19 من فبراير 1822م

كنت أود المغادرة في صبيحة هذا اليوم ولكن كان هناك ما يمنعني من ذلك فغادرت في اليوم التالي.

مغادرة شندي إلى المصوَرات

وصف هذه الأماكن والرحلة الأخرى ووصف الحردان والرجوع إلى شندي والإقامة بها

الأربعاء 20 من فبراير 1822م

في صباح هذا اليوم حضر إليّ الشخص الذي أرسله الشيخ سعد ليقودني إلى مكان الآثار. وفي حوالى الساعة الثامنة والثلث غادرنا شندي وتحركنا في الاتجاه الجنوبي الغربي نحو جبل الكريك، وهو من أكبر الجبال التي تشاهد من شندي. ومررنا بعدة جبال صغيرة قبل وصولنا إلى هذا الجبل. ومجموعة هذه الجبال تسمى جبل المعقل. وواصلنا سيرنا عبر سهول تغطيها الأعشاب، ومجموعة من أشجار السنط ومررنا ببئر ماؤها عذبٌ يسقي منها الأعراب أغنامهم.

بعد خمس ساعات ونصف الساعة من السير وصلنا إلى وادي البنات حيث يوجد معبد صغير يسمى الدونيب كان مهدماً تماماً ولم يبق منه غير حجرة صغيرة مزبعة ومسوَرة وبعض المنحوتات مغايرة للنمط المصري[1]. كنت في عجلة من أمري لزيارة الآثارالأخرى التي أخبروني بأنها ليست بعيدة، وقررت أن أقوم برسم هذا المعبد الصغير بعد عودتي من هذه الآثار. في أثناء سيرنا في الاتجاه نفسه اكتشفنا عند سفح جبل صغير آثاراً يسميها العرب المصوَرات، وبدت لي ممتدة وسط هذه الجبال في هذا الوادي الجميل.عندما وصلت إلى هذا المكان وجدته يبعد مسيرة سبع ساعات من شندي.

فور وصولي نصبت خيمتي وبدأت في تفحص هذه الآثار. وقد كنت أهرول من جانب لآخر حتى أن ترجماني نصحني بأن آخذ سلاحي معي لأنه رأى مجموعة من الأعراب يمتطون الخيل في طريقهم نحونا. نظرت من الجانب الذي أشار إليه فرأيت نفراً من الناس يتجهون صوبنا.

---

[1] . هو معبد مروي ولكنه محطم تماماً الآن.

عندما وصل هؤلاء الناس إلى إبلنا التي كانت ترعى بين الأشجار بدأوا ينادون قادتهم ولكننا ظهرنا للعيان فجأة مما أثار ذهولهم بظهور جنود في هذا المكان. فسألناهم ماذا يريدون. فأجابوا بأنهم يودون التقرب منا. وانفرد واحد منهم وحيانا بسلاحه ضارباً رجله على الأرض. وهؤلاء القوم من قبيلة الشيخ سعد المقيمين في البطانة. من جانب آخر سألونا عن عددنا ، وجاء أحدهم تناول معنا فنجان من القهوة ودخن غليونه ثم انصرف. في المساء شاهدت مجموعة من الغزلان بالقرب من منطقة الآثار، وحاولنا اصطياد واحدة منها ولكننا لم نفلح في ذلك.

هذه الآثار يطلق عليها العرب المصوَرات وتقع في وادي الصفراء (اللوحة 20) وهي محاطة بالجبال وتغطيها الأشجار الصغيرة والأعشاب وتمثل الممر الذي يسلكه الناس من الدامر إلى الحلفايا وهو ممر قصيرٌ جداً. هذه الأطلال غريبة جداً ويبدو أنها قصرٌ أو شيء من هذا القبيل[1]. وهي تغطي مساحة كبيرة والجزء الأكبر منها توجد فيه دهاليز وأبنية وسلالم كما هو موضح في المخطط . وكل هذه الأشياء محاطة بسور من الحجارة.

كل المعابد، وهي كثيرة ، تقوم على مصاطب مما جعلها أعلى من المباني الأخرى. وهذه المصاطب محاطة بأسوار لكنني لم أستطع أن أتبيّن المدخل الرئيس للسور الكبير. من ناحية أخرى تعرفت على اثنين مرقمين IV وV في المخطط [2] (اللوحة 18). يفضي رقم IV منهما إلى فناء وسلم يمكننا العبور من خلاله إلى دهليز طويل يربط المعبد الكبير "أ" بالمعبد الصغير "ب" الموجود في الناحية الغربية.

يحتوي المعبد الكبير (اللوحة 19). على حجرة مربعة سميكة يقوم سقفها على أربعة أعمدة ولها ستة أبواب؛ ثلاثة منها في الجانب الشمالي الشرقي. أما الثلاثة

---

[1]. يرجع تاريخ أنقاض المصورات إلى الفترة المروية إلا أن الهدف الذي شيدت من أجله يظل مجهولاً، وهي ما زالت على الحال التي وصفها لينان. وتوجد على الجدار الداخلي الشمالي للمعبد هذه الكتابة بالفرنسية: العام الميلادي 1822م، زار لويس لينان هذه الآثار الشهيرة بأمر إنجلترا وتوغل حتى مملكة سنار بفضل حملات جيش إسماعيل باشا وبفضل محمد علي باشا حاكم مصر آنذاك. أنظر : G. O. Whitehead, S. N. R, vol. IX (2). P (66)

[2] . المخطط الوحيد الذي وجدته لا يوضح أحرف الغرف كما هي موجودة في النص. ويبدو أنها خطة عمل وأن المخطط النهائي قد ضاع.

الأخرى ، فبابان منها في الجانب الجنوبي الغربي، والباب الآخر في الجانب الجنوبي الشرقي ما بين البابين. في الناحية الجنوبية الغربية يوجد تمثال وفي الناحية الشمالية الغربية يوجد تمثال آخر. هذه الحجرة محاطة برواق فيه صف واحد من الأعمدة، أما في جهتها الجنوبية الشرقية فهناك صفان من الأعمدة تشكل الواجهة، وكل الأعمدة في هذه الجهة منقوشة ، أما الأخريات فليس عليها نقش، ولكنها مختلفة في الصنعة. (اللوحة 21) . على سبيل المثال فإن العمود المعلم بالحرف "Y" فهو يأخذ طابع العمارة الإغريقية أكثر من العمارة المصرية، وهو جيد الصنعة ومزيَن بنقوش جميلة.

أما العمود المعلَّم بالرقم (1) فهو مزخرفٌ برموز تبدو هيروغليفية، لكنها ليست كذلك [1]. هذه الأشكال مقسمة إلى لوحتين تشكل محيط دائرة العمود وهي متوسطة الصنعة وذات طابع جميل لكن ليس منها ما يتميز بطابع مصري.

أما العمود المعلَم بالحرف (L) فإنه يبدو غريب الشكل (اللوحة 22) ولم يبقَ منه غير الجزء الأسفل الذي يشكل قاعدته، وبه تسعة أشكال لآلهة مصرية ذات نقوش بارزة ومحدودبة ومن طراز جيِّد. من جهة أخرى قمت برسم قطعة من العمود المجاور للمعبد الذي توجد به هذه الأشكال المبعثرة.

أما العمود المعلَّم بالحرف □ فإنه مثير للانتباه أيضاً (اللوحة 22). فهو مخدَّد، وفي أسفله ستة أشكال بالنحت البارز لرجال كأنهم يقبّلون العمود، وهم يتراقصون (اللوحة 23). هذا النوع من المنحوتات لا يبدو أنه من الطراز المصري ولكنه أقرب للطراز الإغريقي. يبدو لي أنه كان هناك على قاعدة هذا العمود الشكل المعروف بالزودياك (الأبراج السماوية) . وبالطبع هناك أشكال أخرى عليها بعض الخطوط. والخطوط على العمود الذي يحمل الرقم (11) هي نفسها على العمود المرقم بالرقم (1).

معظم الأعمدة في هذه الجهة كانت مهدمة ولم يبقَ غير رواق دائري فيه عمود تاجه على شكل زهرة اللوتس ولكنه غير مزين. أعمدة هذا المعبد هي الوحيدة المنحوتة

---

[1] . الوصف لنقش باللغة المروية ، الخط الهيروغليفي.

بالإضافة إلى تمثالين كبيرين في معبد آخر يحيط بهما سور. وهناك بعض الأشكال على الجدران في هذه الجهة صنعتها ليست جيدة ولم زود برسومات.

أمام الرواق في الجهة الجنوبية الشرقية ففيه حجرات عديدة تقوم على مصطبة وتحاط بسور عالٍ. في نهاية الجهتين الجنوبية الغربية والشمالية الشرقية هناك ما يشبه البرجين المربعين وحجرة تفتح في الجهات الأربع. في الحجرة المعلمة بالحرف (G) هناك سلم للصعود داخل رواق المعبد وفي المكان نفسه رواقٌ صغيرٌ آخر في مدخل ممر طويل يؤدي إلى معبد كبير آخر لم يبقَ منه إلا أنقاض صغيرة متناثرة. هذا المعبد به حجرات متقاربة كما هي موضحة في المخطط. داخل سور هذا المعبد رواقٌ صغيرٌ يحمل الحرف (V) ولم يبقَ منه غير أساس الجدران.

بعض حجرات هذا المعبد الكبير معلَّمة بالحروف (RPR) وأعتقد أنها كانت مخصصة لسكن خدام هذا المعبد وربما لأغراض أخرى.

أعمدة هذا المعبد العظيم في الناحية الشمالية متداخلة، ويبدو أن البناء كله قد أُنجز على عجل ليجعل من البناية K أثراً منفصلاً ، أعتقد أنه كان لمعبد صغير خاص. أما الممر العريض الممتد من المعبد الكبير إلى المعبد الصغير المعلَّم بالحرف (B) في الجهة الشمالية الغربية كان متناسق الأبعاد، أما الأعمدة فمتقنة الصنعة. حجرات هذا المعبد تحمل الحرف (T) وهناك سلم يؤدي إليها مع وجود باب خارج السور الثاني في شكل حرف (V). أما الحجرة (G ,O) التي تقع أمام رواق المعبد الكبير فلها ممر دائري يقود إلى حجرات تقع أمام هذا الرواق يتقدمها معبد صغير يحمل الحرف (H) في الجهة الشمالية الشرقية للمعبد الكبير. في هذا المعبد الصغير تمثالان ضخمان لم يبقَ منهما غير الأقدام. يوجد خلف هذا المعبد درج يؤدي للمعبد الكبير ، وبالقرب من باب هذا الدرج هناك درج آخر يؤدي إلى الحجرات وهو معلَّم بالحرف (L).

في الجهة الشرقية للمعبد الكبير يوجد معبدٌ أخر معلّم بالحرف (C) داخل سور. وجدران هذا السور كلها مهدمة لدرجة أنني لم أستطع أن أتبين الباب الذي يؤدي إلى الصروح الأخرى. يحتوي هذا المعبد على حجرة واحدة مربعة ذات جدران سميكة وأرضية مرتفعة ، ويوجد رواق أمام هذه الحجرة يقوم على مصطبة متوسطة العلو.

لكن كل هذه الأشياء مهدمة ولا توجد نقوش على الأعمدة. صعدت إلى هـذا الـرواق بدرج يقع في الوسط.

يزين واجهة هذا المعبد تمثالان منتصبان ملتصقان بالسور ، يبدو أنهما كانـا جميلان في الأصل ولكنهما الآن مشوهان. جانبا باب المعبد مزينان بثعبانين بـارزين. ويوجد أسدان ملتصقان بالسور، رأسيهما مقطوعتان. فيما يبدو ، ليست بداخل هذا المعبد أي نقوش ، وسقفه يقوم على أعمدة تحولت إلى قطع صغيرة مجزأة. ويعتبر هذا المعبد الوحيد في هذا الصرح الكبير الذي لا توجد به أي حجرات.

أما المعبد في الجهة الشمالية الشرقية المعلَّم بالحرف (D) فهـو مـرتبط مـع المعبد الكبير بممر طويل إلا أن هذا الممر قد قُفل في نهايته بسور، مـن المحتمـل أن يكون فيه باب يوصل لهذا المعبد ، لكنني لم أتمكن من معرفة فيما كان يـستخدم هـذا الممر. الأرض خلف هذا الجدار الذي يسد هذا الممر أكثر انخفاضاً من الداخل كما هو موضح في المخطط . هناك جدار آخر قبل الوصول للدرج الذي يؤدي إلـى الـرواق الكبير، بيد أن هذا الممر يؤدي إلى الحجرات المعلَّمة بالحرف (L) من خلال باب بـه درج موجود في الرواق الكبير. وبما أن كل هذه الجدران مهدمة لم أتمكن من مـشاهدة الأبواب. في وسط هذا الممردرج يؤدى إلى ثلاث حجرات صغيرة معلَّمة بالحرف (U) بالنظر إلى توزيعها يمكن القول أنها تستخدم للسكن.

أما المعبد (D) فله مصطبة مثل المعابد الأخرى. أما الرواق الأول فيقوم علـى مصطبة كبيرة في اتجاه الناحية الجنوبية الشرقية. هذا الرواق يحتوي على ثمانية أعمدة ولكن واحد منها فقط سليم له تاج على شكل زهرة اللوتس. ويوجد هنا رواق يقع أمـام حجرة مربعة يقوم سقفها على أربعة أعمدة. وخلف هذه الحجرة ، التـي توجـد بهـا نافذتان تقعان في الجهة الجنوبية الغربية ، توجد حجرة أخرى هي قدس الأقداس. فـي الجهة اليمنى لهذا الرواق عدة حجرات يفصلها ممر عن المعبد.

أمام مصطبة الرواق حجرتان أخريان بهما درج يربطهما بمصطبة الـرواق ، هذا الدرج يبدو متصلاً بممر يؤدي إلى المعبد المعلَّم بالحرف (D). على الجانب الأيسر للرواق ممرٌ يؤدي إلى مصطبة أخرى توجد بها حجرات ولكن ليس هناك معبد في هذه

الجهة، ومن هنا نزلت بدرجين مختلفين إلى داخل سور الصرح. يبدو أنه كانت هناك صروح أخرى في هذا المكان لأن العمود المعلَّم بالعلامة لا يمكن أن يكون قد وضع معزولاً بل كانت هنالك صروح بجانبه.

هذا الصرح الكبير كما مبيّن في المخطط هو الأكثر غرابة، وأعتقد ، بالنظر للحجرات المتصلة بكل معبد ، أنه ربما كان ديراً أو كلية ، حيث توجد داخل هذه المعابد آلهة مختلفة ولكل إله وظيفة وتعاليم مختلفة. أما الحجرات فهي مساكن الكهنة أو المعلمين. يبدو لي أن هذا الصرح لم يكن الأوحد لأنه توجد هناك انقاض أخرى تشير بأنه كانت هناك مدينة عظيمة وصل إليها الإغريق والرومان ، يدل على ذلك الكتابات التي وجدتها في المعلّم VI ، والأخرى على مدخل السلم الكبير . هذه الأشياء حملتني للاعتقاد بأن هذه المدينة هي مدينة مروي القديمة ، وربما كان اسمها موجوداً في هذه الأطلال، بالإضافة إلى أن المؤرخين القدامى ذكروا أن عدداً من الكتاب الإغريق مكثوا في هذه المدينة، وتبرهن الكتابات الموجودة على ذلك.

قد تكون بوابة هذه المدينة على النيل في مكان المدينة حيث توجد الأهرامات في أسفل شندي أو الكنيسة بالقرب من ود بانقا. وقد تكون أطلال لمدينة ما. لكن بناءاً على مذكرات السيد بانكس (Bankes) فإن مدينة مروي تقع على مسافة (70) ميلاً إلى الداخل بينما لا تقع الكنيسة على بُعد نصف هذه المسافة.

ينبغي علينا أن نعرف ما إذا كانت هذه المدينة تبعد 70 ميلاً عن مينائها أو على المسافة نفسها من النيل. في الحالة الأولى كانت هناك ، على بعد مسافة مماثلة تقريباً، أنقاض في موقع الأهرامات في أسفل شندي . أما بالنسبة للمصورَات فلا يوجد أدنى شك بأنها الموقع القديم لمروي[1] ، فاسم " مصورات " مركب للاسم " مروي". فإذا حذفنا

---

[1] . كتب لينان الملاحظة التالية: أنه لا يخالجه أدنى شك أن الكنسية ليست بوابة مروي لأنه بعد زيارته للمصورات تعرف على أنقاض الحردان. ورأى أن هذا المكان لا يمكن أن يكون منفذا للكنيسة وأن المصورات لا يمكن أن تكون أنقاضها إلا تلك التي تقع في أسفل شندي.

المقطع الثاني من اسم المصورَات وهو " صَ " يتبقى " مورات" وهو قريب جداً من الاسم " مروي" .[1]

في الجهة الجنوبية الغربية للمعبد توجد بقايا لصرح من الحجارة مفصول عن الأخريين. لم أجد داخل السور شيئاً ذا بال غير هذه الأنقاض في هذه الجهة. في الجهة الجنوبية الشرقية للمعبد بقايا لمعبدين صغيرين لهما سور على مسافة نصف ميل من السور الخارجي، لكن هذين المعبدين مهدمان تماماً عدا في الجهة الجنوبية حيث توجد واجهة صغيرة وحجرة تتكون من ستة أعمدة عليها لوحات وأشكال بارزة. كل هذه الأشكال لحيوانات صورت وهي تقوم بقتل رجال أو التهامهم أو بالتهام حيوانات أخرى. قمت برسم عدد من هذه اللوحات ووجدت معظمها ذات طبيعة فارسية أكثر من أنها مصرية. وهذا ليس غريباً للذي يعرف تاريخ مروي؛ إذ كانت المصورَات هي الموقع القديم لمروي. هذا المعبد الصغير مغطى تماماً بالمنحوتات من الداخل والخارج. ففي الناحية الشمالية الشرقية منه حجرة قائمة على أرضية أكثر انخفاضاً من الأرضية التي تتناثر عليها هذهِ الأنقاض والحجارة الصغيرة وبعض الحجارة الكبيرة. ظننت في الوهلة الأولى أن هذه الأنقاض والحجارة لأهرامات ولكن بعد تفحص جيّد للسور والأرضيات التي تقع عليها الأنقاض، بالإضافة إلى المياه التي تبقى لفترات أطول بعد الأمطار، تأكدت أن هذه القطع الصغيرة من الأنقاض ليست لأهرامات بل لحفير حُفر لحفظ المياه لهذه المدينة؛ لأنها تبعد كثيراً عن ضفاف النيل.

في مناطق محتلفة حول هذه الأنقاض وجدت أنقاضاً متناثرة لمباني تمثل امتداداً لهذه المدينة، أما بالنسبة للآثار الأخرى فقد اختفت بفعل الأمطار والزمن لأنها كانت مبنية من الطوب . هذه المدينة تقع وسط جبال في وادٍ جميل يمتد حتى النيل ولكن هذا لا يغير اسم المصورَات لأنها في وادي الصفراء نفسه وتقع بالقرب من وادي البنات[2]،

---

[1] . كثير من الآثار في السودان يطلق عليها محلياً مسمى المصورات ومعناها أشياء مصورة مثل المنحوتات الموجودة على الصخور أو في المعابد). " المصورات " ، باستخدامه المحدد كاسم مكان، مرتبط بهذا الموقع . والاسم بشكل أدق هو المصورات الصفراء. ما توصل إليه لينان ليس صحيحا.

[2] . يقع شمال وادي الصفراء ويلتقي معه في المصورات.

هذا الوادي يطل من الناحية الجنوبية الغربية على مكان يسمى قلب المصوَرات ويؤدي إلى وادي نابسهال Nabsahal . ومن خلال ممر آخر عبر أحد الجبال نصل إلـى وادي العواتيب. هذا الوادي الذي توجد فيه المصوَرات ملئ بمجموعات كبيرة مـن الغـزلان والحيوانات الأخرى ويعتبر مرتعاً جيّداً لقطعان الماشية لوجود مياه الشرب.

في أثناء فترة الراحة في هذا المكان اصطاد الترجمان ظبياً ضـخماً يـسمى باللغة العربية الريل، ولضخامة حجمه لا يستطيع حمله رجل واحد. ولقد كانـت ظبيـة أنثى كثيرة اللبن ظللنا نطعم من لحمها الطيب لعدة أيام. وقد فرح الأعـراب بـصيدها لأنهم يستعملون شحومها كدهن لتلميع شعورهم بغرض الزينة.

الأحد 24 من فبراير 1822م

أنهيت عملي في هذا اليوم بتدوين الملحوظات عن الآثار فـي هـذه المنطقـة وقررت العودة إلى شندي عند منتصف النهار. وجدنا في طريقنا بقايا غزال اصـطاده ترجماننا بالأمس لكنه فقده بعد ذلك، ويرجع ذلك لبعض الحيوانات التي كانت أكثر حظاً منه فالتهمت هذا الغزال ولم يبقَ منه إلا القليل. في الطريـق أيـضاً مررنـا بـبعض الأعراب الذين يرعون مجموعة من القطعان في وادي البنات وشربنا اللبن الذي قدموه لنا وأخبروني بأن هنالك آثاراً تبعد مسافة قصيرة عن المصوَرات ، وهي أجمل من التي رأيناها. حدثني الدليل الذي برفقتنا بأنه لم يتذكر هذا الموقع ولكنه يمكن أن يقودني إليه إذا طلبت منه ذلك، وينبغي أن يأخذ بعض المعلومات من الشيخ سعد.

في أثناء السير توقفت قليلاً عند أحد المعابد الصغيرة التي تقع على قمة جبـل كنت شاهدته أثناء تحركي من شندي ، ولكن فضلت زيارته بعد عودتي إليها. رسـمت أحد الأشكال التي تقع خلف المعبد ولم أستطع أن أتبين بقية الأشكال الأخرى.

أصيب ترجماني بوعكة ، لذلك تركت الإبل معه ليأتي إلى شندي على مهلـه. وذهبت ومعي خادمي أولاً إلى شندي ووصلناها بليلٍ، وعندما وصلت إلى المنزل الذي أقيم فيه وجدت الناس الذين يسكنونه ، وهم من دنقلا ، نياماً. وفجأة صحوا من نومهم وكانوا فرحين بقدومنا.

وصل ترجماني بعد ساعتين من وصولنا وكانت درجة حرارة جسمه عالية ، وكان خائفاً خوفاً شديداً من الدوسنتاريا. وبالطبع أصيب بها وكان يبكي كالطفل من الألم ويعتقد بأن موته قد دنا، من جانبي كنت أبذل قصارى جهدي لأطمئنه.

الاثنين 25 من فبراير 1822م

في صباح هذا اليوم عندما علم الشيخ سعد بقدومي زارني في المنزل وأخبرني بأن الآثار التي قمت بزيارتها هي ليست الآثار التي كان يقصدها، فتلك الآثار أبعد مكاناً وأكثر جمالاً فقررت الذهاب إليها غداة اليوم التالي. في المساء ذهبت إلى منزل التركمان ولكنني وجدته قد ذهب إلى محو بيه في النيل وبما أني كنت منهكاً فقد عدت إلى منزلي.

الثلاثاء 26 من فبراير 1822م

في صباح هذا اليوم عندما كنت أهم بالخروج من المنزل حضر إليّ الشيخ سعدوطلب مني أن أقابل أحد أقاربه حضر إليه منذ يومين ومعه شيء غريب هو مقياس إنجليزي يقيس الأقدام بوساطة ماكينة داخل صندوق من الصفيح الأبيض. حضرت جموع من الناس لمشاهدة هذا المقياس وهم يتضرعون إلى الله ويشكرونه على هذه النعمة، وبينما هم يحركونه كانوا يسبحون الله وكلهم على قناعة بأن أهل بلادي علماء وهذا دليل على عبقريتهم.

حضر إليّ التركمان وأخبرني بأن البشاريين هاجموا أحد الأسواق التي تقع بالقرب من شندي ونهبوا عدة قرى وسلبوا أكثر من خمسمائة رأس من الأغنام.

دعاني الملك (نمر) إلى الغداء وذهبت إليه وحملت معي هدية وكانت عبارة عن جراب السلاح الذي طلبه مني، وكان جميلاً جداً ومصنوع على الطريقة المغاربية ، وقد سُر به الملك غاية السرور. في المساء زارني أحد الأغاريق وكان قادماً من مصر وأخبرني بوفاة السيد براين (Brine) وحزنت كثيراً لأنه كان صديقاً لي . حضر إليّ أيضاً رجلان وحكيا لي عن أحداث الحلفايا وقالا إنهما رأياني في سِنار وأخبراني بأن

الأحوال الآن هادئة، وأن هناك سبعة جمال محملَّة بالذهب استخرجه الباشا من الجبال[1] وأن الأمير الآن، بدون شك ، في سِنار.

الأربعاء 27 من فبراير 1822م

كنت أستعد للتحرك في صباح هذا اليوم. طلبت من الشيخ سعد أن يرسل لي الأعراب الذين سيقودوننا في رحلتنا القادمة لأنني أود التحرك في صباح هذا اليوم. تحركت بمفردي لأن ترجماني ما زال مريضاً، إلا أن ذلك الإغريقي الذي وصل من مصر استأذنني بأن يرافقني، فسمحت له بذلك وانتظرته حتى يأخذ بعض الأشياء من مركبه. وكنت مع الكاشف الذي أرسل لإحضار خادم المعلَّم أني (Anné) الذي طلب مني سيده أن آخذه إلى القاهرة ليؤدبه أو أن يدفع قيمة الحمار الذي باعه بأمر اثنين من الخواص اللذين جاءا معه من الحلفايا، واللذين سرقا هذا الحمار في الطريق. ولكنني كتبت خطاباً لكاشف الحلفايا وضحت فيه أن هذا الرجل لم يسرق الحمار إنما سرقه الرجلان اللذان كانا بصحبته، وهذا الخادم برئ من ذلك، لأنني في الحقيقة ما كنت أريد أن يدفع هذا الرجل المسكين تكلفة الحمار.

غادرنا شندي عند الساعة الحادية عشرة إلا ربعاً وسلكنا طريق الجهة الجنوبية الغربية، ووجدنا أعداداً كبيرة من الأعراب يعسكرون في السهول القريبة من النيل؛ لأنهم في الجبال لا يجدون ماءً تشرب منه مواشيهم. قبل ساعتين من مغيب الشمس وصلنا إلى قرية القوز وقضينا فيها الليل. حمل إلينا شيخ هذه القرية الكثير من المؤن وقال إنه يعرفني وكل الناس يعرفون بأنني صديق للشيخ سعد . وكنت سعيداً بأن تكون سمعتي طيبة في هذه المنطقة.

---

[1] . ملاحظات لينان: هذا كذب لأن الباشا لم يستجلب من الجبال سوى 10 أو 12 حبة هي التي استخرجها السيد كايو من أرض هذه الجبال.

من 28 فبراير إلى الثالث من مارس

بعد أن تزودنا بماء يكفينا لعدة أيام غادرنا قرية القوز بعد ساعة من طلوع الشمس واتجهنا إلى الناحية الجنوبية الغربية حيث شاهدنا جبلاً على شكل هرم، وعلى طول هذا الجبل سلسلة من الجبال تشرف على النيل وأخرى تمتد إلى الداخل. وبعد مسيرة أربع ساعات في سهل مغطى بالأشجار والأعشاب وصلنا إلى موقع الجبل.

في أثناء سيرنا شاهدنا مجموعة من قطعان الماشية يملكها الأعراب الذين يعسكرون في تلك السهول المجاورة للنيل. وفي هذا العام لم تهطل الأمطار لذلك يرابطون في هذا السهل. أثناء سيرنا على رؤوس هذه الجبال اتجهنا جنوباً وتتبعنا سلسلة من الجبال تسمى الكريك يوجد على شمالها وادٍ ولكن لم أر له منفذاً في الناحية الأخرى، ووجدنا فيه مجموعة من الحيوانات وحُمُر الوحش. بعد ثلاث ساعات من السير شاهدت بالقرب من هذه الجبال أنقاض مبنى صغير لم يبق منه غير أساس الأسوار. يوجد في هذا المكان ممر عبر الجبال يؤدي إلى المصوَرات، واصلنا في نفس الاتجاه نفسه وبعد ساعتين وصلنا لوادي يقود إلى قلب المصوَرات.

في هذا المكان توجد الأنقاض والآثار التي وصفتها من قبل. شاهدت فيه عن بُعْدٍ المعبد القائم في السهل وبجواره معابد أخرى قريبة من الجبل [1]. وصلنا إلى هذا المعبد قبل ساعة من غروب الشمس، وخوفاً من مهاجمة الأعراب نصبت خيمتي بداخله حتى لا تُرى من بُعد. كانت هذه تحذيرات دليلي وهو من قبيلة شيخ سعد وكان يرتعد من الخوف لأننا بجوار قبيلة الشُكرية التي نبعد عنها مسيرة يوم واحد فقط، وهي قبيلة معادية للملك نمر منذ فتوحات الباشا ، وأخبرني بأنهم إذا علموا بمكاننا فسوف يذبحوننا. توسل إليّ بأن أنهي عملي في أقرب وقت ممكن وأن أرجع إلى شندي، ولكنني قررت بأن لا أرجع بالرغم مما أخبرني به إلا بعد الفراغ من عملي، لكنني اتخذت كل تحوطاتي وأعددت وجهزت إبلي للرحيل.

---

[1] . الإشارة هنا لمعابد النقعة .

كان هذا الدليل يريني دائماً الأشكال المنحوتة على الأسوار ويقول لي أبحث عن الذي يحمل السيف، وكنت أريه ذلك وغالباً ما يكون لرجل على باب المعبد وهو يقدم قرباناً، وكان يقول لي مداعباً هذا الشكل يمثل لنا الدور السئ الذي نقوم به ويقول لي أطلق عليه النار. حاولت أن أطمئنه وأن لا أشعره بأنه يضيّع من زمني ، لذلك استجبت له ولكن ليس بإطلاق النار، واقترحت عليه أن يستخدم السيف بدلاً عن البارود لأن هنالك أعداداً كبيرةً من الأعراب من حولنا وقد يسمع إطلاق النار وهذا ما لا نريده.

هذه الأنقاض تسمى الحردان على اسم جبل يقع في الجهة الجنوبية الشرقية وهو جبل معزول في وادي العواتيب، وهذا الوادي يمتد حتى النيل والناس يقولون أنه ممتد حتى الحبشة وهو غني بالأشجار والحشائش، وفي زمن الأمطار تتجمع فيه كميات كبيرة من المياه، وهناك معبد صغير على جانب الوادي القريب من النيل يسمى الكنيسة. يبدو أن أنقاض الحردان ما هي إلا أطلال لمدينة كبيرة لم يبق منها غير أربعة صروح مهدمة. فقد شاهدت مجموعة كبيرة من هذه الأنقاض الحجرية مما يؤكد أن هناك مجموعات أخرى متناثرة هنا وهناك.

المعبد الذي يقع في الجهة الغربية من الوادي يعتبرمن أكثر الأجزاء المحافظة. وهناك معبد آخر يبعد عن المعبد الأول بحوالى 1100 قدم، ويقوم على أرضية مرتفعة. ويمتد حتى الجبل حيث يوجد معبد صغير آخر يبعد عن المعبد في الجهة الغربية حوالى 868 قدماً. للوصول لمعبد الكنيسة يجب الصعود عن طريق درج محدودب ، في مقدمته كمية من الأنقاض تشكل أساس سور مشيد من الطوب المحروق الجيد كالذي يستخدمه الرومان. في أثناء صعودي وجدت حائطاً يسد الطريق ثم ممراً به ستة كباش كالتي وجدتها في الكرنك وهي قائمة على مصطبة، وأرجلها مفقودة ولا تبدو جميلة ولا جيّدة الصنعة. هذا الممر يقود إلى معبد صغير مربع أو بالأحرى مدخل لمعبد على طراز المعبد المفتوح في فيلة ولكنه أصغر. وهو طويل أكثر من كونه كبير. في واجهته أربعة أعمدة وبابان، باب في الواجهة وباب عند مدخل المعبد. ليس هناك منحوتات ولا نقوش في رواق هذا المعبد غير التي على الأعمدة. وعلى جدرانه من الداخل رسومات متشابهة ومعظمها لامرأة تضع يديها متعارضتين وعلى كتفها زهرة اللوتس. خلف هذا

الرواق ممرٌ فيه ستة كِباش كمثيلاتها السابقة وكلها مهدمة وواقعة على الأرض. ومن ثم شاهدت أشكالاً جيّدة الصنعة على الباب الأول للمعبد، وخلف هذا الباب رواق لم يبقَ منه إلا عمود واحد بحالة جيّدة ؛ هذا العمود عليه أربعة أشكال تغطيه من أعلاه إلى أسفله وبين كل خط وآخر مجموعة من الرسومات. الخطوط الطولية تقطعها خطوط عرضية في شكل نجوم مثل التي توجد على أعمدة العمارة، وتاج هذا العمود مكعب وجوانبه منحوتة.

خلف هذا الرواق باب آخر شبيه بالباب الأول ولكن أصغر منه بقليل. في كل جانب من جوانب هذا الرواق حطامٌ لبابين، وخلف هذا الباب توجد أنقاضٌ متراكمة لجدران حجرات متعددة لم تكن جيّدة في التوزيع. خلف هذا المعبد بقايا أبي الهول أو كبش من الكباش التي شاهدتها من قبل. لم يشيّد هذا المعبد بكامله من الحجارة ، فالجدران الخارجية مبنية من الطوب المحروق. لكن يبدو أن هذا المعبد كان جميل العمران لأن ما تبقى من منحوتاته يؤكد أنه ينتمي للطراز الإثيوبي [1] وليس للطراز المصري، وهذه المنحوتات متناهية في الجمال والصنعة.

أما المعبد في الجهة الغربية فإنه لا يقع في خط مستقيم مع هذا الصرح. واجهة هذا المعبد تقع في الجهة الجنوبية الشرقية وتوجد حجرة مربعة واحدة في المؤخرة ورواق، وأمام هذا الرواق معبدٌ آخر بمثابة المعبد الثالث ولكنه مستقل عن المعبدين الآخرين ، ورواق هذا المعبد مثل رواق المعبدين الآخرين. هذا الصرح الصغير ليس مطابقاً تماماً لنمط المعابد المصرية (اللوحة 25). ولكنني لم أشاهد مثله في إثيوبيا[2] ومصر، بل بالأحرى لم أر مثيلاً له من قبل؛ فهو يحتوي على اثني عشر عموداً تشكل مربعاً ، كلها متداخلة ومتشابه وتيجانها من الطراز الكورنيثي وركائز هذه الأعمدة لها تيجان مع وجود أفريز وكورنيش ليس على النسق المصري. ما بين الواجهة في الجهة الجنوبية الشرقية والشمالية الغربية بين العمودين باب مزخرف على النسق المصري مع

---

[1] . محررة الترجمة: لينان هنا متأثر بالكتاب الإغريق في تسمية السودان القديم بالمسمى " إثيوبيا".

[2] . محررة الترجمة: إثيوبيا في يوميات لينان كما هي في كتب الإغريق والرومان مقصود بها مملكة مروي .

وجود ثعابين وقرص مُجنّح، بالإضافة إلى بعض النقوش التي ليست على الطراز المصري.

في كل جانب من جوانب الباب بين العمودين نافذة مُقببة عليها نقوش على الطراز الإغريقي أكثر من كونها على الطراز المصري. في أعلى هاتين النافذتين أسدان شرسان رابضان. ولا يوجد أي نحت آخر في هذا الصرح. هذا الرواق ليس منتظماً في محور المعبد ويبلغ طوله حوالى 74 قدماً لكنه يقع في الناحية اليمنى للمجموعة وهي منتظمة ومتسلسلة. لذلك لم يخالجني شك في أن هذا الرواق تابع لتلك الأروقة.

المعبد ، كما سبق أن ذكرت ، ليس كبيراً لكنه غريب جداً ومنحوتاته ليست جميلة ولا تمثل عملاً دقيقاً. في الجانب الأيمن للرواق رجل يقدم قرباناً بشرياً ويرتدي لباساً فاخراً وعلى رأسه طائر الباز وهو ينشر جناحيه ، وبين رجليه أسد شرس يلتهم أحد الرجال. هذه اللوحة تجسد مظاهر القوة وهي معبرة وتؤكد على جودة التنفيذ. في الجانب الآخر من الرواق امرأة مسلحة تحمل سيفاً في كل يد وتقدم قرباناً (اللوحة 26) كما في اللوحة السابقة . صورة هذه المرأة متكررة عدة مرات في الرسومات داخل هذا المعبد. تشاهد أيضاً أسداً يتأهب لالتهام أشلاء بعض الضحايا ولكنه لم يكن كالأسد السابق ، فهو هنا خلف المرأة ولا يُرى منه غير رأسه وأرجله. فوق رأس المرأة رسم لطائر فارداً جناحيه ولكنه ليس من جنس الطائر السابق.

هذه اللوحة لم تنحت بعناية كسابقتها، كما أن تلك المرأة لا تشبه النساء المصريات ذوات القوام الطويل والممشوق، بل هي بدينة وعجزها كبير، وهي أقرب في الشبه لرسومات في بيرسي بوليس. وفي منحوتات أخرى توجد رسومات لنساء مثل النساء المصريات مما جعلني أعتقد بأن هذا الاختلاف ربما كان الغرض منه التمييز بين الفتيات والمتزوجات (اللوحة 27).الحجرة عليها مناظر منحوتة من الخارج والداخل، ومنحوتات الداخل أكثر بروزاً وتداخلاً لكنها مهشمة. يستطيع الناظر إليها تمييز بعض الأشكال التي يبدو أنها كانت جيدة الصنعة. أما المنحوتات التي على الجدار الخارجي فهي أكثر وضوحاً وجيدة الصنع. وقمت برسم المنحوتات الموجودة في خارج الحجرة وكانت متناهية في الدقة خاصة من ناحية الملابس الثمينة.

يوجد بالقرب من الرواق رسم ثعبان برأس أسد وذراعي امرأة وهو من الأشكال الغريبة التي لم أرها إلا في إثيوبيا. هذا الصرح يبدو أنه من الصروح القديمة كالتي توجد في مصر، وبعض الكتابات الهيروغليفية متداخلة في اللوحات، وتوجد بقايا أسوار أمام وخلف هذا الصرح مما جعلني أعتقد بأنه كان من الصروح الكبيرة. وتوجد حجرة منعزلة خلف الرواق من دون باب. حوالى هذا الصرح أنقاضٌ كثيرة متراكمة مما يدل على أن هناك معابد أخرى اندثرت بعامل الزمن.

على بعد ألف خطوة من هذا المعبد في الجهة الجنوبية الشرقية أنقاضٌ لمعبد صغير آخر يحتوي على حجرة مربعة يقوم سقفها على أعمدة. هنا، كما هو الحال في المصورَات، يوجد منبسط كبير من الحجارة الصغيرة حوالى المعبد ، وفي وسط هذه الأرض المسطحة وحواليها حفرة ربما كانت حفير مياه كالذي رأيناه في المصورَات، ولكنني في الحقيقة لم أجد حوضاً ولا بئراً حوالى هذه الصرح. بل كنت مستغرباً من الغرض الذي حفرت من أجله هذه الحفرة ،لأنه لا يوجد مايبرر وجودها خاصة أنني لم أجد آثاراً لمقابر ولا معابد قد يكون تم بناؤها من تراب هذه الحفرة.

المساحة من هذا المكان وحتى المعبد الذي يقع في الوسط تغطيها أعشاب كثيفة وأكوام أنقاض ،إما أن تكون لأطلال مدينة أو بقايا مدافن لم أر مثلها إلا في المصورات. أما المعبد الصغير الذي يوجد في أسفل الجبل فهو يحتوي على حجرة صغيرة مربعة في داخلها كوّة وأمامها مذبح، وخلف بوابة هذا المعبد رواقٌ لم يبق منه إلا القليل، وعلى يمين هذا المعبد حجرة صغيرة ولكنها غير ظاهرة المعالم، وأمام هذا المعبد يوجد مبنى مربع ولكنه معزول. من جانب آخر هناك رسومات على جدران هذا المعبد متداخلة ومتشابكة بصورة واضحة.[1] فالجبل الموجود خلف هذا المعبد هو مصدر الحجارة التي استخدمت لبناء هذا الصرح، وما تزال هناك بعض الحجارة المكومة التي لم تستخدم بعد. وفي الجزء الشمالي الغربي لهذا الجبل، الذي يبدو معزولاً عن السلسلة ، أطلالٌ قد تكون هي المدينة أو المدافن.

---

[1] . ما تزال معابد النقعة في حالتها التي وصفها لينان. تؤرخ للفترة المروية ، ربما لعهد الملك نتكاماني.

كان مرفأ هذه المدينة يُطِل على النيل، وبها معبد بالقرب من البطانة يشرف على الوادي الذي يقع فيه الحردان ويبعد مسيرة 8 ساعات. هناك وادي يقود إلى ديار العرب الشُكرية مما جعلني أشعر بعدم الراحة . يستغرق المسير في هذا الوادي يوم ونصف اليوم مما يعرضني لخطر هؤلاء القوم[1]. عرفت ذلك من دليلي الذي ذهب ليكتشف عما إذا كان هؤلاء الشُكرية قريبين منا أم لا . وتأكدت أنهم عرفوا مكاننا، ولذلك سنتعرّض للتفتيش من قبلهم. بناءً على ذلك أمرت كل فرد منا بألا يبتعد وأن يحافظ على الماء الذي أخذناه ليكفينا لمدة ثمانية أيام. وفي المساء وضعت أحد الرجال على إحدى أعمدة الرواق ليقوم بدور الحراسة لكي لا يأخذونا على حين غرة. كانت فكرتي اختيار المكان المناسب لمنع العرب إذا فكروا في نهبنا، فالمكان الذي نحن فيه من أنسب الأماكن التي يمكن أن نحتمي بها، ولكن إذا أرادوا أن يبحثوا أثناء المساء عن القرب المليئة بالماء ويفرغونها؛ هذا بالطبع يعني أنهم أرغمونا على الرحيل ولذلك يمكن أن يهاجمونا ونحن متحركين.

لم تكن لنا رغبة في الصيد رغم أننا في واد ملئ بالظباء والغزلان وحُمُر الوحش والأرانب البرية والدجاج الفرعوني. هذا الوادي فيه أسود ضارية حيث أننا سمعنا زئيرها في المساء بالقرب منا فداخلنا الخوف مما جعلنا نوقد ناراً كبيرة رغم خوفنا من العرب.

الأحد الثالث من مارس 1822م

في هذا اليوم أنهيت عملي في الحردان، وفي المساء عاد واحد من العبابدة والدليلان الاثنان اللذان ذهبا إلى أعلى الجبل للاستطلاع وأخبراني بأنهما شاهدا جماعة من العرب يمتطون الخيول من جهة الشُكرية ولا يسلكون الطريق بل كانوا وسط الأشجار. وشاهدا دخاناً مما جعلهما يعتقدان أن هؤلاء الأعراب معسكرون في هذا المكان. من جانب آخر أعتقد أنه ومنذ أن حضرنا إلى هذا المكان أن بعض الأعراب قد

---

[1] . كان الشكرية هم القبيلة المسيطرة على البطانة في ذلك الوقت.

علموا بمكاننا وأخبروا الشُكرية بذلك، وربما أخبروا قبيلة أخرى بأننا هنا، وربما أن هؤلاء الأعراب الذين رأيناهم قد لا يكونون قادمين للسبب نفسه.

في صباح اليوم التالي لم يكن لدي عمل أنجزه فقررت وبموافقة الآخرين في المساء أن نحمِّل الإبل بأغراضنا وبمعاونة الدليل، واستمررنا في التجهيز حتى منتصف الليل وحركنا الإبل في هذا الليل. وعند الصباح لم يبق غير شخصي والدليل عند هذه الأنقاض وجهّزنا إبلنا وأخفيناها خلف المعبد. بعد ذلك قمت برسم أحد الكباش وبعض الملحوظات عن الكتابة الهيروغليفية . وأخبرني الدليل بأنه شاهد أربعة من العرب في الوادي يتجهون نحونا، وبالفعل رأيتهم بوساطة المنظار ورأيت آخرين غيرهم ولكن على مسافة أبعد، فالأوائل كانوا مسلحين بالحراب فكنت في انتظارهم ولم أخشهم؛ لأنهم مسلحون بالحراب بينما نحن مسلحون ببندقية ومسدسين وسيف. ولكن في الوقت نفسه أعرف أنه ليست لدي رغبة في أخذ أغراضهم كغنائم لأن الرجل الشجاع لا يفعل ذلك. وكان دليلي حريصاً جداً على رحيلنا ولا يود المواجهة. لهذا السبب كان يحثني على الرحيل. عندما امتطينا إبلنا وبدأنا في التحرك رأيت الأعراب الأربعة على مرمى نيران بندقيتي، فأمسكت بندقيتي وشعرت بأنهم نصبوا لنا فخاً وأطلقوا العنان لإبلهم وأصبحوا يركضون خلفنا بسرعة فائقة، ويتنادون ويصيحون ولكن كانت إبلنا أسرع منهم فأستطعنا أن نفلت منهم. كان العرب مشهورين بمهارتهم في ركوب الإبل ، لكننا كنا أفضل منهم في هذا اليوم. حتى لو كانوا يركبون الخيل لما استطاعوا أن يلحقوا بنا. وهكذا فشلوا في اللحاق بنا وتوقفوا عن مطاردتنا. أستطعنا في وقت وجيز أن نلحق بركب زملائنا الذين كانوا ينتظروننا عند بعض الأعراب الذين ينتمون لقبيلة الشيخ سعد، من ثَمَّ بدأنا التحرك عند منتصف النهار وواصلنا السير حتى وصلنا في المساء لقرية القوز حيث قضينا الليل.

الثلاثاء الخامس من مارس 1822م

تحركنا بعد طلوع الشمس. وقد تركت الإبل خلفي وكنت في مقدمة الركب ووصلت شندي في العاشرة. ووجدت ترجماني قد تحسنت صحته وكان قلقاً جداً عليّ

لأن البشاريين قد نهبوا آلاف الأبقار بالقرب من شندي وكان يخشى أن يكونوا قابلوني وألحقوا بي الأذى. في المساء زارني الترجمان وأخبرني بأن هنالك إشاعة في المدينة وفي معسكر محو بيه تقول بأنك رجعت من الجبل ومعك الإبل وهي محملة بالذهب، وأنك كنت مسروراً بذلك وأنك قتلت العبد الذي اكتشف هذا الكنز في المعبد. لهذا كنا منزعجين جداً لهذه الرواية.

الأربعاء السادس من مارس 1822م

في صباح هذا اليوم زارني الحاج سالم وكنت أعرفه من قبل. وقال لي إن الملك نمر حضر إليه لاسترجاع خادمةً وأمها وعبد صغير كان قد أعطاهم له منذ ثلاث سنوات ، وذلك لأنه يريد أن يعيد الخادمة إلى موطنها جدة. وأضاف الحاج سالم أن خادمته قد حبلت. هذا التصرف (استرجاع الخدم) لم يعجبني من الملك نمر وقلت للحاج سالم إذا كانت خادمته قد حبلت بالفعل يجب أن يعيدها إليه. وفي نفس اللحظة جاء الشيخ سعد إلى منزلي فأخبرته بما فعله ابن أخيه الملك نمر. فخرج الشيخ سعد وهو غاضب واتجه على الفور إلى منزل ابن أخيه. طلبت منه أن يتفاهم مع الملك نمر بهدوء في هذا الأمر لأن هذا الرجل قدم خدمات جليلة للسلطان ولا أود أن يُقابل ذلك بنكران الجميل.

بعد ذلك بقليل عاد الشيخ سعد ، بعد مقابلته للملك نمر، يبحث عن الشيخ سالم. وقلت للحاج سالم بأن يذهب للملك نمر وإذا لم تُحل مشكلته حلاً مرضياً فليعلمني بذلك وسأذهب للملك بنفسي. بعد منتصف النهار حضر وزير الملك إلى منزلي وحدثني عن هذه المسألة قائلاً: إن الملك لا يود أن يسترجع عبيده من الحاج سالم. والخادمة التي بسببها حدث الخلاف كانت من الخدم الذين لا يرغب الملك في إعطائها إياه، وكان يود أن يعطيه أي خادمة أخرى يختارها من بين خدم شندي بدلاً عنها ولكن بشرط ألا تكون بالفعل حاملاً. علاوةً على ذلك فإن الملك اقترح على الحاج سالم بأن يمكث ثلاث سنوات أخرى في شندي، ولن يكتفِ بإعطائه الخدم الثلاث فحسب، بل سيقوم بدفع

تكاليف رحلته إلى سواكن[1]. ويبدو أن هذه المسألة قد حرفت ولا أود أن أخوض في هذا الشأن، ولكنني سردت هذه القصة لكي أعطي فكرة عن أخلاق وسلوك أهل شندي.

الخميس السابع من مارس 1822م

بعد منتصف النهار في هذا اليوم ذهبت إلى منزل الترجمان. وفـور وصـولي قطع حديثاً كان يتبادله مع آخرين وقال لي إن شؤون الأتراك في اليونان كانـت علـى أحسن ما يرام، وأن الإغريق قد هُزموا تماماً . ولكن كلامه هذا حملني على التفكير بأنه يعتقد عكس ذلك. قال ذلك فقط لوجود إغريقي أمامه وبعد ذلك قال إنّ حسن باشا سوف يسافر من القاهرة إلى كندا.

الأحد العاشر من مارس 1822م

في هذا اليوم عاد محو بيه بعد حملته ضد العربان. وسألتقيه في صبيحة اليـوم التالي. وبالفعل ذهبت إليه واستقبلني بحفاوة كبيرة وحدثني عن بعض الأعمال التي يجب أن أقوم بها وطلب مني نصف الذهب الذي وجدته. وقلت له سوف أعطيه كل الـذهب المزعوم ، فضحك من ذلك الحديث . ثم بدأنا في الترتيبات، وقال إنه سيمدني بـبعض الرجال ليقوموا بالعمل في الأهرامات التي تقع بالقرب من شندي، وقال لي إن الـذهب الذي سأجده هناك سيكون من نصيبه وإن الحجارة ستكون من نصيبي. قـال أيـضاً إن إسماعيل باشا ما زال في الجبال، وقد أرسل الذهب في مركب من المراكب هذا المساء وأطلعني عليه وكانت كميته قليلة جداً. وأخبرني بأنه سوف يأخذ أحـد الرجـال إلـى القاهرة، وسألني عما إذا كنت أود إرسال بعض الرسائل. فقمت بكتابتها حـالاً داخـل خيمته. قضيت بضعة أيام أعد في ترتيبات الرجوع إلى القاهرة وفي زيارة بعض أهالي شندي ومعسكر محو بيه.

---

[1]. كانت سواكن الميناء الرئيس للسودان على ساحل البحر الأحمر قبل تشييد ميناء بورتسودان ، والميناء الآن يـستخدمه الحجاج في رحلتهم إلى جدة . بنيت سواكن على جزيرة وكانت مدينة جميلة ذات طابع عربي في معمارها. بالمدينة الآن عدد قليل من السكان ، ومنازلها العربية العالية بمنحوتاتها الخشبية بدأت تتداعى بدرجة متسارعة.

الخميس 14 من مارس 1822م

بينما كنت في منزلي صباح هذا اليوم دخل عليّ السيد كايو[1] Caitliaud الذي سررت لرؤيته وهو عائد من جبال طابا حيث ترك جيش الباشا هناك. أما مرافقه فكان مريضاً وكان يتمنى أن أقابله. أرسلت في الحين ترجماني إلى الكاشف ليجهز لهما منزلاً ويوفر لهما ما يحتاجانه.

عند الظهيرة ذهب أحد خدمي ليجلب الماء من النيل ، وهناك أخذ منه أحد الجنود القِرَب التي كانت معه وأخذه إلى المعسكر وعُومل معاملة سيئة. وعلى الفور امتطيت بعيري ، ولم يكن الترجمان موجوداً ، فذهبت وحدي ومعي الخادم إلى المعسكر، ولم نجد الجندي الذي أخذ القِرَب وكان ذلك من حسن حظه لأنني قررت أن أعامله بكل شدة وقسوة. وذهبت إلى البيه لكي أعلمه بذلك ولكني وجدته نائماً. وبالرغم من ذلك دخلت إلى خيمته ووجدته في حجرة أخرى وانتظرته متكئاً على أريكته. ولما طال نومه وطال انتظاري ذهبت إلى أمين الخزينة وأوضحت له سبب حضوري إلى المعسكر. أمر في الحال أن يبحثوا عن القِرَب وقال لي إنه لا علم بذلك ، وطلب مني أن لا أغضب. وانصرفت بعد ذلك لكي أقابل السيد كايو لأنه يرغب في قضاء الأمسية معي.

الجمعة 15 من مارس 1822م

في هذا اليوم تناولت وجبة الغداء مع السلطان نمر. وكانت تحتوي على كِسرة خفيفة من الذرة وعليها لحم إبل مجزءً إلى قطع صغيرة، بالإضافة إلى القراصة وإدام البامية. وبعد أن فرغنا من الأكل أخذوا ما تبقى من الأكل إلى الوزراء، ثم من بعدهم أخذ ما تبقى منه لآخرين وهكذا إلى أن نضب الإدام. ولم أر في حياتي قط مثل هذه الصحون الكبيرة. وقضينا بقية هذا اليوم مع السيد كايو في السوق.

---

[1] السيد كايو : جيلوجي فرنسي رافق جيش إسماعيل باشا إلى سنار وكتب سفراً فيما يحكي فيه تفاصيل رحلته إلى مروي.

السبت 16 من مارس 1822م

لم يكن لدي فى هذا اليوم نشاط يذكر بل كان كسابقه.

الأحد 17 من مارس 1822م

في المساء عندما عدت لمنزلي أخبرني أحد تجار المنطقة بأن أحد الفرنجة حضر من سِنار وهو يسأل عني. فأرسلت في طلبه. وكان الإفرنجي هذا صراف إبراهيم باشا وهو أرمني الأصل ولم أكن مرتاحاً لمقابلته.

الاثنين 18 من مارس 1822م

ذهبت في هذا اليوم إلى منزل الشيخ سعد الذي حدثني عن مكان وجد فيه حفرة مليئة بالوطواط في جبل من جبال الصحراء. وقال لي إن هذه الحفرة من الداخل شبيهة بالمنزل مما جعلني أعتقد بأنها حفرية قديمة. وقال لي: إنها ليست من مواقع الكفار كما هو الحال في المصوَرات والحردان التي لا تريد الذهاب إليها ، مع أنني لم أقل إني لا أريد الذهاب إلى هذه المناطق.

الثلاثاء 19 من مارس 1822م

في صباح هذا اليوم ذهبت ثانية إلى الشيخ سعد ليعطيني أحد رجاله ليدلني على المكان الذي تحدثنا عنه بالأمس . وقال لي ليس من السهل الوصول إلى هذا المكان لأن العرب الشُكرية سيقومون بقتلي إن رأوني هناك. فاندهشت لسماع هذا الحديث ولهذه الطريقة التي يكلمني بها، فهي تختلف تماماً عن الطريقة التي حدثني بها بالأمس. كأنه يشك في شيء . ولهذا أومأت إليه ببعض الإشارات فأجابني بمثلها والتفت ناحية الترجمان فكانت تبدو الدهشة على ملامحه، وقلت له أنا أكثر منك ضيقاً ، وأجابني بسرعة بأنه لا يمكن أن يقول شيئاً للشيخ سعد. قلت للشيخ سعد لديَ رغبة في الذهاب إلى ذلك المكان فأجابني بأنه سوف يمدني بالدليل الذي طلبته.

بعد زمن قصير حضر الشيخ سعد وتناولنا وجبة الغداء سوياً وقال لي: سوف أحدثك بصدق بأنه لا يوجد شيءٌ ذو بال في المكان الذي أخبرتك عنه، وأنك ستكون نادماً على ذهابك إلى هناك ولا توجد في هذه الأماكن سوى حفرة في إحدى الجبال ورجل مسلم صالح ، فلا توجد آثار هناك وإنها تبعد مسيرة يومين كاملين.

الأربعاء 20 من مارس 1822م

في هذا اليوم ذهبت للمرة الثالثة للشيخ سعد لأستفسره عن هذا المكان ولكنه كرر نفس حديثه بالأمس، وحتى الآخرين الذين استفسرتهم عن هذا الموقع أكدوا عدم جدوى الذهاب إليه.

الخميس 21 من مارس 1822م

في هذا اليوم رجع محو بيه من حملة تأديبية ضد عرب الحامداب الذين تمردوا، وقتل منهم كثيرين واقتاد شيوخهم إلى شندي ليقوم بإعدامهم يوم السوق.

الجمعة 22 من مارس 1822م

كنت أود الرحيل في هذا اليوم ولكن لسوء الحظ لم أتمكن من شراء جمل كنت بحاجة لإضافته للإبل التي بصحبتي ، فكان عليَ أن أنتظر لرؤية الجلود التي يبيعها الأعراب في هذا السوق. وكنت أرغب في مشاهدة العرب وهم يتنافسون في بيع الأشياء لجني المال. ذهبت للسوق بصحبة جنديين ، لمشاهدة اثنين من شيوخ العرب الذين هزمهم البيه. وبالفعل رأيت شيخين يقتادهما اثنان من الشرطة وهما في طريقهما للموت بقطع رأسيهما في ميدان بشندي أمام الأهالي. فتقبلا الموت بكل شجاعة ولم يظهرا أي نوع من الخوف أو التأثر.

السبت 23 من مارس 1822م

في هذا اليوم عبرت النيل لأذهب للبيه الذي كان في الضفة الأخرى. والتقيت به والتمس مني العذر بأن أسامحه لأنه قال لي إنه غادر شندي بينما هو في الحقيقة يتجه نحو بربر. وكان هذا التصرف بغرض التدابير السرية لحملاته ضد العرب وأخبرني بكل التفاصيل لهذه الحملات وقال لي إنه الآن حقاً في طريقه إلى بربر.

أعربت له عن رغبتي بأن يعطيني خطاباً إلى كاشف الدامر يخبره فيه بأني أريد الذهاب إلى قوز رجب على بحر المقرن. لكنه قال لي إن هذا الأمر مستحيل في هذه الأيام، لأن كل العرب أعلنوا عصيانهم وتمردهم، ولأن الباشا على وشك أن يرسل أمراً عن طريق البريد. وبالفعل وصل الأمر بالأمس وجاء فيه لا بد من تأديب العرب الكبابيش والحسانية في الغرب والجعليين والشُكرية والبشاريين في الشرق، وقال لي إذا أردت أن تذهب إلى قوز رجب لا بد أن تمر بتلك القبائل خاصة الجعليين والبشاريين، وقال من الأحسن أن أذهب معه. ووجدت اقتراحه هذا مناسباً لي ولكن ما زلت متمسكاً بفكرة مشروعي والذهاب قبله إلى هذا المكان. طلبت منه بأن يرسل أحد الرجال إلى عابدين كاشف لأني إذا أردت الذهاب إلى قوز رجب فليس لدي المال الكاف لذلك، فأجابني بأن هذا ليس بالمفيد لأن كل ما أحتاجه يمكنني أن أطلبه منه.

عدت إلى الضفة الأخرى من النيل وذهبت إلى المعلّم آنّي وأخبرني بأنه سوف يغادر إلى بربر في الغد. أما السيد كايو فقد غادر هذه الظهيرة إلى آثار المصوَرات والحرذان التي كنت أنا قد قضيت بها أياماً عديدةً. وقررت الرحيل في يوم الغد إذا توفرت لي كل احتياجاتي.

مغادرة شندي
وصف أهرامات كابينا ثم الإقامة
في البركل والعودة إلى دنقلا

الأحد 24 من مارس 1822م

في صباح هذا اليوم رتبنا كل أمتعتنا للرحيل. وفي تمام الساعة التاسعة امتطينا جمالنا وخرجنا من شندي. كنت مسروراً جداً بأن أرى نساء وأطفال ورجال الحي الذي كنا نسكن فيه قد أتوا لوداعنا، وكانوا يدعون لنا بالخير ويتمنون أن يرونا ثانية وفي ظروف أحسن من هذه الظروف. سرنا بعيدين عن النيل. وفي مكان يسمى المقبوض شاهدت مجموعة من الأعراب يسوقون أعداداً هائلة من الإبل لسقيها من النيل ، كما شاهدت قطيعاً يربو عدده على 600 رأس في طريقه للنيل، وشاهدت أيضاً في هذا المكان بقايا طوب محروق.

في مكان يدعى الماروقا[1] لا يبعد عن شاطئ النيل كثيراً، وجدت أنقاضاً كثيرة، ولكن لم أعثر على حجرٍ واحدٍ يمكّنني من معرفة المواد التي تتكون منها هذه الأنقاض. عند منتصف النهار وصلنا إلى مكان ملئ بالأشجار، عبارة عن وادٍ يمتد حتى مشارف النيل يسمى دوشين. وعندما مررت به أول مرة كان مليئاً بالمياه . على بُعد ثلاثة أميال من مكان يدعى الميسا ووسط أشجار ضخمة على ضفة النيل وجدت أنقاضاً من الطوب الأخضر والطوب المحروق والحجارة، وبقايا لمعبد لم يتبق منه غير أحجار وتمثال أبو الهول مدفون بالتراب [2].

بعد مسير خمسة أميال من هذا المكان توقفنا عند قرية صغيرة على ضفاف النيل بالقرب من كبوشية تسمى القوساو.

---

[1] . الماروق= سماد ، يستخرج بطريقة غير شرعية من المباني القديمة ويستخدم لتخصيب المحاصيل. من الجائز أن الاسم ماروقا يشير إلى هذه الممارسة وبالتالي فهو ليس اسم لمكان معين. لا بد أن ليناn الآن بالقرب من التراجمة.

[2] . هذا المكان غير معروف.

الاثنين 25 من مارس 1822م

بعد ساعة من طلوع الشمس بدأنا في التحرك وقبل الوصول للآثار التي توجد أمام الأهرامات شاهدت أنقاضاً كثيرة بالقرب من النيل[1]. عند منتصف النهار وصلنا الأهرامات عند قرية صغيرة تسمى الكيكاب[2] فتوقفت بها. بعد ذلك امتطيت بعيري لألقي نظرة على الأهرامات في منطقة الجبل، وكنت آمل أن أجد مكاناً في الجبل لأمكث فيه ولكن خاب أملي وقررت العودة إلى القرية.

الثلاثاء 26 من مارس 1822م

في هذا اليوم حصلت على منزل وضعت فيه كل أمتعتنا ثم بدأت العمل في الأهرامات.

الأربعاء 27 من مارس 1822م

قمت بنشاط الأمس نفسه.

الخميس 28 من مارس 1822م

لم يكن لدي أي نشاط في هذا اليوم.

الجمعة 29 من مارس 1822م

هبت رياح شديدة في صباح هذا اليوم فقررت البقاء في البيت وواصلت عملي. وعند الساعة العاشرة والنصف سمعت العبادي الذي كان يقوم على تدبير أمر الإبل وعلاجها يصيح بإن هناك جنوداً يريدون أخذ بعيري. فتحركنا سوياً نحوهم وركضت خلفهم بكل ما أوتيت من قوة ورأيت عدداً من الرجال على ظهور الإبل وهم يبتعدون عن القرية. عدت إلى المنزل وأخذت بندقيتي من بين يدي محمد وخرجت مسرعاً

---

[1] . موقع مروي القديمة .

[2] . البجراوية. توجد هنا قرية أخرى صغيرة تسمى كيك ، وربما كانت هي المقصودة بكلمة " كيكاب" ، الجزئية – أب عندما تضاف لاسم ما تصبح إشارة للسكان .

وحافياً، وركضت خلف هؤلاء اللصوص ولو أستطعت اللحاق بهم لقتلت أحدهم. وبينما كنت على وشك الاقتراب منهم ضعفت قواي من الاستمرار في المطاردة. وعلى الرغم من غضبي الشديد لم أتمكن من اللحاق بهم وشاهدت بعيري يذهب مع شخص آخر غيري. لقد أحببت هذا البعير كثيراً لجماله وكانت خسارته عليّ فادحة ومؤلمة. وفي اللحظة التي رأيت فيها هؤلاء اللصوص على بعد مسافة قريبة صوبت بندقيتي نحو الرجل الذي كان يركب بعيري وأطلقت عليه عياراً نارياً أصابه بالفعل إلا أنه كان من الحجم الصغير فلم يصبه بأذى جسيم.

عندما عدت إلى المنزل ضربت العبادي وقلت له كان ينبغي عليه أن يشتري لي بعيراً ويسرجه حتى أتمكن من اللحاق بهؤلاء اللصوص. قلت له أيضاً إن هذا الخطأ خطأه وأنه قد يكون رتب لهذه السرقة لأن هؤلاء اللصوص من العبابدة مثله وقد عرفتهم من طريقة ركوبهم للإبل . لكنه أقسم لي بأن اثنين من هؤلاء اللصوص أمسكا به عندما كان يهم بالحضور إليَ ليخبرني بالأمر ولم يطلقاه إلا بعد أن أخذ اللصوص الآخرون الإبل وفروا بها. كنت أعتقد في البداية أنهم أخذوا بعيراً واحداً ولكن تأكد لي أنهم أخذوا بعيرين ، مما زاد غضبي. إذ أن فقد بعيرين يعد خسارة كبيرة. وعلى الفور ركبت بعيراً آخراً وحاولت أن أركض بكل قوة لألحق بهؤلاء اللصوص فأوشكت على اللحاق بهم، ولكن لسوء الحظ كان بعيري يميل يمنة ويسرى مما جعلني غير ثابت على ظهره وأفقدني توازني أكثر من مرة؛ لأنه ما زال بعيراً يافعاً ولم يروَض بطريقة جيدة.

بعد ذلك اضطررت أن أعود أدراجي ووصلت إلى المكان الذي تركت فيه رجالي وكانوا غاضبين جداً لما أصابني وغير راضيين بما تركه اللصوص من بعيرين هزيلين مقارنة باللذين أخذوهما معهم.

في الحال ركب الترجمان والرجل العبادي على بعيرين ليتعقبا اللصوص إلى المكان الذي يتوقفون فيه لقضاء الليل لراحة الدواب ، وغالباً ما يكون بالقرب من الدامر. عندما غادرا أخبرني الخدم الذين برفقتي أن اللص الذي سرق البعيرين هو كبير شيوخ العبابدة وهو عم العبادي الذي يرعى إبلي ويدعى سعد ولد نمر، وقد قدم من سِنار ومعه أربعة من العبابدة وهو في طريقه إلى بربر، ويبدو أنه ذاهبٌ لأمر مهم. هذه

المعلومات التي أخبرني بها الخدم أخبرهم بها أحد الأعراب كان قدم معهم من شندي. أقسمت أن أنتقم من هذا الشيخ الذي عرفته جيّداً وهذا ما زاد غضبي عليه. قضيت بقية النهار في مزاج سيء أثر بشكل مباشر على ترجماني لدرجة صعب عليه أن يتماسك على ظهر بعيره.

السبت 30 من مارس 1822م

لم أستطع في هذا اليوم الذهاب إلى الأهرامات بسبب الرياح الشديدة. وعند الظهيرة وصل ترجماني محمد ومعه الرجل العبادي ومعهما البعيرين المسروقين، وكان يبدو عليه الإعياء الشديد ، فقد أصيب بنزله شعبية أضاعت صوته. سعدت لرؤيته ثانية وهو ينجح في مهمته . حكى لي بأنه عندما ذهب مع العبادي كان العبادي في المقدمة؛ لأنه يستطيع أن يتتبع أثر اللصوص أكثر منه هو لقلة درايته بتتبع الأثر. ولكن العبادي فقد أثر اللصوص وسلك طريقاً طويلاً غير الطريق القصير الذي سلكه اللصوص العبابدة، وهذا الطريق كان يمر بقرية تسمى الجبل. وبعد ذلك أطلعني الترجمان بأنه مر بالكاشف ليسأله عمّا إذا كان هؤلاء اللصوص موجودين في منطقته أم لا. فقال إنه شاهدهم وعلم أن الشيخ سعد وأحد رجاله ذهبوا لتوقيف المعلّم آنّي واقتياده إلى الباشا. وقال إن هذا الخبر أغضبه ، وأسرع في سيره ولحق بالعبادي. وعند مغيب الشمس شاهدا اللصوص أمامهما ، وعندما رأوا أنفسهم بأنهم متابعين أسرعوا في السير ولكن عندما شاهدوا أن هنالك أحد الجنود في أثرهم آثروا أن ينتظروه وتوقفوا في غابة تبعد فرسخين من الدامر. بعد مسيره الطويل هذا نزل – أي الترجمان– من بعيره وأطلق عياراً نارياً دون تروي كاد أن يصيب الشيخ سعد لولا أن أحد رجاله حاول أن يفديه فأخذ الشيخ سعد بين يديه. وفجأة نزل العبادي الذي برفقته من على ظهر بعيره وهو مسلح بسيفه ودرعه وهاجم العبابدة الأربعة بمفرده، لكن لحسن الحظ لم يكن الشيخ سعد بعيداً عنه وبسرعة أخذ مسدسه في يده محاولاً أن يمنعه من الهجوم وقال له لا يمكن أن يأخذ البعيرين. بيد أن ترجماني تصرف برباطة جأش تجاه هذه التصرفات.

عندما علم الشيخ سعد أن هذه الإبل ملك لي اعتذر لي كثيراً عما بدر منه وقال لي أنه يفضل أن يمشي على رجليه على أن يأخذ جمالي، وأردف قائلاً بأنه إذا أخبره العبادي بأن هذه الإبل هي ملك لي لما أخذها وكان يظن أنها لا تخصني البتة.

في نهاية الأمر انتهت هذه الخلافات بسلام وأرجع الشيخ سعد البعير الذي أخذه، وركب العبادي بسلام وقال لي: يجب أن أحتفظ بهذا البعير في المنزل، لأنها أنثى وتساوي مبلغاً كبيراً يعادل 30 تالاريس. أخبر الشيخ سعد ترجماني بأنه بأمر الباشا يجب أن يُحْضر المعلّم آنّي إلى سِنار، وطلب منه أن يلاحق المعلّم حتى أسوان إذا لم يكن موجوداً في بربر، ذلك لأن الباشا كان غاضباً عليه غضباً شديداً لأنه شارك في تصرفات غير مسؤولة جعلت الأهالي يفرون من كل النواحي. ولكي يسرع الخطى في هذا الأمر كان لديه فرمان من الباشا يخول له فيه أخذ كل الإبل التي يحتاجها بأي وسيلة. لهذا كان يعتقد أن إبلنا تتبع لقائمقام القرية ولهذا أخذها وهو يعتذرعن هذا التصرف. قال الترجمان بأن المعلّم آنّي وصله أمر بالعودة إلى القاهرة وغادر في الحال ومعه محمّد أيضاً.

من ناحية أخرى وصل المعلّم آنّي عند الساعة التاسعة مساءً إلى قرية صغيرة ولم يجد فيها شيئاً يأكله وأخبر أهلها بأن معه فرماناً من الباشا يأمر بأن يدفع لهم بعض المساهمات المباشرة. هذا الخبر وقع على أهل القرية موقعاً طيّباً وفرحوا به غاية الفرح وكان كل واحد منهم يريد أن يرى الفرمان إلا أن محمّد أخبرهم بأن الفرمان داخل شنطة من الجلد وهي تحتاج إلى وقت لكي يتمكن من فتحها ورفع لهم شنطة الجلد التي كان يضعها تحت فخذه. أقام أهل القرية في المساء احتفالاً بمناسبة هذا الخبر ونحروا خروفاً وقدموا للمعلّم عشاءً فاخراً عرفاناً لهذا الخبر المفرح. وفي الصباح الباكر غادر المعلّم آنّي القرية ولم يريهم الفرمان بعد أن ترك أهلها ينامون وهم فرحين بهذا الفرمان وهذا الخبر الطيّب.

الأحد 31 من مارس 1822م

في هذا اليوم بدأت أتفحص الأهرامات ومرَ بي بعض الأعراب ؛ في بداية الأمر تخوَفت منهم ولكن بعد أن شاهدت معهم مجموعة من الكلاب أدركت أنهم جاءوا لصيد الأرانب البرية. مرّ بي أيضاً رجال محو بيه في الصباح بينما مرّ هو في الليلة السابقة. قال لي شخص بأن هناك مجموعة من البشاريين قاموا بنهب وسلب رجلين من العبابدة بالقرب من الدامر وقتلوا أُناساً من القرية المجاورة، كما أن العرب الذين يسكنون الصحراء قد تمردوا وحملوا السلاح، لذلك خشيت على السيد كايو لأنه ذهب للمنطقة التي زرتها من قبل بالقرب من ديار العرب الشُكرية.

الاثنين الأول من إبريل 1822م

قمت في هذا اليوم بزيارة الأهرامات فأتممت عملي، كما قمت بزيارة المحاجر في المنطقة المجاورة، ثم عدت إلى القرية لكي أهيئ نفسي للمغادرة في يوم الغد.

الثلاثاء الثاني من إبريل 1822م

قمت بزيارة كل الآثار في المنطقة ثم تحركنا بعد منتصف النهارنحو الأهرامات التي تبعد مسيرة يوم من شندي ويسميها العرب بالطرابيل وتعني بالعربية الأهرامات. وقد تكون هنالك أسماء أخرى يطلقونها عليها. هناك ثلاث قرى تقع بالقرب من هذه الأهرامات هي: الدانقيل والكيكاب والسور[1] . والناس لا يسمون الأهرامات على حسب الموقع الذي تقع فيه، بل على العكس يأخذ الموقع اسمه من اسم الأهرامات ؛ وهكذا وجدت وادياً يسمى وادي الطرابيل. أما بالنسبة لي فقد قررت أن أطلق على المنطقة التي توجد بها هذه الأهرامات مسمى الكابينة؛ لأن هناك قرية تسمى الكابينة تمتد من جبل أم على وحتى وادي الدوشين. ولذلك أطلقت عليها اسم أهرامات الكابينة.

هذه الأهرامات هي مدافن مدينة كبيرة كانت قائمة على ضفاف النيل. وقد وجدت بين الأنقاض أكواماً كثيرة من الحجارة يبدو أنها بقايا أسوار أحد المعابد الكبيرة.

---

[1] . تتميز آثار البجراوية بوجود سور عالي يحيط بها ، كما توجد قرية بالقرب منها تسمى " السور .

ولكني لم أجد في هذا المعبد سوى ستة تماثيل من نوع "أبو الهول" من الحجر الأسود وهي تشبه الكباش التي شاهدتها في الحردان وهي مدفونة في الرمال حتى رؤوسها. كما وجدت بقايا لتمثال من الحجر الأسود. هناك أيضاً بين أطلال هذه المدينة أنقاضٌ كثيرة لصروح متعددة مبنية من الحجارة. وفي الجهة الغربية لهذه الأنقاض كوم صغير من الطوب المحروق تعلوه قاعدة من الحجر لابد أنه كان يقف عليها تمثال جميل. وبالقرب من الناحية الشمالية الغربية لقرية السور هناك تلة من الحجارة ولكن ليس عليها قاعدة لتمثال. تتمدد هذه الأنقاض في مساحة تزيد على الخمسمائة قدم مربع.

تتكون الأهرامات من مجموعتين وتبعد حوالى ميل ونصف من الأنقاض. والمسافة بين المجموعتين والأنقاض مليئة بالأكوام الصغيرة من الحجارة ، وأعتقد أنها لمدافن وأهرامات. هناك أكوام كبيرة جداً من الحجارة في الجهة اليمنى للأهرامات وأعتقد أنها كانت لصرح كبير.

يلاحظ أن الجزء الأكبر من هذه الأهرامات مهدم تماماً ولم يتبق منه شيء ذو بال. في الحقيقة زوال هذه الأهرمات وخرابها لم يكن بسبب قِدمها ولكن بسبب وقوعها في منطقة منخفضة تمكث فيها المياه لفترات طويلة مما عرضها للرطوبة، والدليل على ذلك أن المجموعة الثانية تقف على تلة مرتفعة مما ساعد على حمايتها من الرطوبة.

هنالك حوالى العشرين من هذه الأهرامات. الأجزاء المتبقية منها كانت عبارة عن قطع صغيرة من الحجارة المكومة. الأهرامات التي ما زالت بحالة جيّدة هي الأهرامات الكبيرة، ولكن أحجامها في الواقع ليست كبيرة جداً. أكبرها لا يتجاوز الأربعة والثلاثين قدماً على القاعدة ولا يرتفع كثيراً. والصغيرة لا تزيد أحجامها عن اثني عشر قدماً. هذه الأهرامات شبيهة بتلك التي في البركل. فالأهرامات التي في الجبل بها مقصورة في جهة الشرق، ولكنها متهالكة ولا توجد بين الأنقاض أشكالٌ ذات أهمية، والمنظر العام لهذه الأهرامات كئيب ، فهي مبعثرة وأحدها محاط بسور عظيم ولكنه مهدم ولم يبق منه إلا القليل من الأنقاض.

هذه الأهرامات تبعد عن النيل بمسافة تقدر بأكثر من فرسخ، فكلما أردت الذهاب إليها أجد نفسي قد أضعت نصف ساعة كاملة في الطريق لكي أصلها.

تقع هذه الأهرامات على جبل صغير كان سطحه مغطى تماماً بهذه الصروح. كما يشكل هذا الجبل نصف دائرة تنتشر فيها مجموعة من الأهرامات الصغيرة المتباينة من حيث مواد البناء (اللوحة 15)، بعضها له مدرجات في شكل سلالم ولكن في الأعلى لا توجد مدرجات. والبعض الآخر جزء كبير من مدرجاته مهشم ، وهذه المدرجات المهشمة تبدو أكبر من المدرجات السليمة.

بعض الأهرامات صغيرة الحجم إلا أنها تبدو أجمل في الشكل وهي مرتفعة بطريقة ملحوظة بالإضافة إلى أنها مصقولة في جزأيها الأعلى والأسفل. لم أجد من بينها هرماً له قمة ، فكل القمم مبتورة (اللوحة 16) مما يعني أنها ربما أعدت لكي توضع عليها بعض الأشياء ، حيث أنني لحظت بعض المسطحات الغائرة بين الأحجار كأنها كانت مستودعاً لوضع بعض الأشياء. ولم ألحظ هرماً واحداً مستثنى من هذه الظاهرة . أحد هذه الأهرامات له مدخل صغير على عمق ثلاثة أقدام تقريباً ويبدو الجزء الأعلى منه في شكل تاج . ونوع آخر من هذه الأهرامات يقع في الجهة الجنوبية، شكله غريب حيث له طابقان وأسواره شبه رأسية.

وأمام كل هرم تقريباً معبد[1] يمثل مدخل الهرم لكنه غير موجود، لأن مقصورة هذه المعابد الملاصقة للأهرامات بدلاً من أن يكون لها في الحقيقة باب فلا يوجد في الأصل سوى كوة جيدة البناء، ولا يوجد أي باب يقود إلى داخل الهرم. من الملاحظ أيضاً عدم وجود أي حجرة داخل هذه الصروح ولكنني أعتقد بأنه توجد حجرات أرضية في أسفل هذه الأهرامات .

الهرم الوحيد من بين الأهرامات الذي له معبد متكامل هو الهرم الذي يحمل الرقم 6 . يحتوي معبد هذا الهرم على بوابة وحجرة واحدة . الحجرة مزينة بمنحوتات بارزة لكنها تبدو باهتة ، وهي حجرة مقببة كالتي رأيناها في البركل. بوابة المعبد مزخرفة بمنظر يمثل امرأة تقدم قرباناً بشرياً وهي تشد بإحدى يديها رجالاً من شعورهم بينما تحمل في يدها الأخرى سكيناً تضعها على رؤوسهم[2] . هذه الأشكال نحتت بصورة

---

[1] . محررة الترجمة: المقصود المعبد الجنائزي(المقصورة) الملاصق للهرم من جهته الشرقية.

[2] . محررة الترجمة: الملكة أماني شخيتو ، هرمها البجراوية الشمالية رقم 6.

جيدة لكنها تختلف عن الأشكال التي رأيتها في مصر. فقد قطعت بدقة ، وبالرغم من أن الأشكال تبدو مفرطة الزينة، إلا أنها بسيطة.

أما الهرم رقم 16 فهو أجمل الأهرامات مقارنة بالتي رأيتها. يوجد أمامه معبد ولكنه مهدم ولم يبق منه إلا القليل، وأمام هذا المعبد واجهة عليها بعض النقوش البارزة بعض الشيء، وهناك رسم لشخص له أرجل متباعدة عن بعضها البعض ويحمل بين يديه آلة لم أتمكن من التعرُف عليها، وبين رجليه المتباعدتين كلب صيد كبير. يوجد خلف هذه البوابة رواق صغير خلفه حجرتان. الرواق مهدم لم يبق منه غير مواضع الأعمدة ، فالحجرة الأولى لم يعد بها سقف، وعلى جدرانها رسومات غير دقيقة في رسمها تصور صفاً من الأبقار تسير في شكل أزواج. أما الكورنيش فهو مزيَن بالطيور الصغيرة وفي أسفله رسومات لسجناء وهم ركوع وموثوقو الأيادي.

أما الحجرة الثانية فلم أستطع الولوج إليها لأنها مليئة بحجارة الهرم والسقف.

أما الهرم رقم 1 فبه خمسة عشر صفاً من الحجارة في الجزء العلوي، وعشرة صفوف أخرى في جزئه الأسفل وهو الوحيد من هذا الطراز. وهو ليس كبير الحجم. وهو مهدم بعض الشيء، وبه معبد بحالة جيّدة. هناك على جدران هذا المعبد من الداخل بعض الرسومات، والرسم الذي نسخته هو لشخص يحمل سلاحاً ويقدم قرابين لشخص آخر جالس. وخلف هذا الشخص الجالس تقف امرأة [1] فاردةً جناحيها حماية له . ومن جانب آخر ، هذا المنظر يمثّل نظام الاحتفال الديني المرتبط بمركب الشمس الذي يحمله ثمانية أشخاص، يسير أمامهم شخصان أحدهما برأس كلب والآخر برأس إنسان [2]، وأمام هذين الرجلين مجموعة من الناس يحملون أعلاماً مختلفة.

أما الهرم رقم 2 فهو مهدم تماماً وشكله كشكل الأهرامات العادية، أمام معبده حجرة شبه كاملة مزينة بأشكال كتلك التي بالمعبد الصغير في وادي البنات ، والباقي مهدم تماماً بحيث لم يكن من الممكن رسمه. هناك شكل منحوت قمت برسمه ، وعلى الجدران بعض الجُمل باللغة الإغريقية. وهو الهرم الوحيد الذي كانت جدران معبده

[1] . محررة الترجمة: الإلهة إيزيس.

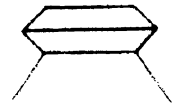
[2] . محررة الترجمة: الشخص الأول يمثل الإله أنوبيس ، والثاني ربما الإله أوزريس.

مزينة من الخارج. أما الهرم رقم 3 فهو مكون من 16 مُدْماكاً من الحجارة لكنها ليست عالية كما إن حجمه صغير. أما الهرم رقم 4 فيتكون من 31 مُدْماكاً من الحجر . مقصورته مهدمة وبه رسومات تبدو جيّدة الصنعة. أما الهرم رقم 5 فيتكون من 27 مُدْماكاً من الحجر، فيه معبد بدون سقف ويحتوي على حجرة بها باب خالٍ من المنحوتات. وأما إفْريز الباب فهو مزخرف بقرص مجنح ، وجانب الحجرة الأيمن عليه نقوش بارزة وكتابة هيروغليفية محفورة على الجدار. أما الجانب الأيسر فيصورمنظر حساب الميت والمنقولة مِن ورقٍ البردي، وأما الجانب الآخر فرسمت عليه أشكال تصور القرابين وأشكال أخرى صغيرة كثيرة ثنائية في الإطار. والخلفية لهذه الأشكال مركب في الكوة في نهاية المقصورة، ولكن لسوء الحظ كل هذه الأشياء محطمة بحيث لا تستطيع التمييز بينها.

أما الهرم رقم 6 فيتكون من 48 مُدْماكاً ، الخمسة الأخيرة من أعلى ملساء . وهو لا يختلف عن سابقه ويُعد من الأهرامات الكبيرة، وهو شبه مكتمل وقد سقطت القليل من حجارته التي تبعثرت على الأرض ، وهي ليست من الحجارة الجيّدة مقارنة مع الحجارة الأخرى. في الجهة الجنوبية من الهرم سور مساند للهرم. تتكون مقصورة هذاا الهرم من حجرة واحدة ورواق مزخرف ببعض الأشكال كما ذكرت سابقاً ، وهناك سور كبير يحيط بالهرم وملحقاته .

الهرم رقم 7 شبه مكتمل ويتكون من 31 مُدْماكاً ، مقصورته مهدمة ، وتوجد به حجرة واحدة بها أجمل الرسومات مقارنة بالرسومات الأخرى، وقد قمت برسم هذه الأشكال. أما الهرم رقم 8 فيتكون من 34 مُدْماكاً الثلاثة العليا منها ملساء. وهو من الأهرامات الكبيرة لكنه مهدم. الهرم رقم 9 صغير الحجم ويتكون من عشرة مداميك ولا توجد به مقصورة خارجية ولكن بداخله حجرة صغيرة مُقَببة. وهو الهرم الوحيد من هذا النوع، وهناك حجارة مكدسة وطوب محروق مكوّم. أما الهرم رقم 10 يتكون من 33 مُدْماكاً وهو شبه مكتمل، ومقصورته بدون سقف وهناك رواق صغير أمام الباب ولكن جدرانه خالية من الرسومات.

أما الهرم رقم 11 فيتكون من 44 مُدْماكاً وارتفاعه بهذا الشكل:



وهو متناسق جداً في شكله، وهو ليس كبيراً ولكنه في منتهى الجمال ودقيق الصنعة، به حجرة خلف الرواق بابها مهشم، أما الرواق فلم يبق منه سوى بقايا أعمدة مهشمة. وتوجد على يسار المقصورة واجهة الهرم وعلى سطحها بعض الكتابات بالخط المروي، وكتابات أخرى على باب المقصورة.

أما الهرم رقم 12 فهو ومقصورته مهدمان تماماً. أما الهرم رقم 13 فيتكون من 36 مُدْماكاً وهو شبيه بالهرم رقم 11. وخلفية الحجرة تصورمن الأمام المعبود حورص وعلى جانبيها المعبودة إيزيس . والرواق مزيَن بشكلين قمت برسمهما. أما الهرم رقم 14 لم يبق منه شيء غير أثر قليل يشير إلى وجود صرح في هذا المكان. أما الهرم رقم 15 فلم يبق منه سوى جزء من واجهته. أما الهرم رقم 16 فيحتوي على 34 مُدْماكاً وهناك في أعلاه أكثر من ثلاثة عشر مدماكاً أملساً. ويبدو أنه أكبر الأهرامات. وبالنسبة للمعبد يبدو واسعاً بعض الشيء. أما الهرم رقم 17 فيتكون من 48 مُدْماكاً فهو من الأنواع الكبيرة ولكنه مهدم ولا يوجد أثرٌ لمعبده. أما الهرم رقم 18 فهو مهدم تماماً ويحتوي على 43 مُدْماكاً مكسرة تماماً. أما الهرم رقم 19 فيحتوي على 27 مُدْماكاً ومقصورته مهدمة ولم يبق منها سوى حائطين عليهما بعض الرسومات.

هنالك رسم منحوت يصور رجلاً يجلس على كرسي وعلى يساره أسد يفترس رجلاً، وبين المقعد وأرجل الأسد صورة منحوتة لخمسة سجناء راكعين ومربوطين من أعناقهم. أما الهرم رقم 20 فيتكون من 27 مُدْماكاً، وهو مهدم وكذلك الرواق وهناك حجرة مزخرفة ببعض المنحوتات الجميلة . أما الهرم رقم21 فيتكون من 49 مُدْماكاً وهو من الأهرامات الكبيرة، وجزء كبير منه مهدم، ومقصورته مزيَنة بمنظر مثل الذي يوجد بالهرم رقم 5. أما الهرم رقم 22 فيتكون من 43 مُدْماكاً. أما بقية الأهرامات فليس بها شيء جدير بالملاحظة.

هذه الأهرامات تختلف عن أهرامات القاهرة التي تحتوي على حجرات بداخل المبنى. ولكن قد تكون هنالك بعض الحجرات داخل الحفريات في الجبل. أنا لا أعتقد أن هذه الحفريات أكثر من آبار للنزول إلى أسفل الجبل حيث كانت هناك بالتأكيد حجرات، لأن أسفل الجبل لا يسمح بالكاد بعمل شيء آخر. ولو لم تكن مداخل هذه الحفريات سوى آبار فسوف نرى ذلك.

شيدت هذه الأهرامات في مكان وعر في وادٍ محاط بجبال شاهقة. وفي الحقيقة عندما يكون المرء بداخل هذا الوادي يحس بالكآبة والحزن. في الجزء الجنوبي الشرقي وعلى مسافة من هذه الأهرامات تُشاهد بعض الآثار عند منحدر الجبل، وهي عبارة عن أهرامات من نفس طراز الأهرامات السابقة التي بنيت في فترات متفاوتة، فلا اختلاف بينها وبين الأخريات. كل هذه الأهرامات مبنية من الحجر الرملي الذي قطع من محاجر مجاورة في الجهة الشرقية من هذه المنطقة، وفي حفر متفرقة في هذا المكان. هناك في الجهة الجنوبية الغربية أطلال مدينة. وبالقرب من النيل وعلى بُعد مسافة ميل توجد أنقاض لقرية تمتد في مساحات كبيرة إلى الداخل.

معظم الرحالة الذين أتوا إلى هذا المكان من قبل اعتبروا هذا الموقع يمثل مدينة مروي، ووجدوا فيه أنقاضاً كثيرة ولكنهم لم يبتعدوا كثيراً عن هذا المكان لأنهم أتوا مع الجيش، ولذلك لم يذكروا في بحوثهم سوى الآثار التي وجدوها في مروي من أهرامات وغيرها. حتى السيد كايو نفسه لعله لم يتجاوز مروي لأنه سألني عما إذا كنت قد ذهبت إلى المصورَات والحردان، ولما أخبرته بذهابي إليهما طلب مني أن أعطيه بعض المعلومات عن هذه الأماكن. أما بالنسبة لي فالمصورَات هي مروي وأن هذه الأهرامات والمدينة التي زرتها تقع على النيل وتبعد مسيرة يومين من المصورَات أي ما يعادل 70 ميلاً.[1]

في الثاني من إبريل وعند منتصف النهار أنجزت كل ما أردت إنجازه وغادرنا الكويك وواصلنا المسير حتى وصلنا إلى قرية صغيرة تسمى الماروقا، كنا قد مررنا بها

---

[1] . في الحقيقة 50 ميلاً.

قبل وصولنا إلى جبل أم علي الذي يبعد عن الأهرامات حوالى ستة أميال. توقفنا في هذا المكان حتى تتمكن إبلنا من أكل بعض الحشائش الموجودة فيه. ومن ثم ذهبت إلى النيل بغرض النزهة . ووفي تلك اللحظةٍ رأيت دخاناً يتصاعد من القرية ثم ناراً ولهباً. وعندما وصلت إليها رأيت منزلاً يحترق وأهله ينقلون أغراضهم بعيداً عنه. وفي الحال تصرفت كالآخرين وحملت عارضة طويلة وبدأت أهيل التراب على المنزل المحترق حتى لا تتسع النيران في بيوت الآخرين، ولم يكن هذا عملاً شاقاً. ولكن للأسف طال اللهب بيوت الآخرين، وكان الحضور من أهل القرية وخدمي مندهشين لمشاركتي معهم في إطفاء النار. وزادت دهشتهم عندما حملت واحدة من القرب على كتفي وأمرتهم بأن يذهبوا إلى النيل ويجلبوا المياه. وبالفعل تمكنا من إخماد النيران من ذلك المنزل. وفجأة طالت النيران أربعة بيوت أخرى لكنها كانت خالية إلا من بعض الأشياء الصغيرة التي أستطعت أن أحملها إلى الخارج. وبالمناسبة كل هذا الضرر نجم بسبب عناد أحد خدمي الذي أوقد ناراً لتجهيز الطعام وحسِب أن الحائط الذي بجواره من الطين ولكنه كان من سيقان القصب. وسبق أن حذروه من إيقاد النار وأجاب بالإيجاب وهو يهزُ رأسه كعادة الفلاحين.

حضر إليّ أهل القرية مطالبين بتعويضات، ولكن مهما حاولت أن ألبي طلبهم فلن أستطيع. وخشيت أن يتظلموا إلى الكاشف المجاور لهم وأكون قد قمت بعمل غير لائق إذا لم أوفيهم حقهم. وحاولت أن أرضيهم- كما يفعل الأتراك بقولهم: من الله- بمعنى هذا من أقدار الله.. فأجابوني بقولهم: صحيح من الله وانتهى الأمر بهذه البساطة.

الأربعاء الثالث من إبريل 1822م

تحركنا في الصباح الباكر من هذا اليوم وسلكنا طريقاً بالقرب من النيل خوفاً من السرقات التي تحدثنا عنها من قبل، ومررنا بعدة قرى في أثناء سيرنا، منها قرية كنت قد أقمت بها أثناء قدومي لهذه المنطقة . وفي المساء وصلنا إلى قرية كبيرة تسمى الحاوية وجدنا بها عدداً كبيراً من الجلابة كانوا في طريقهم إلى مصر. سكان هذه القرية

من عرب المجيالهين[1] (Mejialhinnes) وقد عرفوا بسوء طبعهم. في المساء أتى إلينا أحد الأهالي وكان مخموراً وطلب منا أن نخرج من القرية. ولكن حضر آخرون وضربوه وحاولوا إخراجه من المكان الذي نحن فيه، وكان يتأرجح يمنة ويسرة وفي يده حربة. وعندما رأيته يتجه نحوي أمسكت بمسدسي وقلت في نفسي: إذا اقترب مني سأطلق عليه النار. وقالوا لي إنه مجنون، فقلت لهم إن كان مجنوناً أو غير مجنون فسوف أطلق عليه النار إذا اقترب مني خطوة واحدة. وعندما رأى رفاقه أنه يقترب مني ورأوا أني عازم على تنفيذ ما قلته ترجوني بألا أطلق عليه النار، وأخذوه معهم وغادروا.

الخميس الرابع من إبريل 1822م

تحركنا بعد طلوع الشمس بساعة ووصلنا إلى الدامر عند الساعة الثالثة بعد الظهر بعد أن قطعنا بالتقريب حوالى ثمانية عشر ميلاً. وعند وصولنا ذهبت إلى منزل التاجر الذي استضافني عنده في المرة الأولى وخلق لي صداقات كثيرة وطيبة وأعطاني أحسن الحجرات في منزله. وجدت عنده مجموعة من الجلاّبة من قبيلة العبابدة وهم من بلدة ديراو في مصر. وعندما رآني سُر سروراً شديداً لعودتي وشكر الله على وجود أناس كُثُر في منزله.

أرسلت ترجماني إلى الكاشف طالباً منه بعض الأشياء. وبعد وقت وجيز جاءني زائراً ثم عاد ثانية. وجدته شاباً لطيف المعشر. جاء وهو يحمل معه كبشاً ودقيقاً وبعض الخضروات. مثل هذا الاهتمام قلّما يفعله الكشاف الآخرون.

طلب مني مضيفي (التاجر) أن أذهب معه لأرى بعيره الذي حدثني عنه في شندي وكان يريد أن يبيعه لي. وأدخلني مكاناً مظلماً في شكل كهف لا باب له، وحينها رأيت بعيراً ضخماً، وأخبرني بأن الكاشف يريد أن يشتري هذا البعير ولكنه عرض عليه سعراً غير مجزٍ وهو لا يريد بيعه بهذا السعر لذا يريد بيعه لي، وأردف قائلاً إنه

---

[1] . هل يقصد الجعليين؟ لكن سبق له أن استخدم لفظة جعليين ولم يكتبها بهذا الرسم (انظر أعلاه ص 79 ، يوميات الأربعاء 28 نوفمبر).

وضع البعير في القبوُ حتى لا يراه الكاشف لأنه لا يريد مشاكل معه. طلب مني خمسين تالاري ، ورفضت أن أعطيه هذا المبلغ وقلت له: إنك غير راضٍ عن فتوحات الباشا. ولكنه أجاب بأن فتوحات الباشا حمتهم من النهب المتواصل من أهالي هذه الديار والآن هم مطمئنون على ممتلكاتهم وغير مرغمين على إعطاء ما عندهم من ممتلكات لزعماء القبائل الذين يمرون بهم، وهو معفي من الضريبة الشخصية التي فرضها الباشا على الأهالي.

الجمعة الخامس من إبريل 1822م

في صباح هذا اليوم ذهبت إلى منزل الكاشف ومكثت عنده وقتاً طويلاً ووجدت عنده بعض الأشياء النادرة التي لم أجدها من قبل لدى رصفائه، وقد أظهر لي احتراماً شديداً وأخبرني بأن المعلم آنّي (Anné) والشيخ نمر والخواص قد مرّوا من هنا وهم على متن مركب ، وأن الشيخ سعد ولد نمر سوف ينضم إليهم في بربر، وقال سوف يغادرهو غداً لصحبتهم، وأخبرني بأن الشيخ سعد ولد نمر طلب منه أن يتركه لوحده ليأخذ قسطاً من الراحة أثناء الليل، ولكنه استفاد من الظلام وهرب على ظهر بعير سالكاً طريق الصحراء ظناً منه بأنه سينجو عندما يكون بالقرب من محمد علي في القاهرة. وقال: بكل تأكيد أن محمد علي سوف لن يفيده شيئاً، لأن الشيخ نمر والخواص أبرزوا لي فرماناً من الباشا بأن يقطعوا رأسه إذا رفض الحضور إلى مصر.

تحدثت مع الكاشف بخصوص مشروعي بالذهاب إلى قوز رجب ، وعرفت منه ومن أهالي الدامر بأنه لا يُسمح لي بالذهاب إلى تلك المناطق.

صادف وجــودي يوم الجمعة يوم السوق . وعندما ذهبت إلى السوق وجدته فقيراً للغاية بالرغم من أن الدامر أكبر من شندي ولها سمعة طيبة، وعرفت لاحقاً بأن سبب ذلك يرجع إلى التمرد الذي قام به العرب.

السبت السادس من إبريل 1822م

كنت أود التحرك باكراً في هذا اليوم ولكن تأخرت حتى منتصف النهار لأنّ هناك أشياء كثيرة أود قضاءها في الدامر. ووجدت نفسي سأتأخر إلى الغد بسبب الحر الشديد والغبار الذي نتج عن هبوب الرياح الشديدة.

الأحد السابع من إبريل 1822م

في صباح هذا اليوم حزمت أمتعتي أنا والترجمان الذي يرافقني وحملناها على الإبل وبعد ذلك ذهبنا إلى الكاشف لوداعه. وبينما كنت عنده وصل السيد كايو (Cailliaud) وكنت سعيداً بلقائه وأخبرني بأن السيد كونستانت (Constant) رفيقه ذهب إلى البركل وهو الآن ينتظره هناك. أخبرته أنه من المستحيل الذهاب إلى قوز رجب ، فقرر على الفور الرحيل معنا. انضممنا إلى الإبل التي كانت بصحبة الخدم. أما بالنسبة للدليل فإنه كان في المؤخرة. وكان الطريق الذي يسلكه الركب ممهداً، وسرنا دون أن نفكر بأن هذا الطريق قد لا يكون الطريق الذي نبتغيه. كنت أنا والسيد كايو نسير في مقدمة الركب ونتجاذب أطراف الحديث دون أن ننتبه بأننا سرنا أربعة ساعات دون أن نشاهد بحر المقرن الذي يبعد ساعة ونصف فقط من الدامر. في النهاية اكتشفنا أنه لا يوجد من بيننا من يعلم أين نحن ولا إلى أين نحن ذاهبون ؟ ومن ثم اتجهت ناحية أخرى ووجدت رجلاً أخبرنا بأن نعود للمكان الذي مررنا به بالقرب من النهر، ووجدنا أنفسنا في مكان لا ماء فيه ، ووجدنا فيه آثار أقدام عريضة جداً، ووجدنا قاع النهر واسعة وضفافه عالية. كل من رآنا في هذا المكان فرَ منا لأنهم يعتقدون بأننا جئنا لنحاربهم، لأن هذه المنطقة لم تخضع لنفوذ الباشا وأن البِشاريين يبعدون عن هذا المكان مسافة ست ساعات من السير.

وجدنا في غابات أشجار السنط أعداداً كبيرة من القطعان، وعندما أردنا التوجه نحو النيل أخذنا معنا أحد الرجال ليقودنا إلى الطريق المؤدي إلى بربر. وسار معنا ثلاث ساعات حتى وصلنا إلى هذا الطريق. وعلى طول هذا الطريق لم نجد غير قرية واحدة من قرى العرب الذين يسكنون على ضفاف النيل. هذا الطريق الذي سلكناه من

بحر المقرن إلى بربر كان عبر سهل ملئ بالحصباء. وقبل مغيب الشمس وصلنا إلى قرية كبيرة تسمى كنّور وقضينا بها الليل.

الاثنين الثامن من إبريل 1822م

تحركنا في فجر هذا اليوم ومررنا بقرية سلامة التي تبعد عن بربر مسافة أربع ساعات. كنت في مقدمة الركب ومعي السيد كايو والترجمان . وعندما وصلنا إلى بربر ذهبنا في الحال إلى أمين الخزينة ليوفر لنا منزلاً وكل ما نحتاجه. أوضح لي أمين الخزينة بأن محو بيه ذهب إلى مقرات لتجهيز وترتيب المراكب ليقابل عابدين كاشف الذي وصل إلى مقرات. علمنا من أحد الأغاريق وهو طبيب محو بيه، بأن السيد كونستانت غادر منذ فترة طويلة. قررنا المغادرة في اليوم التالي لأننا لم نجد ما نبتغيه في بربر، حتى إبلنا لم تجد ما تأكله.

الثلاثاء التاسع من إبريل 1822م

بالرغم من أننا قررنا الرحيل في هذا اليوم إلا أن أمين الخزينة زارنا في البيت وطلب منا أن نمكث في بربر حتى الغد. وبما أننا نكِن له الاحترام الكبير استجبنا لطلبه.

الأربعاء العاشر من إبريل 1822م

تحركنا في هذا اليوم بعد ساعة ونصف من طلوع الشمس. وعند مرورنا بالقرب من جبل النخرة [1] شاهدت في إحدى القرى الصغيرة والتي تسمى الدانقيل[2] أطلالاً لمدينة مبنية من الطوب المحروق لم يتبق منها غير أنقاضٍ مكومةٍ يطلق عليها أهالي هذه المنطقة الكنيسة. في الجانب الآخر من النيل على قمة أحد الجبال بقايا لسور أو حصن صغير مبني من الحجارة الصغيرة غير المنحوتة كما توجد أنقاض أخرى من ناحية الشرق.

---

[1] . جبل النخرة . توجد على هذا الجبل قلعة ، يعتقد أنها من الفترة المروية.

[2] . موقع مروي آخر.

قبل وصولنا إلى هذا المكان مررنا بأحد مشايخ العبابدة يدعى الشيخ خليفة وهو عائد من القيروان، وكان يقود المجموعة الأولى من العبيد الذين أرسلهم الباشا، وكان عددهم خمسين رجلاً، كل رجل على بعير. وهذه هي أول دفعة من العبيد تلتحق بالجيش. عند الساعة الثانية بعد منتصف النهار وصلنا لقرية كبيرة تسمى سقدي . وبما أننا سرنا لمدة يومين وأن إبلنا لم تأكل شيئاً منذ ذلك الحين فقد قررنا المبيت في هذه القرية .

الخميس 11 من إبريل 1822م

صحونا قبل ساعتين من طلوع الفجر ثم تحركنا قبل طلوع الشمس وواصلنا السير حتى وصلنا عند منتصف النهار إلى شلال الحمار. على طول ضفاف النيل وعلى سطوح جبال متوسطة الارتفاع شاهدت بقايا لمبانٍ من الطوب المحروق، وعلى سطح المياه شاهدت بقايا لبرج كان يستعمل لزيادة دفع المياه على سطح الجبل. وفي أثناء مرورنا من خلال هذا الممر عبر الشلال وجدنا مجموعة من الجلابة يجلسون تحت الأشجار بالقرب من النيل، وهؤلاء هم الذين رأيتهم من قبل في الدامر في طريقهم إلى مصر. هذه المنطقة صحراوية لذلك كان لزاماً علينا السير مسافة خمسة عشر ميلاً عبر الجبال حتى نتمكن من الوصول للقرى. وفضلّنا أن نعسكر في هذا المكان لنقضي فيه الليل. وجدنا أنفسنا وسط غابة من أشجار الدوم والسنط لا تبعد كثيراً عن النيل. وغرب هذه الغابة شاهدت من على البعد مجموعة من الجبال الجميلة المتفرقة. ممرات الشلال شبه جافة من المياه في جوانبها ولحظتُ كثرة الجزر في هذا المكان، وأن إحدى ضفتي النيل تبدو واسعة مما يعيق انسياب الماء ووصولها إلى أماكن بعيدة في هذه الناحية، كما أن النهر في هذا المكان تتخلله مجموعة من الجزر وآلاف من الصخور.

الجمعة 12 من إبريل 1822م

تحركنا بعد طلوع الشمس في هذا اليوم وسلكنا الطريق الجبلي لنتفادى الطرق الوعرة على ضفاف النيل. وعند منتصف النهار وصلنا إلى طريق يقود إلى قرية

صغيرة بالقرب من النيل. وبعد ساعتين من تجاوزنا للقرية وجدنا أنفسنا في غابات من أشجار الدوم والنخيل بالقرب من النهر. بعد ذلك وصلنا إلى قرية النادي حيث قررنا التوقف والمبيت نسبة لوفرة الكلأ للإبل. عندما مررت بهذه القرية من قبل وجدت فيها أعداداً كبيرة من الناس أما الآن فتبدو شبه خالية. من جانب آخر وجدنا الجلابة الذين شاهدناهم بالأمس، ونزلنا في بيت بعيدٍ منهم كانت صاحبته خائفة منا خوفاً شديداً ، وبشق الأنفس حاولت أن أطمئنها. هذه القرية صغيرة ومنازلها متباعدة بالقرب من النيل ووسط أشجار النخيل. كل المنازل لها أسوار من الطين وأهل هذه القرية يزرعون القمح. صادف وجودنا موسم الحصاد، ووجدنا أن سعر كيلة الحبوب في هذه القرية يساوي تالارين أِي ما يعادل قرشين ، فهو أقل من سعر الذرة في سِنار.

السبت 13 من إبريل 1822م

في صباح هذا اليوم تحركنا عند طلوع الفجر وابتعدنا في مسيرنا عن النيل. في وسط الطريق حرن الجمل الذي يمتطيه العبادي. وجدنا بين الأشجار مجموعة جمال أخذ العبادي واحداً منها وركب عليه . وسمحت له بذلك بشرط أن يتركه في أول قرية نبيت فيها. فجأة شاهدت رجلين من الأعراب يسيران خلفنا لكنهما عادا أدراجهما بعد فترة وجيزة، ربما كانا هما صاحبي البعير، ويكونان قد أخطأ في مطاردتهما لنا لأنني كنت سوف أرد لهما جملهما. عندما رأى العبادي الرجلين أخذ عصاه الغليظة في يده استعداداً لقتالهما، وقال إنه سبق أن هاجم عرب هذه البلدة قبل فتوحات الباشا ونهب قافلة لهم ودخل في عراك معهم وجرح منهم ثلاثة مستخدما الحربة والسيف، وأضاف أن هؤلاء الأعراب كانوا قد سرقوا ماله وجماله وقتلوا أصحابه وهو يرى من العدل الآن أن يأخذ أحد جمالهم لأنه لا جمل له ولا يمكن أن يسير على رجليه. لم أكن أوافقه على حججه هذه لكنني كنت مضطراً لذلك، خاصة لأنني لا يمكنني أن أشتري بعيراً في هذه البلدة لأنه لا يمكن لأي أحد أن يعرض بعيره للبيع، وإذا أردت أن أشتري منهم بعيراً فذلك يحتاج لعشرات الأيام. في الساعة الثانية بعد منتصف النهار توقفنا عند أبي هشيم. كان البيت الذي نزلنا فيه خالياً؛ إلا أن رجلاً واحداً أخبرنا بأننا لسنا بعيدين عن شيخ

القرية، واليوم لديه وليمة بمناسبة ختان نجله ، وكأنه يريدنا أن نذهب لهذه الوليمة الكبيرة. ولما كنا قد أنزلنا حمولة الإبل لم تكن لنا الرغبة في الذهاب بعيداً. بعد أن قمنا بإنزال حمولة إبلنا أرسلت إلى الشيخ مخبراً إياه بأننا قد وصلنا إلى قريته وينبغي أن يوفر لنا احتياجاتنا وأن يجلب لنا طعام العشاء وكل ما نحتاج إليه.

الأحد 14 من إبريل 1822م

في صباح هذا اليوم كانت هنالك بوادر لرياح من جهة الجنوب ، لذلك لم أرغب في المغادرة. ولكن خشيت أن أكون قد انخدعت بهذه الرياح إذا لم تهب وأكون بذلك قد خسرت يوماً كاملاً. تحركنا بعد طلوع الشمس ومررنا بسهول مليئة بالرمال والتلال الصغيرة التي تغطيها أشجار السنط والدوم ، وشاهدت أطلالاً من الطين على ضفاف النيل في جزيرة صغيرة، لكن لم يتبق منها سوى سور كبير من اللبن وأكوام من الحجارة الصغيرة ويسمى هذا المكان بالكنيسة.

عند منتصف النهار هبت رياحٌ شديدة من الجهة الشمالية الشرقية وامتدت للجهة الجنوبية الغربية؛ إنها رياح الخماسين. ملأ الغبار الأفق وحجب الرؤية وأصبحت حبات الرمل تتطاير في الهواء. خلال هذه الساعات لم نستطع أن نرى الشمس ولا الأرض ولا الأشجار. ثم هدأت العاصفة قليلاً، وبدأنا نتلمس آثار الطريق الذي اختفى تحت ذرات الرمال المتطايرة بفعل الرياح. أعاقت هذه الرياح ركوبنا على الإبل وأوقعت أغراضنا من على ظهورها. وبعد ساعة وصلنا إلى قرية تسمى جيجي وعندها كانت الرياح في أوُجها. تقع هذه القرية على ضفاف النيل. لقد لفحت الرياح وجهي فاختنقت بفعل الرمال التي ملأت فمي.

عندما وصلنا إلى القرية ذهبت إلى أول بيت قابلني لنقيم فيه ولكن وجدته ممتلئاً بالنساء اللائي أشرن عليّ بمنزل آخر. وأخبرني الرجل المسؤول عن الإبل بأنها محتاجة للكلأ، والناس محتاجون للطعام وينبغي إخبار شيخ القرية ، ويدعى حسن بذلك. فأرسلت في طلبه ، فحضر وكان شاباً ، فسألنا إن كنا سوف ندفع له ثمن هذه الأشياء أم لا. وجدته سؤالاً مهيناً. فأخبرته بأن هذه عادتنا وأننا لم ندفع حتى الآن قرش واحد

مقابل ما قدم لنا أو لإبلنا من مأكل ومشرب من قبل الأهالي باعتبارنا أناساً يمثلون الحكومة. إضافة لذلك فإن عادات الأهالي تقضي بأن لا يأخذوا شيئاً من المسافرين إلا في بعض الأحايين مثل ثمن خروف أو شيء من هذا القبيل. وقال لي شيخ الحلة مبتسماً: حتى ثمن الخروف هذه المرة لا نأخذه منك ، وأضاف في دعابة بأنه سيرسل لنا الدقيق بالمجان. أما بخصوص الكلأ فقال يجب أن أدفع ثمنه. وبالطبع كل ما قاله كان على سبيل الدعابة. ورد عليه ترجماني بأن الباشا سيدفع له ثمن كل هذه الأشياء ، على سبيل الدعابة أيضاً. فأجاب شيخ الحلة بأن هذا الكلام سيكون صحيحاً إذا كان لدينا تصريحاً من محو بيه ولكن ما دام ليس لدينا فرماناً بذلك فسوف لن يعطينا شيئاً. فقال له ترجماني إذا لم توفر لهم ما يريدون سوف يطلقون النار في القرية، وكان يردد دائماً وأنا مسلح بسيفي. وقلت للشيخ سوف أعرض عليك فرماناً ولكنك لا تستطيع قراءته لأنه باللغة التركية، والوحيد الذي يستطيع قراءته هو محو بيه. وأضفت: بموجب هذا الفرمان يمكنني أن أقيدك وأخذك إلى الكاشف وسيقوم بدوره بجلدك. فأجاب بإشارات فيها استخفاف. فرفعت يدي لأصفعه ولكني أنزلتها واكتفيت بأن أبصق على ذقنه وسببته باللغة العربية بكل ما أعرف من كلمات إهانة وذُل، وأفهمته إنه إذا لم ينصاع لما أقول سوف آخذ عنوةً كل ما أريد. حاول أن يرد ولكني لم أعطه وقتاً لكي يرد فشددته بقوة إلى باب منزله أمام أهله.

كل الناس الموجودين تحلّقوا حوله فخشيت من المخاطرة، بالأخص السيد كايو كان مذعوراً جداً ، مما أضحكني كثيراً. تجمع أهالي القرية أمام منزل الشيخ وكان معظمهم مسلحين لكننا تجاهلناهم تماماً حتى المساء ، وكانت أسلحتنا جاهزة لهم ولكننا أعطيناهم شعوراً بأننا لا نفكر في إيذائهم أو إبداء أي شعور عدائي تجاههم. في نهاية الأمر ذهبت إليهم وقلت لهم لا نرى فائدة في تعرضنا للرياح في العراء ومن الأفضل أن يعطونا ما نريد وأن ينسحبوا، وأخبرني ترجماني وعبدي بأن هنالك أحد المنازل ملئ بكلأ الإبل. عندما شعر الناس بأننا أخذنا ما نريد أتى نفر منهم يطلبون منا أن نسامحهم وأن لا ننظر إليهم من زاوية تصرف الشيخ ، وقالوا إنهم سيجلبون لنا كل ما نريد. وبالفعل ولكي يؤكدوا لنا على تصالحهم معنا جلبوا إلينا اللبن والبلح بكميات كبيرة،

وجزيناهم على صنيعهم هذا. أما الشيخ فلم يظهر ثانية البتة. وفي الصباح عندما بدأنا نستعد للمغادرة أخبرني أهل القرية أنهم سرقوا من الشيخ خروفاً عقاباً له على قلة احترامه لي. من جانب آخر حضر إليّ صاحب البعير الذي كان قد استولى عليه العبادي الذي بصحبتي . فرددت إليه بعيره. وكان ملكاً عجوزاً بادي عليه الفقر، هو نفسه الملك الذي حدثني عنه العبادي بأنه ظلمه وسرق ماله ولهذا السبب أخذ بعيره . لكن يبدو لي أن العبادي لم يكن صادقاً فيما قاله.

في المساء كنت حذراً من حدوث شيء من قبل شيخ حسن ولكنه لم يظهر.

الاثنين 15 من إبريل 1822م

في صباح هذا اليوم لاحت في الأفق بوادر لرياح كما حصل بالأمس ولكنها ليست من الاتجاه نفسه . لذلك توقعت أن هذا اليوم لن يكون يوماً عاصفاً كسابقه. في أثناء سيرنا وفي حوالى الساعة العاشرة ازداد الطقس سوءاً مما جعلنا نتوقف عند قرية صغيرة على ضفاف النيل اسمها قويبة[1] سكانها من العرب. قبل ساعة من وصولنا للقرية قابلتنا صخرة كبيرة بيضاء اللون وجميلة كأنها الرخام يطلقون عليها اسم المروة[2]. بعد وقت قليل من وصولنا للقرية وصل الشيخ الذي كان في الضفة الأخرى للنيل، فعاملنا معاملة تختلف عن تلك المعاملة السيئة التي لاقيناها بالأمس. تقع هذه القرية وسط غابة من شجر الدوم.

الثلاثاء 16 من إبريل 1822م

في صباح هذا اليوم غادرنا قرية قويبة مبتعدين عن ضفاف النيل حتى وصلنا لقرية القودروات وهي قرية صغيرة جداً على ضفاف النيل تقع وسط أشجار الدوم. على طول ضفاف النيل لم نجد أشجاراً أخرى غير أشجار الدوم.

---

[1] . قرية الغريب.

[2] المروة بحسب لينان هي صخرة تقع بالقرب من كرقس وتعرف بحجر المروة أنظر:
(A. J. Arkell, J.E. A, vol 36 , page 36)

عند منتصف النهار كنا عند مشارف جزيرة مقرات ، وعند الساعة الرابعة وصلنا إلى أبي حمد . وكنت أتوقع أن أجد قرية لأن هذا المكان تمر به القوافل القادمة من مصر عبر ضفاف النيل ولكني لم أجد غير شجرة على ضريح الشيخ أبي حمد، وعلى هذه الشجرة مجموعة من البروش والقرب وسروج الإبل وأشياء أخرى مماثلة مربوطة مع بعضها البعض على شجرة ضريح الشيخ لتسري فيها البركة، ويكون أهلها موفقين في رحلاتهم سواءً أكانوا ذاهبين إلى مصر أم في رحلاتهم عبر الصحراء. يوجد ضريح هذا الشيخ في الجهة الجنوبية الغربية من النيل عند الانحناءة التي يغير عندها اتجاهه. وهذه الجهة من النيل مليئة بالجزر والحجارة التي تعيق سريان المياه، ومجرى النهر يبدو عريضاً جداً. وعلمنا بأن هنالك أعراباً معسكرين في غابة تقع في مكان قريب من ضريح الشيخ، لكننا لم نتمكن من معرفة مكانهم بالضبط. وبعد أن بذلنا قصارى جهدنا في البحث داخل هذه الغابة شاهدنا قطعاناً من المواشي ووجدنا أيضاً على ضفاف النيل كوخاً صغيراً لهؤلاء الأعراب ولكن لم نجد فيه أحداً. من جهة أخرى عرفنا أن الأعراب تركوا أسلحة لهم داخل هذا الكوخ وأن العبادي الذي يرافقني يريد أن يأخذها وقال إن هؤلاء الأعراب من قبيلة البشاريين. لكنني أمرته بأن لا يأخذ شيئاً من الكوخ. شاهدت في هذه الغابة مجموعة من القِرَدة على الأشجار ووجدنا شاباً يافعاً أيضاً ولكنه لم يخف منا بل على العكس سألناه إن كان هنالك بعض الأعراب معسكرين في هذا المكان فاصطحبنا إلى خيامهم، وكان يتجاذب معنا أطراف الحديث وسرت معه حوالى ساعة ، وقبل مغيب الشمس وصلنا إلى الخيام.

كان معسكر الأعراب عبارة عن ثلاث خيام بين الأشجارعلى ضفاف النيل، استقبلونا استقبالاً حسناً بالرغم من أنهم من البشاريين ولكن ربما فعلوا ذلك لأنهم حلفاء للعبابدة وهذه مجاملة للعبادي الذي بصحبتنا. أخبروني بأنّ هنالك سواقي ومنازل لا تبعد كثيراً من خيامهم هذه ولكن الوقت متأخر ولا يمكننا الذهاب الآن إلى هناك.

وجدنا عند هؤلاء الأعراب قافلة صغيرة قادمة من مصر عن طريق كورسكو، وأخبرونا بأنهم عانوا كثيراً في هذا الطريق بسبب قلة المياه. وقد ساروا لمدة سبعة أيام

في هذا الطريق الوعر واضطروا للتوقف عن السير لمدة ثلاثة أيام بسبب الرياح، ووصلوا إلى النيل بشق الأنفس وكادوا أن يموتوا هم وإبلهم من شدة العطش.

الأربعاء 17 من إبريل 1822م

كانت الرياح شـــديدة والطقس بارد طيلة الليلة الســـابقة . وفي الصباح الباكر لم نتمكن من معرفة الطريق الذي نسلكه إلى أن أشرقت الشمس حيث وجدنا أنفسنا عند قرية صغيرة، أخبرني ترجماني بأنه ذهب إليها خلال الليل، وأنّ أهل هذه القرية حدثوه عن وجود آثار ليست بعيدة عن قريتهم. وفي الحال قررت أن أخذ أحد الرجال ليرشدنا لمكان هذه الآثارالتي كانت تبعد حوالى ميل من القرية وتوجد على سطح صخرة بالقرب من النيل، وهي عبارة عن أطلال لحصن مبني من اللّبِن وبعض المنازل بداخل هذا الحصن. ولكن كان كل شيء مهدم وأظنها لا تستحق الزمن الذي استغرقناه في المجيء إليها.

جمعت كل المعلومات الممكن جمعها لكي أعرف ماذا كان يوجد في هذه النواحي من آثار، كما ذكر دانفيل (Danville) بأنه وجد في هذه المناطق آثار نبتية. ولكن لم أجد شخصاً واحداً يعرف مكان هذه الآثار، مما جعلني أتأكد من أنه لا توجد آثار في هذه النواحي كما ذكر دانفيل سوى التي وجدتها في جزيرة مقرات، وتشمل دير يوجد فيه قصر يسمى الكرمل وهو من الطين وبداخله منازل.

في المساء جلب إلينا أهالي المنطقة ثلاثة قرود لنشتريها منهم، أحدها صغير يمكن ترويضه أما الآخران فكبيران على الترويض. فأشتريت القرد الصغير واشترى ترجماني واحداً من القرود الكبيرة ولكنه ، اي القرد ، مات في الصباح متأثراً بجراحه. أما القرد الآخر وهو الأكبر ، وكان وجهه وأرجله محروقة ، فاشتراه السيد كايو ولكنه هرب أثناء الليل.

الخميس 18 من إبريل 1822م

تحركنا في هذا اليوم عند طلوع الشمس. وفي غضون ساعتين وصلنا إلى قرية أبو طين حيث يوجد عدد كبير من العبابدة الذين يعملون كسعاة بريد لمحو بيه ومعهم شيخهم وإبلهم. كنت أنا والسيد كايو نسير خلف الركب ، وعندما وصلنا إلى تلك القرية شاهدت من على البُعد ترجماني محمد قد اشتبك مع هؤلاء العبابدة. فأسرعت في السير وعندما وصلت رأيت رجلاً عُرياناً وهو في حالة غضب شديد يكيل الشتائم لمحمد. وقبل أن أعرف من يكون سألته بتهكم من تكون أنت حتى تتحدث بهذه اللهجة ؟ فأجابني بلهجة فيها استعلاء وتهديد: أنا الشيخ الخليفة العبادي. فأجبته بقول قبيح باللغة العربية. ورد عليّ بالمثل، وعندما رأيت تماديه في إهانة محمد نزلت من بعيري لأعيده إلى صوابه. في الوقت نفسه رأيت عبدي من على ظهر بعيره يمطر هذا الرجل العريان بالكرباج على ظهره بعد أن سمع الشتائم التي يكيلها لمحمد، لكنه لم يتوقف عن السباب، وكذلك عبدي لم يتوقف عن ضربه قائلاً: كيف تتجرأ على شتم أسيادي؟!..

فجأة دخل هذا الشيخ إلى منزل مجاوروخرج وفي يده حربتان. من جانبي حرصت أن يرى البندقية في يدي وأنا على ظهر بعيري فأطلقت عياراً حوله حتى أخيفه ولكن فجأة رأيته يتجه نحوي ويهز حربته بيده، فأخرجت سيفي ووجهته نحوه ، ولوكان التحم معي لضربته بالسيف بالفعل. ولكن لحسن حظي وحظه تجمع عدد من النساء والرجال وحالوا بيني وبينه، وحاولوا أن يهدئوا من روعي، فقد كنت هائجاً جداً ومغتاظاً من هذا الرجل الذي كال لنا السباب. بذلت قصارى جهدي لكي أتخلص من هذه الجموع وبالفعل صعدت إلى ظهر بعيري حيث احتفظ بمجموعة من المسدسات التي تخصني، فأخذتها واتجهت نحو هذا الشيخ وجذبته بشدة ولم يستطع فرد واحد من هذه الجموع أن يقف في وجهي.

في هذا الأثناء نزل عبدي من بعيري وكان مسلحاً بسيفه ودرعه وهرول نحو الشيخ وحاول أن يضربه بالسيف إلا أن الشيخ وثب وتفادى هذه الضربة، ولو لم يتفاداها لقطعه السيف إلى نصفين. وبالفعل كان السيف قد دخل في الأرض حتى نصفه ولم يتوقف عبدي عن ضربه. فضربه بالدرع على بطنه حتى ألقاه على ظهره.

وأخبرنا العبابدة أن الشيخ مخمور وأننا لم نلحظ ذلك وأنه أرتكب خطأً فادحاً لأنه بدأ بالعداء. وبدلاً من أن يهرب منا توجه نحونا ثانيةً، لكنه كان متعباً وحاول أن يهددنا مرة أخرى . في هذا الأثناء كنت هادئاً وترجلت من على ظهر بعيري واتجهت نحوه ، وعندما اقتربت منه لاذ بالفرار. أثناء كل هذه الأحداث ظل محمد ترجماني على ظهر بعيره هادئاً رغم أنه هو سبب هذا الشجار، ولم أدر لماذا هو بهذا الهدوء؟ رُبّما يريد أن يكون جاهزاً للهروب إذا ساءت الأحوال بالنسبة لنا، ورغم ذلك أعرف أنه رجل شجاع. والسيد كايو كان هادئاً جداً وحاول أن يهدئ من روعي لكنه لم يشارك قط في مساعدتي أثناء القتال.

بعد ذلك الشجار أصبح الكلُّ هادئاً وترجوني أن لا أهاجم الشيخ وبالفعل امتطيت جملي وواصلنا السير. هذا المشهد سرني فيه إخلاص عبدي لي وفي المقابل غضبت من سلوك ترجماني والخطأ الذي ارتكبه. وقد أخبرني لاحقاً بأن سبب الشجار كان دخوله أحد المنازل وطلبه لبناً يشربه . فخرج الشيخ وسأله قائلاً: هل تريد أن تأخذ اللبن بالقوة؟ فأجابه بالنفي. قائلاً فقط أنه يريد اللبن لأنه عطشان ولهذا طلب منه أن يعطيه اللبن. فأجاب الشيخ باستهزاء قائلاً: ليس لدينا لبن، وقال محمد للشيخ فليدعه يبحث عن اللبن بنفسه . ولكن الشيخ أردف قائلاً: عندنا اللبن بكميات كبيرة ولكن حلفت بالله أن لا أعطيك جرعة منه. وبدأ الشجار من هذه النقطة.

في أثناء سيرنا وبعد أن ابتعدنا قليلاً عن القرية التي حدث فيها الشجار رأينا الشيخ يركض خلفنا وطلب مني أن أسامحه وأن أرجع معه إلى القرية وأتناول معه الطعام والشراب. ولكني رفضت ذلك وطلب مني بأن أجبر خاطر أهل القرية وأن آخذ الهدية التي يحملها معه فقلت له: سوف آخذ هديتك بكل ترحاب، ولكن على شرط أن يأخذ شيئاً مني ، وقبل هذا العرض على مضض ونزل من بعيره وأخرج كيساً كان يحمله على كتفه ملئ بالخيار مما أضحكني كثيراً. وفي المقابل أعطيته شالاً مصنوع من الموسلين وافترقنا ونحن أصدقاء.

عند منتصف النهار وصلنا إلى إحدي قرى المحَس ووقفنا عندها وتناولنا مع أهلها الطعام لأنهم دعونا إليه وطلبوا منا أن نبيت معهم ، ولكننا آثرنا السير حتى وصلنا إلى قميس [1] .

الجمعة 19 من إبريل 1822م

تحرك قبلي السيد كايو في هذا الصباح ليذهب لقرية الكاب ليقابل السيد كونستانت Constant. وتحركت أنا بعد ساعة كاملة من تحركه، وبينما نحن مواصلون السير شعرنا بالإعياء قد بدا على الإبل. وصلنا قرية الكاب قبل ساعتين من مغيب الشمس ، في الوقت نفسه الذي وصل فيه السيد كايو. ووجدنا السيد كونستانت ما زال مريضاً. تناولنا العشاء سوياً وقررنا أن نقضي اليوم التالي في هذه القرية.

السبت 20 من إبريل 1822م

في صباح هذا اليوم زرت القلعة الموجودة في هذه القرية. وهي عبارة عن موقع قديم فيه مدينة صغيرة مشيّدة على صخرة محاطة بسور عظيم من اللبن والأحجار الخشنة، وعلى السور أبراج. هنالك أيضاً قلعة أخرى تبدو أحدث بجانب هذه القلعة. وهي مأهولة بالسكان في الوقت الراهن. شهدت قلعة الكاب معارك عدة ضد الشايقية وهي قلعة محصنة ضد الحروب الأهلية[2]. في الضفة الأخرى للنيل توجد قلعة أخرى في مكان يسمى الكويب حيث يقيم الشيخ وجنود الباشا.

النيل في هذه المنطقة ضيّق وملئ بالصخور الكبيرة مما يجعل هذا الموقع جديراً بالتصوير لروعته وجماله.

---

[1] . بالقرب من الشمخية.

[2] . القلعتان الموجودتان في الكاب وصفهما كروفورد O. G. S. Crawford في كتابه الموسوم:
Castles and Churches in the Middle Nile Region, p. 10&, Fig. 1

الأحد 21 من إبريل 1822م

تحركنا في صباح هذا اليوم بعد طلوع الشمس وسلكنا طريق العقبة لأن طريق النيل كان سيئاً، ثم دلفنا ناحية النيل حيث وجدنا قرية يسكنها بعض الأعراب الذين أتوا من الصحراء ليحصدوا محاصيلهم. عندما مررنا بهم تعرفوا علينا لأنني مررت بديارهم من قبل وعاملونا معاملة طيبة. كان السيد كايو يسير خلف الركب لأن أحد جماله كان مريضاً وتعثر في السير فنحره السيد كايو وقطع جلد رقبته التي عليها ختم الباشا. وبما أن البيت الذي نزلنا فيه كان ضيقاً بعض الشيء نزلنا في بيت آخر يبعد قليلاً عنه.

الاثنين 22 من إبريل 1822م

كما هو الحال بالأمس فإننا عانينا من ارتفاع درجة الحرارة أثناء النهار لذلك حاولنا أن نغادر باكراً في هذا اليوم لنجنب إبلنا الإعياء ، حيث أنه ما زالت هناك رحلة طويلة تنتظرنا. تحركنا عند الساعة الثالثة صباحاً وسرنا بالقرب من النيل، وعند طلوع الشمس لحق بنا السيد كايو وسلكنا طريقاً واحداً. عند الساعة الحادية عشرة وصلنا إلى قرية السالمية ووجدنا بها بيتين فقط ، وكان الجو حاراً فتوقفنا في هذا المكان.

استيقظنا من النوم عند منتصف الليل ثم تحركنا عند الساعة الثانية صباحاً.[1] مررنا بطرق وعرة وبعد فترة وجيزة وصلنا إلى طريق عقبة بيدا وكان طريقاً سهلاً. كان الظلام حالكاً ، وعندما لاح الفجر أضاء لنا الطريق. مرة أخرى عانينا من حر النهار، ولم يستطع جمل العبادي مواصلة السير فتركناه وصاحبه خلفنا، لأن الأخير رفض أن يترك بعيره خلفه فبقي معه ليطعمه ومن ثم يلحق بنا.

الثلاثاء 23 من إبريل 1822م

عند منتصف النهار توقفنا عند قرية صغيرة بالقرب من جزيرة بيداسي[2] . وعند المساء لاحت بوادر رياح الخماسين ليوم الغد، فاقترحت على السيد كايو أن نبقى

---

[1] . إنه أمر طبيعي أن يسافر الناس بالليل عندما يكون الطقس حاراً.

[2] . غير معروفة ؛ لكنها تقع على مسافة قريبة جنوب شبابيت.

في هذا المكان في صباح هذا اليوم لكي نبحث عن كلأ لإبلنا. كما أرسلت أحد الرجال ليبحث عن العبادي ولكن الرجل لم يجده.

الأربعاء 24 من إبريل 1822م

كما توقعت كان الطقس سيئاً في صباح هذا اليوم. فهبت رياح شديدة تحمل معها حبات الرمل، وبدت السماء كأنها ملبدة بالسحب الكثيفة . لهذا لم نجد شيئاً نفعله غير النوم لأننا كنا نعاني من الإرهاق والإعياء. عند المساء زارنا الشيخ عمر وطلب مني أن أسامح الرجل الذي فر بالبعير الذي أعطيناه إياه لكي يمتطيه حتى بربر. في الوقت نفسه أحضر لي لجام البعير الذي أخذه الرجل. كما عرض عليّ حصاة بحجم بيضة الطيور قال إنها الحصاة التي سببت له الألم عندما مررت بمنزله قبل ذلك ووجدته يحاول إخراجها [1]. أرسلت ثانية في البحث عن العبادي وعلمت أنه مر بالجزيرة وأنه ينتظرنا هناك. هذه الجزيرة جافة في هذه الجهة.

الخميس 25 من إبريل 1822م

تحركنا بعد طلوع الشمس في هذا اليوم وكانت لدينا النية بأن نواصل السير طوال النهار. بالرغم من أن الجو كان صحواً إلا أننا توقفنا عند قرية كبابوتي[2]، ومن هنا سنسلك طريق العقبة حيث نسير مباشرة إلى البركل في اليوم التالي.

عندما مررنا بالقرب من منزل الشيخ عمر ذهب ترجماني إلى العسكر الموجودين في الجزيرة لاستلام العبادي ، أما نحن فواصلنا السير. وعندما وصلنا إلى قرية قباتي لحق بنا العبادي، وأخبرني بأن العسكري الموجود في الجزيرة هو العسكري نفسه الذي حضر معي من البركل إلى تنقاسي، وعندما علم بوجودي دعانا إلى العشاء ووفر لنا كل ما نحتاج إليه. وبالفعل أتى هذا العسكري إلينا وقدّم لنا خدمات جليلة.

---

[1] . كان الملك عمر يعاني من حصاوي في المثانة.

[2] . بالنظر إلى خريطة لينان يبدو أن هذه القرية تقع بالقرب من جزيرة الصافي.

الجمعة 26 من إبريل 1822م

تحركنا عند طلوع الفجر ووصلنا عند الساعة الحادية عشرة إلى قرية الحامداب سالكين الطريق نفسه. نزلنا بمنزل شيخ القرية وعاملنا معاملة جيدة جداً.

السبت 27 من إبريل 1822م

تحركنا بعد طلوع الشمس ووصلنا البركل عند منتصف النهار، ذهبت إلى منزل القائمقام الذي يُعدُ صديقاً لنا ووفر لنا منزلين ، واحد لشخصي وآخر للسيد كايو. فور وصولي أخبرني أحد الجنود بأن لدى كاشف مروي خطابات تخصني، فأرسلت فوراً لإحضارها . كان واحداً منها من السيد صولت (Salt) وهو مؤرّخ منذ شهر سبتمبر، ومحتواه أنّ لدي نقود عند السيد هيمبرتش (Hempriche)[1] وخريطة للنيل أعطاه إياها السيد روزيقنول (Rosignol) وأنه قام برسمها بناءً على ملحوظات السيد كونستانت. استفدت كثيراً من هذه الخريطة، وآليت على نفسي أن أدرسها باهتمام شديد وكتبت للسيد صولت لكي أطلعه على سوء نية السيد روزيقنول وجهله .أخبرني السيد صولت (في خطابه) بمكان مروي ولكن هذا الخبر جاء متأخراً. سبق أن قمت بزيارته في مكان غير هذا المكان، وكان مسروراً جداً لهذه الزيارة باعتباري أول رحالة أجنبي معاصر يزوره ، مع إن عدة شخصيات زارته من قبل ليستفيدوا من بحثه، ولكنهم أخطأوا جميعاً باعتقادهم أن أطلال البركل أولاً ثم كابينا ثانياً هي أطلال مروي. وأخبرني أيضاً (في الخطاب) بأن السيد بانكس يتهيأ للعودة لمصر. وسررت كثيراً لهذا النبأ لأنني آمل أن السيد بانكس ربما يود رؤية الأماكن التي زرتها من قبل.

الأحد 28 من إبريل 1822م

في صباح هذا اليوم ذهبنا لملاقاة الكاشف الذي أظهر لنا مجاملة كبيرة. وأخبرني بأن هنالك مسافرين اثنين أحضرا إليه خطابات تخصني وهما ألمانيان، ذهبا

---

[1] . ويلهلم هيمبرتش ألماني متخصص في العلوم الطبيعية ، أجرى بعض الأبحاث بالسودان في مجال علم الحيوان بالمشاركة مع سي. ج. إيرنبيرج(Ehrenenberg).

إلى دنقلا قبل ثلاثة أشهر ليصطادا الطيور. فاعتقدت أنهما عالما الطبيعة البروسيين اللذين حدثني عنهما السيد صولت وأن أحدهما كان بصحبته المبلغ الذي يخصني.

دعاني الكاشف لوجبة عشاء ، وقبل موعد العشاء قمت بزيارة لأطلال قرية تسمى مروي[1]. الأطلال عبارة عن بقايا سور وبعض الحجارة المنقوشة بكتابة هيروغليفية. كما وجدت داخل القرية قطعاً كثيرة من الجرانيت المنحوت، في وسطها حجر مكعب جيد القطع من الجرانيت الأسود وعليه قرص منقوش بالهيروغليفية. في اعتقادي أن هذا الحجر، وآخر مثله في داخل القرية ، هو مذبح صغير لأحد المعابد، وأعتقد أيضاً أن بقايا السور الذي شاهدته من قبل هو سور هذا المعبد. بعد إقامة قصيرة مع الكاشف بعد العشاء دعوناه ليتناول العشاء معنا في يوم الغد.

الاثنين 29 من إبريل 1822م

قضينا نهار هذا اليوم في الترفيه عن أنفسنا بالتجوال في هذه المناطق. وعند المساء قمت بزيارة الأطلال وحاولت جاهداً البحث عن الآثار كما كنت أفعل من قبل- أعجبني موقع هذا المكان، وفي الحقيقة إنّ موقع الأطلال جذّابٌ جداً وكذلك الجبل فموقعه المتفرد جعل منه شيئاً نادر المظهر والمنظر.[2] يبدو أن الذين بنوا هذه المدينة أحسنوا اختيار موقعها ، فالهواء عليل والأرض منبسطة. في الحقيقة هذه المنطقة حالياً هي أجمل ديار الشايقية ، وفي الوقت نفسه هي الأجمل في كل المنطقة من وادي حلفا حتى سِنار. الأرض طيبة ومزروعة بطريقة جيدة ومكتظة بالسكان، وواضح أن سكانها من النساء والرجال بصحة جيدة وليس بهم خبث كما هو الحال لدى المصريين. تبدو النساء شبه عاريات وبهن تعالي ولولا اللون لكُنَّ من أجمل نساء الدنيا، وتبدو عليهن الطيبة والبساطة.

---

[1] . مروي شرق.

[2] . يتحدث عن أطلال جبل البركل.

الثلاثاء 30 من إبريل 1822م

في صباح هذا اليوم صعدت إلى قمة الجبل حيث شاهدت منظراً جميلاً. ووجدنا انحدار هذا الجبل من الجهة التي صعدنا بها إليه شاقاً ووعراً جداً. تسكن هذه الناحية مجموعة من الثعالب.

الأربعاء الأول م من مايو 1822م

ذهبت في صباح هذا اليوم إلى الجانب الآخر من النيل لمشاهدة بعض الأطلال وكنت قد ذهبت إلى القائمقام لأخذ بعض المعلومات منه حول منطقة تسمى دير الغزالي.[1] كثيرمن الناس أخبروني بأن في هذا المكان مجموعة من الأطلال في وادي ملئ بالمياه والأشجار. فقمت بزيارتها في اليوم التالي ثم عدت إلى منزلي. في الحال أمر القائمقام بأخذ إبلنا إلى جزيرة أم عُشرة التي تقع أمامنا وكان أثنان من جوانبها أجردين. وفي الصباح، حسب ترتيباتي، سأذهب لتفقد الإبل لأن هنالك كميات من الذُرة يمكن أن تقتات منها. كذلك أرسل إليَ الكاشف يطلب مركبه الذي وصل إلينا في المساء.

الخميس الثاني من مايو 1822م

علمت في صباح هذا اليوم أن شجاراً قد نشب بين السيد كايو وبين القائمقام؛ فالسيد كايو يعتبر أن القائمقام لم يعامله باحترام كما عاملنا نحن. وقد يكون محقاً فيما قاله لكن الأتراك معروف عنهم عدم الجديّة في أحاديثهم، ويطلقون على مثل هذه العبارات البكشيش . أبحرنا بعد ساعة من طلوع الشمس وذهبت إلى القائمقام الذي زرته بالأمس وطلبت منه دليلاً وحصاناً لترجماني لأن بعيره كان مريضاً. وحوالى الساعة التاسعة بدأنا في التحرك واتجهنا نحو الجهة الجنوبية الشرقية. ومررنا بسهول مليئة بالحصى، وبين الفينة والأخرى تظهر لنا أماكن بها مياه وشجيرات وعشب. بعد ساعتين من السير المتواصل وصلنا إلى وادي ملئ بالأشجار الصغيرة يبعد نصف ساعة من دير الغزالي. ومن على البعد شاهدت أطلالاً. وعندما اقتربت منها اكتشفت أنها

---

[1] . دير الغزالي ، يقع على مسافة حوالى 10 أميال جنوب النهر ، جنوب وادي أبي دوم.

أطلال لدير وتوقفنا عندها تحت ظل شجرة وكان الوقت منتصف النهار. هذا الدير شبيه بكل أديرة هذه المنطقة، فهو مشيد من الطوب المحروق والحجارة. وكل الأسوار كانت مطلية بالجبص . وعلى المذبح شاهدنا بقايا طلاء لقديسين. كورنيش الدير من الخارج كان على الطراز المصري. الدير مخاط بسور من الحجارة الخشنة وتتخلله عدة أبواب وبداخله عدة منازل ترى من خلالها بقية الأسوار. يقع الدير على أرض مرتفعة بعض الشيء في الاتجاه الجنوبي الشرقي من جبل البركل، ويبعد ثلاثة فراسخ من النيل، وهو في الطريق المؤدي إلى شندي. في هذا المكان تتوقف القوافل لوجود المياه في الوادي في أسفل أسوار هذا الدير. بالوادي كميات قليلة من الرمال، ويكثر به العُشب والأشجار. يأتي لهذا المكان الأعراب من كل حدب ليسقوا قطعانهم وبخاصة عربان الكبابيش التابعين للشيخ عمر الموجود في الدوينيب.

الطريق الذي يمرّ من هنا يقود إلى شندي ويبعد مسير سبعة أيام من تنقاسي. في كل يوم نسير فيه نتعرض للحرارة الشديدة حيث لا توجد نسمة هواء. ومقياس الحرارة في الظل يصل إلى 110° درجة. شاهدت مجموعة من السحب المتراكمة في الجهة الجنوبية الشرقية ولذلك كنا نتوقع الأمطار والعواصف شديدة الرياح. في المساء عدت إلى منزلي في البركل وبدأت الأمطار في الهطول. كبقية بيوت المنطقة ، لم يكن البيت الذي نسكن فيه معداً إعداداً جيّداً للمطر، ولذلك اضطررت أن أُغطي أغراضي بالحصير. ولكن الحصير لم يفد كثيراً، ليس لغزارة الأمطار بل بسبب الرياح العاتية التي مزّقت كل شيء في دقائق معدودة. ولم أر في حياتي كلها مثل هذه الرياح والرعود الشديدة ، فكل بيوت المنطقة بما فيها منزلنا غطاها الغبار تماماً. هنالك بعض النساء ضللن طريق الوصول لبيوتهن فلجأن لمنزلنا وقضين الليل معنا لرداءة الطقس الذي استمر حتى الفجر. بعد ذلك هدأت الأحوال.

الجمعة الثالث من مايو 1822م

كان الحر في صباح هذا اليوم لا يطاق. فهبت الرياح الجنوبية الشرقية وكانت حارة جداً مما أعاق تحركنا الذي كان مقرراً له منتصف النهار، ولذلك أجلناه لليوم

التالي. في مساء هذا اليوم عرجت على إبلي التي كانت ترعى في الجزيرة لأطمئن عليها. هذه الجزيرة تتبع للحاج دريسي[1] وهو رجل كفيف لكنه من أشجع الرجال الذين شاهدتهم في هذه البلدة. وبالرغم من كونه كفيفاً إلا أن أهل الجزيرة يطيعون أوامره بكل احترام وأدب. عند المساء أيضاً كان الجو حاراً لا يطاق وارتفعت درجات الحرارة إلى 108° درجة.

السبت الرابع من مايو 1822م

في صباح هذا اليوم وضعنا كل أغراضنا على ظهر المركب لنعبر النيل ، ولكن كان الطقس حاراً والرياح شديدة أيضاً، لذا آثرت أن أمكث في المنزل حتى المساء وتركت إبلي ترعى في الجزيرة. قبل أن أعبر النيل ذهبت إلى السيد كايو لآخذ منه نسخة لبعض الأشكال التي لم أقم برسمها في الحردان وطلبت منه أن يسمح لي بذلك لكي نتبادل المعلومات. وفي مقابل ذلك طلب مني الرسم الذي عملته لأحد أعمدة المصورَات فأعطيته إياه في الحال. تحركنا بعد ساعتين من مغيب الشمس وبدت في الأفق علامات عاصفة قادمة فاستبشرت خيراً بها لأنه من الأفضل لنا أن نتحرك بدلاً من أن نقبع في المنازل التي لا تقينا حتى من الأمطار الخفيفة. بدأ القمر يظهر من خلال السحب ويضيء السهول الرملية التي نمر من خلالها. فكان هنالك رعدٌ وبرقٌ طوال الليل . ثم شعرت بالإعياء والملل من السير الطويل. عند الفجر وصلنا لقرية القّرير وتوقفنا بها لمدة ساعة قبل طلوع الشمس وكنا وجهاً لوجه مع أطلال البخيت.

الأحد الخامس من مايو 1822م

في الصباح نزلت في الحال من على ظهر بعيْري لكي أنوم ولكن صــعب عليّ النوم لأن الطقس كان حاراً. هذه القرية تعُجُّ بالسكان ولكنهم لم يكونوا بشوشين كأهل البركل. نزلنا في بيت امرأة ربة منزل تقوم بخدمة شيخ البلد فوفرت لنا ما نحتاج. في المساء عندما صعب علينا النوم قررت أن نغادر عند منتصف الليل وأن ننام حتى تلك

---

[1] . ربما يقصد الحاج إدريس.

الساعة. وعند منتصف الليل عندما بدأنا في حمل أمتعتنا على ظهور الإبل إذا بريح شديدة بدأت تهُبُ يصحبها غبارٌ كثيف، فآثرنا أن ننزل رحلنا وننتظر نهاية الريح.

الاثنين السادس من مايو 1822م

توقفت الريح عند طلوع الفجر فأيقظت جماعتي وبدأنا نعد رحلنا. ولم يكن الجو حاراً. وبدأت رياح تهُبُ من جهة الجنوب. وعند منتصف النهار مررنا بكورتي حيث ساحة المعركة التي انهزم فيها الشايقية ومازالت هنالك بقايا أشياء تُذَكّر ببشاعة تلك المعركة. بعد ساعة وصلنا إلى أمبيكول. حضر إلينا الكاشف وأنزل إبلنا في أحد المنازل واصطحبني إلى منزله لأشرب معه القهوة. بعد ذلك عدت إلى منزلي وأحضر لنا الكاشف خروفين فاخترت أصغرهما عمراً. وعند المساء دعانا إلى العشاء وكان عشاءً جيّداً.

الثلاثاء السابع من مايو 1822م

تحركنا قبل ساعة من طلوع الفجر. لم نستطع السير أبعد من منصوركُتي. مررنا بقلعة الحتاني وهي قلعة شيّدها الشايقية على صخرة تشرف على النيل. هنالك بئر محفورة في الحجارة بالقرب من مياه النيل، وفي الأعلى باب صغير يسمح بدخول الماء أثناء موسم الفيضان. لا أعتقد أن هذه البئر حفرت حديثاً ، أي بعد تشييد القلعة. في الجهة الشمالية للقلعة وبالقرب من النهر وعلى الطريق توجد كتابة باللغة العربية كُتبت بطريقة جيّدة ويظهر عليها العراقة ولكن للأسف فهي مهشمة تماماً فلم أستطع نسخها .

وصلنا إلى منصوركّتي بعد خمس ساعات ونصف الساعة واسترحنا فيها بسبب ارتفاع الحرارة. نزلنا في أحد المساجد دون أن نعرف أنه مسجد ونمنا فيه نوماً عميقاً حتى صحونا بمجيء أهل القرية لأداء الصلاة عند منتصف النهار. النساء والرجال حضروا لأداء الصلاة. وجدت نفسي في حجرة يؤدون فيها التراتيل الدينية وكانت مزعجة بالنسبة لي. انتهت الصلاة وقام ترجماني بمخاطبتهم وشاركه كل الحضور. وفي المساء أحضروا لنا كل ما نحتاجه. لقد جعل ترجماني الجميع يضحكون، ولذلك أخذنا

كل ما نرغب فيه. الناس هنا متدينون جداً والأطفال يتعلمون القراءة والكتابة منذ الصغر.

الأربعاء الثامن مايو 1822م

تحركنا قبل ثلاث ساعات من طلوع الشمس. لأن الليلة كانت مُقْمرة. وقُبيل الفجر مررنا بجزيرة قنتي وبقرية مهدمة. وبعد ست ساعات وصلنا إلى قوشابي وتوقفنا بها . كان شيخها رجلاً مقداماً عاملنا أحسن معاملة .

الخميس التاسع من مايو 1822م

تحركنا بعد طلوع الشمس وسرنا عبر سهل صحراوي حتى الدبة التي وصلناها في خمس ساعات. طلب منا الكاشف التوقف عنده وعاملنا بطريقة كريمة وأنزلنا في بيته لأنه لا يوجد غيره. الدبة قرية كبيرة كانت قد تهدمت تماماً ، لكن بفضل عابدين كاشف بدأت تعمُر من جديد. فكان دائماً يشجع سكانها على تعميرها. ومن هذه القرية يتخذ الناس الطريق المؤدي إلى كردفان. حفر الكاشف بئراً في الصحراء على بُعد مسيرة يومين. ومن قبل ذلك حفر بئراً عميقاً تجاوز عمقه المائة قدم لكنه لم يحصل على الماء. ومن جانب آخر ، فإن مياه الأمطار في هذه الأماكن تبقى لفترات طويلة بعد هطول الأمطار. كانت الدبة في الزمن السابق من القرى المهمة، لأن القوافل كانت تأتيها محملة بالبضائع من دارفور وكردفان وسِنار ومصر، وكان بها سوقٌ كبيرٌ مثل سوق شندي. كان يحكمها في السابق ملك مهاب وكانت أراضيها تغطيها الأدغال والغابات. البيت الذي يسكن فيه الكاشف الآن كان في السابق مسكناً لملك الدبة، وقد بذل عابدين كاشف مجهوداً كبيراً لإعمار هذه القرية.

عند منتصف الليل غادرنا الدبة ومررنا بالقرب من غابة مليئة بالأشواك، أشجارها متلاصقة لدرجة أنه بالرغم من ضوء القمر كان علينا أخذ الحيطة والحذر حتى لا يصاب أحد منا في عينيه بهذا الشوك اللعين فتصاب بالعور. أما ملابسنا فقد

تقطعت. في أثناء ذلك سمعنا زئير أسد لكنه لم يقترب منا. جدير بالذكر يعيش في هذه الغابة كثير من الأسود تشكل خطراً على قطعان الأعراب.

الجمعة العاشر من مايو 1822م

بعد ساعتين من طلوع الفجر وصلنا إلى جزيرة حمور. وجدنا فيها الكلأ لإبلنا، لقد باعدت أشجار هذه الغابة بيننا وبين النيل وأصبح الطريق وعراً جداً، لهذا واصلنا السير لمدة ساعتين للوصول إلى النيل وذلك بسبب كثرة الأدغال والأشجار الكبيرة. أما الطريق لعبور النهر والوصول إلى الجزيرة فقد كان جافاً وكان شاطئ النيل مرتفعاً جداً ومستقيماً، لذلك أخذنا وقتاً طويلاً نبحث عن مكان ننزل فيه ، مما دعانا للاستعانة بأحد أهالي الجزيرة ليوضح لنا الطريق الذي يمكن أن نسلكه.

هذه الجزيرة في الحقيقة جميلة جداً ومزروعة ومخضرة وتغطيها الأشجار.

السبت 11 من مايو 1822م

تحركنا بعد ساعتين من طلوع الفجر، وبما أننا عرفنا الطريق جيداً؛ فلم نعاني من الصعود على ضفاف النيل. سلكنا الطريق خارج الغابة ، وكنت أنوي الذهاب للخندق بالرغم من حرارة الجو في هذا النهار ولكن نفد ما لدينا من الماء، كما أن ارتفاع درجات الحرارة أجبرني أن أتوقف عن المسير بعد الساعة الحادية عشرة عند قرية صغيرة تسمى شبعانة تبعد فرسخين عن منطقة الخندق حيث استقبلنا أهلها بكل ترحاب.

حاولت أن أشتري خروفاً ولكن صاحبه رفض بيعه لي ، لذلك قررت أن آخذ أي خروفٍ أجده أمامي. بالفعل أخذت أحد الخراف ولكن أتى إليّ صاحبه وطلب مني ألا أذبحه لأنه لا يملك غيره. وطلبت منه أن يدلني على شخص آخر لديه خراف كثيرة، فرفض وقال لي هذا جُبْنٌ ، فهو لن يخبرعن أهله حتى ولو يذبحوا خروفه الوحيد. وهذا الأمر أكد وبرهن لي تماسك ووحدة هذه الأمة البربرية. بعد صعوبات جمة قال لي إن هنالك عرباناً يمتلكون قطيعاً من الخراف يمكننا أن نشترى منهم حملاً.

عند طلوع الشمس وبعد مسير طويل وصلنا إلى الخندق. وفي أثناء سيرنا لمحت داخل الغابة بالقرب من القرية جندياً يصطاد بين الأشجار، فخطر لي أنه قد يكون أحد العالمَين الطبيعيين البروسيين اللذين أخبرني عنهما السيد صولت من قبل. توجهت نحو خيام بالقرب من النيل ووجدت هذين السيدين وكانا في غاية اللطف وقضيت معهما النهار، لكن الذي لم يعجبني فيهما أنهما لا يكنان احتراماً لهذا التركي المتميز عابدين كاشف الذي أغدق عليهما الهدايا. أخبراني بأن مبلغ المال الذي أرسله معهما السيد صولت قد سلماه عابدين كاشف ومعه مقياس للحرارة. شعرت بالراحة عندما عرضت عليهما بعض الطيور التي اصطدتها في سِنار، إذ كانت بالنسبة لهما طيوراً غريبة بل أضاف أحدهما إنها من الطيور النادرة والغير معروفة. ذكرا لي أيضاً أن صبرهما قد نفد من مواصلة رحلتهما هذه وعرضا عليّ ما تحصلا عليه من صيد في هذه الرحلة. وكانت مجموعاتهما التي تحصلا عليها من أجمل المجموعات لأنهما جمعاها بكل عناية ودقة وكانت مدهشة بحق وحقيقة، ويبدو أن بعض هذه الطيور لم تمر على عملية اصطيادها خمس دقائق.

الأحد 12 من مايو 1822م

استيقظت في الليل وأطلقت إبلي. وبعد ساعة غادرت هذين السيدين ولحقت بقافلتي. وبعد خمس ساعات ونصف من السير توقفنا عند تيتي بسبب الحر الشديد.

الاثنين 13 من مايو 1822م

تحركنا قبل ثلاث ساعات من طلوع الفجر ولم نتوقف إلا عند منتصف النهار في قرية تبعد حوالى فرسخٍ واحدٍ من ماريقا. سرنا تقريباً حوالى تسع ساعات. عند الساعة الثالثة بعد الظهر ذهبت ومعي ترجماني إلى الكاشف. ووجدناه متوعكاً بعض الشيء، وقام كما عرفناه بواجب الكرم والضيافة والاحترام. طلب مني أن يستضيفني في منزله ، ولكن لراحته وراحتي رفضت ذلك الطلب وذهبت لبيوت أحد أفنديته وخشيت

أيضاً أن أضايقه. وفي الحقيقة إن احترام هذا الكاشف لي أخجلني كثيراً، لذلك قررت أن لا أبقى طويلاً في ماريقا بالرغم من إصراره الشديد على المكوث معه.

أدهشتني التغيُرات التي طرأت على دنقلا فقد شاهدت بكل دهشة أعمال عابدين كاشف التي أراني إياها، وشعرت أنها بحق غريبة ومدهشة حتى بالنسبة لأهله وأمته بالإضافة إلى أصالته وأدبه الجم.

الإقامة في ماريقا ومغادرتها
وصف لجزر أرقو، جيورجيا، صادنقا، جزيرة صاي، سمنة، والرجوع إلى القاهرة

الثلاثاء 14 من مايو 1822م

في صبيحة وصولي إلى دنقلا أرسل إليَ الكاشف باكراً جياده لكي أرافقه لمشاهدة الحصون التي قام بتشييدها. مثل هذه الأعمال تؤكد بحق عبقرية هذا الرجل لأنه لم يتلقَ تعليماً حتى يمكنه من إنجاز مثل هذه الأعمال العظيمة. من النادر أن تجد رجلاً متعلماً وسط الأتراك وهو عكس الحال وسط الأوربيين، حيث أنه من النادر أن تجد رجلاً غير متعلم. طلب مني الكاشف أن أعطيه بعض الملحوظات والإرشادات حول هذه الأعمال، ولكني تحاشيت ذلك النصح وقلت له أنا لا أفهم في هندسة بناء الأشياء العسكرية وأن مهارته هذه لا تحتاج مني إلى تعليق أو إرشاد لجمالها.

قضيت معه معظم النهار ثم قضيت ما تبقى منه أعمل في بيتي.

الأربعاء 15 من مايو 1822م

قضيت هذا اليوم في بيتي أعمل على إكمال بعض رسوماتي ومراجعة بعض المسائل الفلكية. أرسل إليّ الكاشف هدية عبارة عن نبيذ (مشروبات روحية). وهذه الهدية أزعجتني كثيراً لأنه ليس عندي ما أقدمه له مقابلها. فرفضت أن أستلمها. وفي الوقت نفسه كان يريد أن يرسل إليّ بعض الثياب لأن يعلم أن ثيابي قد تمزقت أثناء الرحلة. ولكن قبل أن يرسل لي تلك الثياب بادرت بالرفض وأكدت له أنه من المستحيل أن أقبلها.

الخميس 16 من مايو 1822م

في صباح هذا اليوم ذهبت إلى الكاشف ومكثت معه وقتاً طويلاً، ووجدته في حجرة فيها حوض كبير ملئ بالماء لتبريد الهواء. هنأته كثيراً على سلوكه المهذب الذي

عرفته عنه من خلال إقامتي في هذه البلاد مما جعلها إقامة طيّبة أطيب من التي وجدتها في مصر. ويرجع ذلك للتحسينات التي قام بها. وأيضاً شكرت صنيع حكومته تجاه المواطنين الذين أجزلوا الثناء عليها وتجاه الأجانب كذلك الذين جذبهم هذا التعامل الطيب للعمل في مثل هذه البلاد. عندما رجعت إلى منزلي أتى أحد برابرة هذه المنطقة وهو خادم للسيد صولت وكان يبحث عن بعض الخيول. أخبرني أن سيده وصل إلى أسوان ومعه رجل إنجليزي آخر. قال لي أيضاً بأن السيد صولت أعطاه خطاباً لي ومعه أمر بأن يرمي هذا الخطاب في النيل إذا لم يجدني في دنقلا. لغز هذا الخطاب أدهشني كثيراً لأنه لم يكن بيني وبين السيد صولت أي شيء ذي بال.

الجمعة 17 من مايو 1822م

هذا اليوم يوم تدريب للخيول ، فقد رافقت الكاشف في هذا اليوم وشاهدت سباقاً للخيل وقام الخيالة بمناروات جيّدة على طريقة المماليك. في هذا اليوم أرسل لي الكاشف المبلغ الذي طلبته منه. وبما أنني كنت بحاجة إلى بعير إضافي فقد أشتريت بعيراً من أحد العساكر نال رضا الكاشف فأمر بدهنه بنوع من القطران والكبريت الطبيعي مما أخرني لبضعة أيام في دنقلا.

السبت 18 من مايو 1822م

ذهبت في صباح هذا اليوم لمشاهدة السوق خارج المدينة ووجدته سوقاً بائساً ولم أجد فيه سوى العاهرات اللواتي يطلبن الحماية من الكاشف من طائلة العقاب الذي يقضي بأن يُرمى بهن في النيل إذا دخلن إلى داخل أسوار المدينة. لكن يجب إبعاد نساء المنطقة عن هؤلاء العاهرات حتى لا يصبحن مثلهن ، وينبغي على هؤلاء المومسات أن لا يدخلن أسوار المدينة أبداً. هذا المنع ليس من أجل الشرف ، ولكن كما رُوِىَ لي بأنهن ينشرن الفساد وسط الجنود الأتراك، وكما هو معروف فإن معظم الأتراك ، بما فيهم عابدين كاشف يمارسون هذا الفساد، حيث حكوا لي أن والدة عابدين كاشف أرسلت له

مؤخراً من القاهرة خادمتين جورجيتين غاية في الجمال، لكنه لم يُعجب بهن فأعادهن إليها وطلب منها أن ترسل إليه أخريات من جنس آخر.

الأحد 19 من مايو 1822م

في هذا اليوم ذهبت إلى الكاشف وكان في انتظار إبراهيم أغا الذي من المفترض أن يحضر في هذا اليوم ومعه مجموعة من الجنود يبلغ عددهم أربعمائة ألباني ليذهبوا إلى كردفان. ولكي لا أزعج الكاشف طلبت منه أن يأذن لي بالرحيل.

الاثنين من 20 حتى 22 من مايو 1822م

قضيت هذه الأيام وحتى اليوم الثالث والعشرين تارة في العمل وتارة أخرى بالذهاب إلى الكاشف. أرسل معي الكاشف أخ الشيخ حامد ليرافقني حتى وادي حلفا. وشيخ حامد هو شيخ قبيلة الكبابيش. وكان من المفترض أن أذهب إلى واحة سليمة ولكن كل من لاقيته من الناس ذكر لي أنه لا يوجد بها شيء ذو بال.

قبل رحيلي بيوم ذهبت إلى الكاشف عند منتصف النهار، ووجدت معه إبراهيم أغا وكان يحمل غليونه ويتناول قهوة من الليمونادا والبنش [1]. ومما أدهشني أن اليوم كان ثاني أيام شهر رمضان ، ولكنه فاجأني بسؤاله قائلاً: هل أنت تصوم الصوم الكبير؟ فأجبته: إذا لم ترغب في الصيام فهذا شيء يخصك ولا أحد يرغمك على فعل ذلك. فأجابني ضاحكاً بأنه أقسم ألا يصوم رمضان ويكفي أنه صامه في مصر كما ينبغي، ومكافأةً له على ذلك تلقى أمراً من الباشا أن يذهب إلى دنقلا، ورأى كيف أن الله عاقبه على تأدية فروضه الدينية. لهذا فهو لا يخشى معاملة أكثر سوءاً من تلك التي تلقاها.

عندما رجعت إلى المنزل أرسل لي الكاشف بعض المؤن وخطاباً أقدمه لكل قائمقام بين هذا المكان إلى وادي حلفا لكي يقدموا لي كل ما أحتاجه.

---

[1]. محررة الترجمة : البنش هو نوع من المشروبات ، قد يحتوي على كحول ، وقد يكون بدون كحول.

الخميس 23 من مايو 1822م

تحركنا في هذا اليوم وسرنا لمدة أربع ساعات فقط . أثناء مرورنا بجزيرة أرقو مررنا بمجموعة من الغابات وقرية تسمى كولمسيد.

الجمعة 24 من مايو 1822م

في صباح هذا اليوم عبرت إلى جزيرة أرقو على ظهر مركب يملكه أحد الأهالي. ذهبت إلى القائمقام الذي أعطانا جياداً للذهاب بها إلى مناطق الآثار. سرنا حوالى ساعة ونصف إلى هذه المناطق ووصلنا حوالى الساعة الثالثة بعد الظهر وقررنا أن نتحرك فجر اليوم التالي من منزل القائمقام. يبلغ طول جزيرة أرقو ما بين 16- 18 ميل وعرضها ما بين 3-4 أميال. وتغطيها أشجار السنط في المناطق غير المزروعة، وتجد في أطرافها أشجار النخيل، وفي أعاليها حوالى 307 ساقية. يحصد سكان هذه الجزيرة في السنة الواحدة ما بين ثلاثة إلى أربعة أنواع من المحاصيل ويزرعون القمح بكميات كبيرة، ولكن بعد أن يجمعوا الذرة في زمن الفيضان. في داخل جزيرة أرقو وبعيداً عن شواطئها هناك مجموعة من أشجار النخيل التي زرعها سكان هذه الجزيرة. هناك آبار وسواقي تروي هذه الأراضي. الغابات يسكنها أعراب يملكون قطعاناً من المواشي. هذه الجزيرة كأي بلدة في دنقلا مليئة بالأَرَضة التي تأكل كل ما يترك على الأرض، وتعتبر كارثة ومصيبة كبيرة على سكان الجزيرة.

المنطقة التي توجد فيها الأطلال تسمى أرقو سنى وتقع تقريباً في وسط الجزيرة داخل الأشجار. ووجدنا هذه الأنقاض شبه ممتدة ولم نستطع أن نميز فيها شيئاً. المعبد الذي يوجد بداخله تمثالان عظيمان مقلوبان ، كان مهدماً تماماً وهو مبني من الحجارة الكبيرة الحجم. شاهدت أيضاً جزءاً من عمود عند بوابة هذا المعبد، وفي الجهة الشرقية تمثالان من الجرانيت الردئ. وهذان التمثالان مقلوبان، ربما لم يكن ذلك عن طريق الصدفة، ومستلقيان على السطح على ظهريهما. التمثال الذي في الجهة الشمالية من المعبد (اللوحة 8) هو الأجمل وهو منشطر إلى جزءين، ويعتبر من أكثر التماثيل المحافظة والنادرة التي شاهدتها من هذا النوع. بالرغم من جمال هذين التمثالين إلا أنهما لم يكونا الأجود في الطراز ولا في الصنعة لأن الجرانيت الذي صنعا منه ليس من

النوع الجيّد، والذين قاموا بتصميمهما لم يكونوا حاذقين في الصنعة ولا بعيدي النظر. التمثال المهشم يوجد بين ركبتيه تمثالٌ صغيرٌ آخر شعره مصفف بحيث يقع على كتفه الأيمن، ولهذا التمثال قلادة في عنقه مصنوعة من أشياء دائرية الشكل وكبيرة الحجم بها نقوش صغيرة كالتي نراها في أعلى التماثيل في المعابد الأخرى. كلا التمثالين له طاقية متشابهة وطرف متدلٍ من المؤخرة وفي الداخل نجد الطاقية دائرية. أما التمثال السليم فلا يوجد بين ركبتيه تمثالٌ صغيرٌ ، لكن في أسفل الركبتين نقوش زخرفية باهتة. وطاقية هذا التمثال مزينة بتاج من القرطاس ، هذا التاج غير موجود في التمثال الآخر. ولكل منهما قاعدة ، ويبلغ ارتفاعه من بداية القاعدة وحتى طرف الطاقية 22.6 قدماً. ويبلغ عرض الأكتاف أكثر من خمسة أقدام[1]. هذه التماثيل ، كما ذكرت من قبل ، ليست من الطراز الجيّد، فهي مسطحة وأقدامها عريضة وأشكالها عادية. أظن أنها حُملت من محاجر تُمبس. خلف هذه التماثيل ووسط هذه الأنقاض هناك بقايا تمثال من الحجر الأسود، يبدو أنه من طراز جيد خلافاً للتمثالين السابقين[2]. وجدنا أيضاً وسط الأنقاض مجموعة من القردة كانت تعبث بالمكان. في الجهة الجنوبية الشرقية هناك أنقاضٌ أخرى من الحجارة قد تكون لمعبد آخر.

السبت 25 من مايو 1822م

تحركنا في صباح هذا اليوم من أشجار النخيل والسنط التي كنا نقيم تحتها ووصلنا إلى القرير التي تقع أمام جزيرة إرسٍ، حيث يعسكر جند حسن بيه الذين وفدوا من القاهرة وعددهم أربعمائة جندي، ويشغل معسكرهم مساحة كبيرة على امتداد النيل تقدر بميلين. هنا تختلف طبيعة البلاد عن تلك التي رأيناها من قبل ، إذ لا توجد في هذه المناطق غابات كثيفة ؛ فهي عبارة عن سهل منبسط تشاهد على جانبيه شواطئ النيل الذي تروى مياهه الأشجار والأراضي المزروعة. وعلى طول الطريق مشايخ ومدافن على الطراز المصري. شاهدنا في هذا المكان جزيرة خضراء تغطيها أشجار النخيل ،

---

[1] . هذه المقاسات بالأقدام. هذه التماثيل الضخمة التي تتبع للفترة المروية من المحتمل أنها تخص الملك نتك أماني.

[2] تمثال سوبك حوتب الآن في متحف مروي. أما القرود التي ذكرها لاحقا هي أيضاً موجودة ؛ صف من القرود.

ومن ثم سرنا وسط غابات من أشجار النخيل الجميلة. وبعد ساعة من السير وعند منتصف النهار وصلنا إلى قرية صغيرة تقع وسط غابات تسمى مُشُّو. وتوقفنا بها، ولكي نحمي أنفسنا وأغراضنا من الأرَضة أخذنا كل عنقريب وجدناه لنضع عليه أمتعتنا.

الأحد 26 من مايو 1822م

غادرنا هذه الغابات صباحاً فلم نر غير الصحاري وقليل من الأراضي المزروعة على ضفاف النيل. مررنا بحنَّك التي تشكل الحد الفاصل بين مملكة دنقلا ومملكة المحس، وعبرنا سهل قِفر ، وعند منتصف النهار وصلنا إلى جزيرة ِسمت. كنا نريد التوقف لنأخذ قسطاً من الراحة في أحد المنازل ولكن عندما شاهدنا بعض الجنود يعسكرون في هذا المكان ومعهم عدد كبير من الجمال ابتعدنا قليلاً حتى وصلنا قبالة جزيرة مُسل فتوقفنا هناك.

الاثنين 27 من مايو 1822م

تحركنا عند طلوع الشمس ، وبعد ساعتين مررنا بمكان فيه غابة صغيرة وأطلال لقلعة صغيرة أو دير، وبالقرب من هذه الأطلال أسوار متوسطة الارتفاع مبنية من الطين. هذا المكان يسمى البونيك ، وهذه القلعة المتداعية تستخدم حالياً بيتاً لسفاح يدعى علي برسي . يعتبر هذا الرجل من كبار قطاع الطرق ، وفي سبيل الوصول للثراء يحكى أنه استولى على عبدٍ كان يسلك الطريق الذي يمرّ أسفل بيته. كان يملك بندقية يمارس بها هو وعبده هذا كل أنواع النهب والسلب . فكان يضع فوهة البندقية على واحدة من نوافذ القلعة ثم يصطاد بها كل تاجر يمر بالقرب من قلعته، ثم بعد ذلك يقوم بنهب الأشياء التي يحملها الضحية وبهذه الطريقة جمع أمواله. كل هذه الأشياء حدثت قبل وصول الباشا الذي قضى على اثنين من المجرمين كان الأعراب يسمونهم بالشجعان وكانوا يعتبرَونهم من الرجال العظماء. كان جبل علي برسي مكاناً لتجمع أعدادٌ كبيرة من الأعراب الذين يأتون من الصحراء بغرض نهب القوافل التي تمر عبر

هذه الطُرُق. بعد ساعتين من هذا المكان مررنا بالقرب من النيل حيث شاهدنا أطلال أديرة لها ممرات طويلة عند مداخلها ولكن كلها مهدمة تماماً.

في هذا المكان ضل قائدنا الطريق لانعطاف النيل وإعوجاجه بطريقة واضحة. واصلنا السير حوالى ساعتين ولم يلحظ أحد منا خلالهما أننا سلكنا الطريق المؤدي إلى السكوت. ثم كنت أول من لحظ ذلك لأننا أخذنا وقتاً طويلاً لنحاذي النيل. في الختام وبعد ساعتين وصلنا قبالة قرية فرّيق فتوقفنا عندها.

الثلاثاء 28 من مايو 1822م

في حوالى الساعة العاشرة صباحاً وصلنا قرية كوكا. المناطق التي مررنا بها بالأمس لم تكن مأهولة بالسكان ولم تكن أراضيها خصبة، لأن الزحف الصحراوي كان يتقدم حتى ضفاف النيل. أما قرية كوكا فهي من القرى الجميلة وهي مأهولة بالسكان وبها أشجار كثيفة من النخيل وبيوتها كحال المنازل من بربر إلى هذا المكان ، متفرقة هنا وهناك. والمناطق من كوكا حتى سيسي [1] جميلة المنظر، وتوجد خلف الأراضي الزراعية أراضٍ بها أدغال صغيرة وعُشب ولكن تهددها الرمال الزاحفة من جهة الصحراء. مكثت طوال النهار في المنزل الذي خصصه لي القائمقام.

الأربعاء 29 من مايو 1822م

في صباح هذا اليوم امتطيت بعيري لكي أذهب لمشاهدة معبد سيسي الذي يبعد عن كوكا حوالى فرسخين ناحية الشمال. وفي حوالى خمس وأربعين دقيقة وصلت إلى هذا المعبد، وانتهيت من عملي قبل منتصف النهار ذلك لأن هذه الأطلال لا تستحق أكثر من ذلك الوقت. لذلك أرسلت إلى ترجماني وطلبت منه أن يُحضر معه الإبل. وظللت في انتظاره لكي أذهب في المساء إلى قرية حنديكا . لكنني ظللتَ أنتظر حتى المساء، فلم يحضر الترجمان ولا الجمال، ولهذا امتطيت بعيري لأبحث عنهم. وفي الطريق رأيت الإبل وهي قادمة نحوي وكان سبب التأخير هو أن المرشد الذي كان يفترض أن

---

[1] . أحياناً يطلقون عليها سيسيبي .

يقودهم إلى سليمة كان لديه حاجة عند أحد الناس في قرية كوكا. وهذا الشخص هو الشيخ عبد الله شيخ العربان القراريش[1] وهي قبيلة مثل قبيلة الكبابيش. فتوقفنا عند توندي.

ما يسمى بسيسي هي قرية قديمة على أحد الجبال المنعزلة على ضفاف النيل. هذه القرية كانت قائمة منذ الحقبة المسيحية. في الجهة الجنوبية الغربية للقرية يوجد موقع أثري فيه أطلالٌ لمعبد يقبع في أسفله أربعة أعمدة ضخمة وغير متناسقة في الشكل وبالية بفعل الزمن. وجدت آثاراً لكتابة هيروغليفية منحوتة نحتاً جيداً وبأسلوب جميل. كل الأعمدة لها تيجان في شكل سعف النخيل، وتقف على أرض مرتفعة لأن المعابد عادة تبنى في مواقع مرتفعة . وبالقرب من هذه الأعمدة هناك بقايا من قطع لمعبد متناثرة هنا وهناك. يقع هذا الصرح في الزاوية الشمالية الغربية لسور كبير مربع من الطوب الأخضر كأنه كان يحوي مدينة بداخله، ولكن لم نجد منها سوى أطلالها [2]. ووجدت بابين ، أحدهما في الناحية الغربية وهو مبني من الحجارة ، تماماً مثل الباب الذي في الناحية الجنوبية ولكن لم أجد باباً في جهة السور. من ناحية أخرى توجد أبوابٌ في الزاوية الجنوبية الغربية والناحية الجنوبية، والزاوية الجنوبية الشرقية. هناك في الجهة الجنوبية الشمالية للمعبد فسحة بينه وبين السور ليس بها أنقاض، وأعتقد أنها كانت حوض مياه كالذي شاهدته في أرمنت في مصر. ولم أجد غير هذه الاثار شيئاً جدير بالملاحظة في سيسي.

الخميس 30 من مايو 1822م

تحركنا من هذا المكان في الصباح الباكر. وبعد ساعتين من السير مررنا بقرية قُرقُدْ وسلكنا طريقاً قاحلاً وقبيحاً يسمى بعقبة برج عبد الله. بعد منتصف النهار وصلنا

---

[1]. قبيلة القراريش تنتمي من بعيد للعبابدة. يمتهن معظم القراريش مهنة رعي الإبل والقطعان في الصحاري غرب دنقلا. هناك مجموعات أخرى منهم استقرت في جزيرة أرقو.

[2]. الآثار في سيسي تمثل معبد ومدينة مصرية من زمن الدولة الحديثة.

إلى قرية صغيرة تسمى قامبو[1] وتوقفنا بها. مما أدهشني أن رجلاً قادماً من السكوت أخبرني بأن السيد كايو ذهب إلى سليمة. وحسب الوصف الذي أعطاني إياه ومن خلال وصفه للسيد كايو ومسيره لم أشك في كلامه. أما استغرابي فناتج من أن كايو لم يمر بدنقلا. فأنا أعرف جيّداً طباع كايو، فهو مثل علماء الآثار المصرية في الطباع، ولكن الذي أستغرب له أنه لم يتحدث يوماً عن سليمة ولم يكن يوماً يفكر في الذهاب إليها. بل لم يكن مدركاً أن هنالك مكاناً بهذا المسمى . وهذا يصدق على أطلال مروي ؛ فهو لم يذكرها أيضاً، فقد رجع دون أن يراها مما جعلني أعتقد بأنني إذا لم أوضح له الطريق إلى كابينا لما استطاع الذهاب إليها. فاغتظت لاستخدام بعض الناس لمعلومات عن مناطق لم يزورها البتة ويوهمون الآخرين ، زوراً وبهتاناً ، بأنهم اكتشفوا هذه المناطق.

الجمعة 31 من مايو 1822م

غادرنا باكراً في هذا اليوم. وبعد أربع ساعات وصلنا إلى أطلال بالقرب من صولب التي كنت قد رأيتها من الجهة الأخرى من النيل. وعندما وصلنا إليها رأيت بعيرين فعرفت أنهما للسيد كايو. وبالفعل وجدته هنا. فكان غاضباً مني ولهذا السبب ترك لي خطاباً عند القائمقام في جزيرة صاي يؤنبني فيه لأنني خدعته ، حسب زعمه. فطلبت منه أن يمهلني قليلاً لأوضح له الأمر لأنني لم أكن مخطئاً في شيء، بل على العكس هو الذي استفاد من المشروع الذي أوصلته له ليستفيد منه في الذهاب إلى سليمة. وأوضح لي بأن غضبه هذا كان عقاباً لي لتصرفاتي تجاهه . وطلبت منه أن يشرح لي ذلك، فقال: عندما طلبْتَ منّي في البركل أن أعطيك رسومات للحردان وطلبْتُ منك أن ترسل لي رسومات لأحد أعمدة المصوَرات وفعلت ذلك، وأرسلت لي كروكي لعمود فيه أخاديد ظاناً أنها تهمني. وأضاف أنه لم ينظر في الرسومات إلا بعد أن غادرني، واكتشف بأنها لم تكن الرسومات التي يريد. وأخبرته بأنني لم أتعمد ذلك بل كان مجرد خطأ. لهذا أتى على جناح السرعة إلى سليمة لكي يخبرني بذلك. في النهاية أخبرته أنني

---

[1] . بالقرب من تيناري.

لم أقصد أن أعطيه معلومة مضللة ولا أرفض أيضاً تزويده بهذه الرسومات. وعندما أرسلت له الرسومات التي طلبها كنت أقصد أن أوضح له حسن نيتي تجاهه، وكان الرسم يخص عموداً تحيط به أشكال في الأسفل. وأعطيته في الحال الرسومات التي يريدها وأرجع لي الرسم الآخر. ثم أوضح لي بأننا يجب أن نتصالح لأنه أصابه ضرر كبير جراء ذهابه لسليمة ، فقد نفقت معظم إبله في الطريق، وأخرى أصابها الإعياء ولم يجد في سليمة سوى موقع سكني صغير لا يستحق كل هذا العمل الشاق الذي قام به. ونصحني بعدم الذهاب ولكن بما أنني أشك في صدق حديثه لم أتخذ قراري في الحال.

في المساء ذهبت للمنزل الذي خُصص لي بالقرب من النيل ووضعت فيه أغراضي وبدأت العمل في هذه الأطلال.

السبت الأول من يونيو 1822م

واصلت عملي طيلة نهار هذا اليوم وضحكت كثيراً لاهتمام السيد كايو بالمكان الذي يود الذهاب إليه بالرغم من أنني قمت بإنهاء العمل حوله. هذه المناظر التي أعطيته إياها لا تحتاج لكل هذا الاهتمام. دون تخمين ولا حدس يمكنني القول بأن هذه الرسومات ستكون أجمل رسومات تحَصلَ عليها في حياته. غادرني في المساء بعدما تناول معي وجبة العشاء.

الأحد الثاني من يونيو 1822م

لم أواصل العمل خلال هذا اليوم لشدة الرياح.

الاثنين الثالث من يونيو 1822م

انتهيت من أعمالي قبل منتصف النهار ولكن بسبب رداءة الطقس والرياح الشديدة أجلّت المغادرة للغد. هذا الصرح الذي يطلق عليه أهالي المنطقة جيورجيا يرجع اسمه لقرية صغيرة بالقرب منه. والأجانب يطلقون عليه صولب وهو اسم المنطقة التي يقع فيها، وهي منطقة توجد بها آثار جميلة بالقرب من النيل.(اللوحة 7) . هذه الأطلال

لمعبد كبير مهدم تماماً ولذلك لم أستطع أن أتبين طرازه ولا جماله. والأعمدة القليلة المتبقية منه تبدو مرتفعة قليلاً وهي ذات أحجام كبيرة وجميلة ومبنية من الحجارة المتراصة والتي تعد من أعظم وأكبر الحجارة التي شاهدتها في كل صروح إثيوبيا.

يشاهد أمام المعبد شارع عريض به عدة تماثيل لأبي الهول. كما شاهدت تمثالين آخرين لأبي الهول من الجرانيت الضارب للزُرقة. وأمام هذا الشارع أيضاً حائطٌ كبيرٌ قد يكون لبوابة أو ربما هو حائط لسور. مهما تكن وظيفة هذا الحائط إلا أن هنالك بداخله حجرتان قد تكونان مطبخ، ولكن لم يبق من هذا الشيء سوى قطعة صغيرة. تمثالا أبي الهول الموجودان خلف الحائط وجهيهما متجهان ناحية المدخل بدلاً من أن يتجها إلى الناحية الأخرى. من جانب آخر هناك أمام هذه الصروح عمودٌ وتمثالان لأبي الهول ، وخلف هذين التمثالين يقف تمثالان ضخمان لنسرين قطعا من الحجر. وهما النموذجان الوحيدان اللذين تعرفت عليهما من هذا النوع. أما المباني الموجودة في الخلف فهي مهدمة تماماً، ولم أستطع تمييز شيء فيها. أما البوابة فهي من الأنواع الكبيرة وتغطيها أشكالٌ لقرابين ولكنها مخربة تماماً ويصعب رسمها. أما الجانب الأيسر من هذا العمود فمرتفع قليلاً وتزيّنه بعض الأشكال الزخرفية ولكن زخرفتها غير واضحة تماماً لصغر أحجامها ولذلك لم أستطع أن أحدد لأيٍّ نوع من الزخارف تنتمي. أما الجانب الأيمن فمهدمٌ تماماً.

يوجد أمام العمود الذي على الجانب الأيسر رواق دائري بفناء مربع، أما الأعمدة الأخرى فهي مخددة وعليها تيجان على هيئة براعم اللوتس. وهذا العمود يمثّل باقة من زهرة اللوتس. هذه الأعمدة تنتمي للأنماط التي شاهدتها في معبد أمون بطيّبة، لكنها متناسقة بطريقة جيّدة. في كل واجهة من واجهاتها لوحٌ عليه كتابة هيروغليفية. هذا الرواق فيه صف واحد من الأعمدة عدا وسطه ففيه عمودان. أما قمم تيجانه فمزيّنة بخرطوشتين ورخمين طائرين يحميان الخرطوشتين بأجنحتهما. هذا الرواق يتصل برواق آخر بباب في محور المعبد. الرواق الآخر لم يبق منه سوى جانبه الأيسر حيث توجد به مجموعة من المنحوتات. هذه المنحوتات عبارة عن تماثيل صغيرة في شكل قرابين يصعب تمييزها. الرواق الثاني أكبر وأضخم من الأول وبه عدد من الحجرات

على كل جانب ولكنه مهدم تماماً كما ذكرت من قبل. ومن الملاحظ أن كل شيء في هذا المكان منقلبٌ رأساً على عقب. ربما حدث ذلك بفعل زلازل أرضية أو انفجار، ومعظم قواعد هذه الأعمدة قد زالت وحلت مكانها الرمال من كل جهة. ومن جانب آخر فإن معظم دعائم الصروح المصرية مبنية من اللبن، وزوالها لم يدهشني كثيراً لأن هذه الصروح تعرضت للهواء والأمطار والأعاصير المحملة بالرمال، وبعد أن دمرت بقيت الرمال في أماكنها. أعمدة هذه الأروقة شبيهة بسابقتها لكنها ذات قواعد عريضة بعض الشيء.

وبعد هذا الرواق هناك رواقٌ آخر بقي منه اثنا عشر عموداً، ثلاثة منها فقط بحالة جيّدة. هذه الأعمدة طرازها مختلف وليس لها أخاديد. لا يوجد شيء خلف هذا الرواق، ومع ذلك فإن هذا لا يعني أن المعبد قد انتهى هنا. فهناك في الجهة الشمالية الغربية منه حجارة كبيرة الحجم وبقايا لسور وبعض الحجارة المنحوتة موضوعة في شكل دائرة كأنها فوهة بئر. كل ما شاهدته من أعمدة وحجارة وغيرها لا يؤكد لي أن هذا المعبد كان مكتمل البنيان أو كان تحت التشييد.

على ضفاف النيل وأمام هذا الصرح يّشاهد أثرٌ لطريق معبد يتجه تجاه النهر.[1] والأنقاض الكثيرة حوله تؤكد أنه لم يكن معزولاً بل كان في وسط مدينة عظيمة. هذا المعبد على النمط المصري وكان عظيماً من حيث كبر حجمه وكذلك الرسومات التي على جدرانه. هنالك قليل من الزخارف لكنها باهتة وأشكالها متعددة وصغيرة. الأحجار التي استخدمت في بناء هذا الصرح كانت من الأحجام الكبيرة والمنحوتة. ومن الملاحظ أيضاً أنه لا توجد أحجار صغيرة داخل الأسوار كما شاهدت في الصروح الأخرى من قبل. يبدو أن هذه المدينة كانت وسط أراضٍ زراعية وأشجار نخيل بالإضافة إلى أن هذا المكان تلتقي فيه عدة طرق بعضها يؤدي إلى النيل والبعض الآخر يؤدي إلى دارفور ودورنو وإلى الواحات.

[1] . هناك على ضفة النيل رصيف صغير مبني من الحجارة .

الثلاثاء الرابع من يونيو 1822م

تحركنا عند فجر هذا اليوم وعندما مررنا بصولب قمنا بزيارة للقائمقام. تركت القافلة تسلك الطريق الذي يمر خلف الجبال أسفل صولب حتى مدخل النيل وهوالطريق الوحيد الذي تستطيع الجمال العبور من خلاله. أما أنا فذهبت لمشاهدة ومعاينة حفرية صغيرة في الجبال المشرفة على النيل. مدخل هذه الحفرية مهشم ويحتوي على حجرة عريضة أكثرمن أنها واسعة. وفي آخرها حجرة أخرى لكنها بدون باب[1] هي حجرة قدس الأقداس. وشاهدت بقايا ثلاثة تماثيل تجلس مصطفة في وسط الحجرة. جدران هذه الحجرة مغطاة ببعض الأشكال التي يصعب تمييزها بسبب التخريب الذي لحق بها بفعل الزمن من ناحية ، وبفعل الإنسان من ناحية أخرى. ووشاهدت لوحاً على سطح الصخرة التي تعلو هذه الحفرة ولكن صَعُبَ عليّ أن أميّز شيئاً مما يحتويه. بعد ذلك لحقت بركبي ثم توجهنا إلى صادنقا[2] وشاهدت الأطلال والعمود الذي حدثني عنه السيد كايو وتوقفت عندها لأرسمه وتركت القافلة تواصل سيرها.

يبدو أنه كانت في هذا المكان مدينة عظيمة لم يبقَ منها الآن سوى أطلال وبقايا معبد وتماثيل، وأيضاً أطلال لأديرة من اللبن تعود للعهد المسيحي. لم نر في هذا المعبد سوى عمود واحد سليم، لا هو من الطراز المصري ولا حتى من الطراز النوبي. هذا العمود يقع في مكان مرتفع تحيط به مجموعة من الحجارة ربما كانت بقايا لعمود أو أسوار. وهو على الطراز الدوري، وتاجه على هيئة رأس إيزيس. في وسط الحجارة لحظتُ إفريزاً شكله غريب ، وجه الغرابة يكمن في منحوتاته التي لا تتبع لنمط هندسي معين ، وفي أعلاه باب. قمت برسم الإفريز والباب لأنني لم أر مثلهما من قبل في حياتي.

في الناحية الجنوبية الغربية عمودان منعزلان عن أنقاض الأعمدة لا تعلوهما تيجان. يبدو أنهما لا ينتميان لهذا الصرح الموجودان فيه، وربما حملهما المسيحيون لبناء كنيسة صغيرة لم يبق منها غير أساسها. في أسفل هذين العمودين قطعة جميلة على

---

[1] . هذه المنحوتات مقطوعة على صخرة في جبل دوشة .

[2] . صادنقا . انظر هامش رقم 3 صفحة 14 أعلاه.

النمط المصري، وهناك أيضاً مذبحٌ من حجر أسود منحوت، وفي كل جوانبه أعلام مصرية. وهناك قطع كثيرة متناثرة من هذه المنحوتات. ويبدو أن هذا المعبد حديثٌ مقارنة مع الآثار الأخرى إذ لا توجد على جدرانه كتابة هيروغليفية.

بعد أن غادرت هذا المكان لم أتمكن من اللحاق بالركب على الرغم من أنني أسرعت في السير. فوصل الركب إلى القائمقام الذي يسكن قبالة جزيرة صاي. تعتبر صاي آخر قرية كبيرة ينبغي أن نصل إليها قبل وادي حلفا على هذا الجانب من النيل. لهذا السبب قررت أن أزور جزيرة صاي وأمكث بها حتى غداة اليوم التالي.

أظهر لنا القائمقام احتراماً كبيراً ووفر لنا كل احتياجاتنا. ذهبت أيضاً لملاقاة شيخ البلد وبعض الشخصيات التي كانت من قبل في سليمة. فالطريق إلى سليمة مرهقٌ جداً ويحتاج المسافر من هنا لسليمة إلى ثلاثة أيام من السير. وسليمة هذه عبارة عن واحة بها مياه عذبه وعُشب. أما بخصوص الأطلال فلا يوجد بها سوى منزل صغير مبني على طريقة الأعراب كانت تسكنه في الماضي جارية تدعى سليمة حيث أنها اعتكفت فيه للعبادة وسُميَ المكان باسمها. وهذه هي نفس المعلومات التي زودني بها السيد كايو ويعرفها كل العرب . لذلك آثرت أن لا أُرهق إبلي بالسفر لهذا المكان الذي لا جدوى منه.

الأربعاء الخامس من يونيو 1822م

في صباح هذا اليوم زودني القائمقام بمرشد وجياد ومن ثم انتقلنا إلى جزيرة صاي. في بداية الطريق الذي سرنا فيه كانت المياه تصل حتى الفخذ. ثم بعد أربعة أيام من السير لم يكن هنالك ماءٌ البتة. زرت كل أنحاء الجزيرة وعدت إلى القرية قبل المساء ثم جهزنا أنفسنا للمغادرة في يوم الغد.

يبلغ طول جزيرة صاي ثمانية أميال لكن لا توجد زراعة إلا على أطرافها. فهي مغطاة بأشجار النخيل في الجهة الشمالية والجنوبية الشرقية. أما الجزء الجنوبي من الجزيرة فمسطح وتغطيه الرمال. في وسطها جبل متوسط العلو، وشاقٌ وجاف كحال المنطقة بأسرها. هذه الجزيرة مأهولة بالسكان ومبانيها جميلة ، وعلى أطرافها أماكن

للصيد، خاصة صيدِ الغزلان التي تقطن هذه الأماكن ، وهي غالباً تقصد النيل لأن الجهة الغربية قاحلة وجافة. هذه الجزيرة كانت مأهولة بالسكان منذ القدم ، يشير إلى ذلك ما شاهدناه فيها من صروح مصرية ومسيحية وإسلامية.

تقع القلعة على الشاطئ الشرقي للنيل بين الجبل والطرف الشمالي للجزيرة (اللوحة 6) واضح أن الجزيرة تقع في موقع أثري على شاطئ النيل، لأن هناك أطلالاً للمدينة وقطعاً متناثرة لصروح ذات طراز مصري. تحيط بالقلعة أسوار عالية مبنية من اللّبِن مزودة بأبراج. داخل هذه الأسوار مجموعة من المنازل جيّدة التشييد ولكنها منخفضة مقارنة مع الأسوار العالية. من الملاحظ أيضاً ظاهرة المخابئ وهي مشهورة في ذلك الزمان وتنتشر في مصر أيضاً، وكان الناس يستخدمونها للاختباء في وقت زيارات مسؤولي الحكومة حتى لا يرونهم.

يقع باب هذه القلعة في الجهة الجنوبية وهو في شكل حجارة متراصة، وداخل القلعة أنقاض لمعبد. في وسط هذه الحجارة أجزاء متناثرة لتمثالين، ويبدو من منظرهما العام أنهما كانا مصنوعين بطريقة جيدة. تتمثل بقية المعبد في قطع من الأعمدة التي ما زالت ثابتة في مواقعها. عثرنا على قطع صغيرة منها في أحد المنازل بما يشير إلى كبر مساحته. في جنوب المدينة أو القلعة ووسط هذه الأنقاض شاهدنا بقايا قطع لمعبد من الحجر. وقد وضح لنا أن المحاجر التي كانوا يأخذون منها حجارة البناء تقع على ضفاف النيل.

الآن هناك جانب من هذه القلعة بحالة جيّدة، استغله شيخ مُسِن كمنزل منذ طفولته . شيدت هذه القلعة حسب روايات أهل المنطقة في عهد السلطان سليم [1] إبَان حملاته على المنطقة، وقد شاهدت اثني عشر مدفعاً تعتبر علامات للسلطان سليم، وكلها من العيار الصغير ووصل عددها في عهد الباشا إلى 31 مدفعاً. وأخذ بعضٌ منها إلى دنقلا وإلى مناطق أخرى وبقي منها القليل. ولكن أهالي الجزيرة صنعوا من حديد هذه المدافع آلاتٍ زراعية استغلوها في فلاحة الأرض. يَدّعِي أهالي هذه الجزيرة أنهم

---

[1] . السلطان سليم الأول (1467- 1520م) ، معروف عنه إرساله قوة من الجنود البوسنيين سنة 1520 وصلت حتى جبل البركل.

ينحدرون من سلالة ألبانية. وشيخهم يُسمَّى وردي وكان يمتعض كثيراً عندما لا ننعتهم بألقاب النبلاء الألبانيين. جدير بالملاحظة أن لونهم ليس داكناً كبقية النوبيين.

هذه الجزيرة مليئة بالأديرة والكنائس ولكن تقريباً كلها مهدمة باستثناء دير واحد. آثار أخرى جديرة بالملاحظة هي: أربعة أعمدة من الجرانيت رديئة النحت تقبع في شمال الجزيرة.

الخميس السادس من يونيو 1822م

تحــركنا قبل ســاعة من طلوع الفجــر، وعند منعطف النيل عند العمارة ضللنا الطريق بالرغم من المرشدين اللذين يصطحبوننا، وسبب ذلك الرياح الشديدة، فقد امتلات أعيننا بذرات الرمل وصعب علينا تمييز الطريق. بعد سكون هذه الرياح سلكنا الطريق الصحيح وهو ممر ضيق وسط جبال. بعد خروجنا من هذا الممر ضللنا الطريق ثانية بسبب الرمال الكثيفة التي غطت هذا الطريق. وفجأة وجدنا أنفسنا أمام جبل شاهق في شكل هرم يقع أمام قرية موقراكة. مررنا من خلفه فوجدنا أنفسنا بعيدين من النيل وحاولنا أن نسلك طريقاً يؤدي مباشرة للنيل. تابعنا هذا الطريق حيث تعرجات الشاطئ المتداخلة وفي نهاية الأمر وصلنا إلى النهر ووجدنا أشجار السنط والدوم وجلسنا تحت ظلالها، وفي الحقيقة رغم سيرنا حوالى إحدى عشرة ساعة لم نتجاوز موقراكة كثيراً.

لحسن حظنا أن محمد الترجمان اصطاد غزالاً في المساء فتناولنا وجبة العشاء واحتفظنا بلحمٍ طريٍّ إلى الغد.

الجمعة السابع من يونيو 1822م

تحركنا قبل طلوع الفجر وسلكنا طريق الجبال وضللنا الطريق مرة أخرى . وبعد الساعة الثالثة بعد الظهر وصلنا إلى أكما حيث شاهدنا عدة منازل وأشجار نخيل. وبعد ساعتين من السير وصلنا إلى مكان يُسمَّى حمَّام وهو عين للمياه الحارة. هذه المياه تخرج من الجبل وتنساب في النيل. تبلغ درجة حرارتها أكثر من 160° ورائحتها نفاذة بسبب مادة الكبريت، والحجارة الموجودة في هذه المياه يغطيها الرِكاز. أهالي هذه

المنطقة يعتبرون هذا الحمام شيئاً مقدساً ويستحمون فيه من أجل الشفاء من الأمراض. هذا الحمام ، مثل مدفن الشيخ في الجانب الآخر من النيل ، مشهور جداً على الرغم من أنه بعيد من هنا. الصحراء التي عبرناها في اليومين السابقين كانت مليئة بجبال صغيرة من الحجر الرملي وأحياناً من الجرانيت. لكن في الماضي كانت مغطاة بجبال شاهقة وكثبان رملية يصعب على الجمال السير فيها إلا بشق الأنفس.

السبت الثامن من يونيو 1822م

تحركنا قبل طلوع الفجر في هذا اليوم وسلكنا طريق الجبال وضللنا الطريق كما فعلنا من قبل. وبعد الساعة الثالثة بعد الظهر وجدنا أنفسنا نبعد أكثر من فرسخين عن النيل، فتوجهنا إليه مباشرة. رأينا من بُعد الجبال التي تقع على الضفة الشرقية وهي تختلف في لونها عن الجبال في غرب النيل. قبل الوصول إلى النهر مررنا بطريق ملئ بالرمال ووجدنا أنفسنا وسط الجبال حيث تراكمت مياه الأمطار مكونة بركة كبيرة يأتي إليها الأعراب سكان الصحراء ليسقوا قطعانهم. ولكن عندما اقتربت من هذه البِركة اكتشفت أن ماءها قليل. ولكن الأعراب الآن قريبون من النيل. عندما وصلنا إلى النيل كنا في وادٍ تكثر فيه أشجار السنط. فعسكرنا عند قلعة تقع على شاطئ النيل، وعندما وصلنا إلى هذا المكان اختبأ المواطنون منا في هذه القلعة، وهي تعتبر المنزل الوحيد الموجود في هذا المكان، وأغلقوها عليهم وتركونا بالخارج.

تحدثت إلى هؤلاء الأهالي من خلال الباب ، وتحدثت إليّ إحدى النساء من خلال النافذة وطلبت مني ألا نؤذيهن لأنهن نساء ومعهن أطفال صغار وأن الرجال في الجانب الآخر من النيل. وعندما رأت هذه المرأة حسن تعاملنا معها فتحت لنا الباب وسمحت لنا بالطهي داخل المنزل. ولكن حدث أمر غريب إذ لم يسمح لأحد بالدخول إلى القلعة سوى الطباخ. وحاولت أن أقدم لهن بعض الهدايا ، فاشتريت لهذه المرأة عنزة صغيرة. بعد وقت قليل حضرالرجال وأظهروا لنا كل احترام. وفي المساء حضر إلينا أحد الأعراب القراريش ليبيع لي ريش نعامة كان قد اصطادها في الضفة الأخرى. واشتريت منه هذا الريش بعشرين قرشاً.

الأحد التاسع من يونيو 1822م

غادرنا بعد طلوع الشمس. السير وسط الجبال دائماً يقود إلى فقدان الطريق الصحيح. عندما وصلنا إلى إحدى القرى الواقعة على النيل قام عابدين كاشف بصناعة بعض المراكب لعبور الجنادل وتسهيل الممرات بها. في هذه القرية وجدنا مجموعات من قطعان الضأن فاشتريت كبشاً. بعد أن سرنا قليلاً وجدنا أنفسنا عند أودية صغيرة ومن ثم وصلنا لقرية سمنة (اللوحة 3) بالقرب من المعبد. غادر السيد كايو هذا المكان في الصباح. مكثت طيلة النهار أفحص هذا المعبد (اللوحة 5). وعند المساء حزنت حزناً شديداً وذلك بسبب موت أحسن جمل عندي ؛ هذا الجمل مرض عند الظهيرة ومات في المساء بمرض يسمى الرياع يصيب الحيوانات التي تعتمد على الشعير في غذائها، وكنا مضطرين لإطعامها الشعير لأننا منذ أن غادرنا دنقلا لم نجد شيئاً نقدمه لها سوى الشعير. هذا المرض يصيب صدر الجمل أو حلقومه ثم يؤدي إلى اختناقه وموته. ولكن لم يكن موته خسارة كبيرة لأن المتاع الذي كنا نحمله عليه لم يكن كثيراً فوزعناه على بقية الإبل.

الاثنين العاشر من يونيو 1822م

في هذا الصباح أكملت ما بدأت من عمل في سمنة. من قبل كان السيد بانكس قد توقف في هذا المكان. فحاولت أن أتفحص الأشياء التي لم يتوقف عندها. فحاولت أن أرسم خطة عامة وألا أخوض في التفاصيل. اتخذت مرشداً جديداً لكي يوصلني إلى وادي حلفا لأن المرشد الذي بصحبتي لا يعرف الطريق، وجهزنا أنفسنا للمغادرة في يوم الغد .

الثلاثاء 11 من يونيو 1822م

عندما غادرنا سمنة سلكنا طريقاً جيّداً يرجع الفضل في اختياره لمرشدنا الجديد. وبعد سبع ساعات من السير خلال الجبال التي تغطيها الرمال سلكنا الطريق الذي سلكه جنود مدفعية الدفتردار، فوصلنا إلى النيل حيث أشجار السنط .اشترينا عنزة من

الأعراب وكانت للأسف حاملاً واكتشفنا ذلك بعد ذبحها ولكن هذا لم يمنعنا من أكل لحمها.

الأربعاء 12 من يونيو 1822م

سلكنا طريقاً مماثلاً للطرق التي سلكناها من قبل. وبعد خمس ساعات من السير وصلنا أمام مخزن الباشا بالقرب من أكمة[1]. أطلقنا عيارين في الفضاء فجاء إلينا شخص وبمعيته مركب. ذهب ترجماني إلى المخزن ليجلب فولاً للإبل. زارني الأفندي والمعلم في منزلي وتناولا معي وجبة العشاء، وأخبراني بأن هنالك اضطرابات في مصر. هذا الخبر لم يزعجني بل أفرحني. وأخبراني أيضاً بأن الباشا كون جيشاً جديداً في أسوان من العبيد وجامعي الضرائب من البرابرة والفلاحين. وأخبرني أيضاً بأن هذا الجيش وضع تحت إمرة الأوروبيين.

في المساء مات جمل آخر وقد لا يكون الأخير، ولهذا قررت أن آخذ مركباً إلى وادي حلفا ، إن وجدت واحداً .

الخميس 13 من يونيو 1822م

تحركنا فجر هذا اليوم وسرنا بعيداً عن النيل بسبب سوء الطريق . ووصلنا إلى النهر قبالة أول جزيرة من جزر شلال وادي حلفا. ووجدنا مركباً لقائد منطقة وادي حلفا وطلبت من ترجماني أن يستأذن هذا القائد لكي يعطينا مركبه. وبعد مفاوضات معه أعطانا إياه. ولكنه طلب منا إرجاعه في أقرب وقت ممكن لأنه يستخدمه في إرسال البريد. وبعد مشاورات مع ترجماني رأيت أن لا أترك إبلي خلفي، ولذلك قررت أن أترك مركب القائد وأخذت بدلاً عنه مركباً صغيراً دون استئذان القائد. وحملنا أغراضنا على المركب وتركت إبلي مع العبادي وعبدي وأبحرنا مغادرين المكان. وبعد ساعتين من مغيب الشمس وصلنا قرية أرقين وقلت لأصحاب الإبل أن ينتظروني فيها.

---

[1] تقع أكمة بالقرب من عبكا.

الجمعة 14 من يوينو 1822م

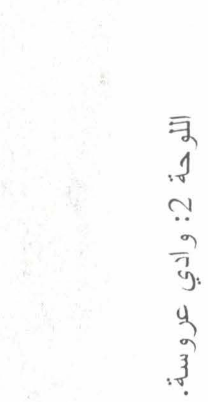
وفي اليوم التالي وصلنا إلى فرَص ووصلت إبلنا في الوقت نفسه.

الكلام التالي للمحررة السيدة مارغريت شيني:

وصل السيد لينان القاهرة في يوم 24 يوليو 1822م، وفي خضم رحلته نجا من تحطم السفينة التي كان فيها في منطقة أسوان وكان مسروراً لأن الصندوق الذي كان يحمل فيه مستنداته لم يغرق. وقد مكث لبضعة أيام في أسوان والتقى ببعض أصدقائه وزار الثكنات الجديدة للجيش وشاهد بعض تدريبات الجيش وزار المستشفى الموجود في جزيرة فيلة. أما بالنسبة لترجمانه محمد فقد تشاجر مع صهره الذي يعيش في أسوان وطلّق زوجته في الحال انتقاماً منه. في اليوم 29 يونيو 1822م غادروا أسوان مبحرين تجاه القاهرة حيث استقبلهم هنري صولت وهنأهم على سلامة عودتهم.

اللوحة 1: صفحة من يوميات لبنان.

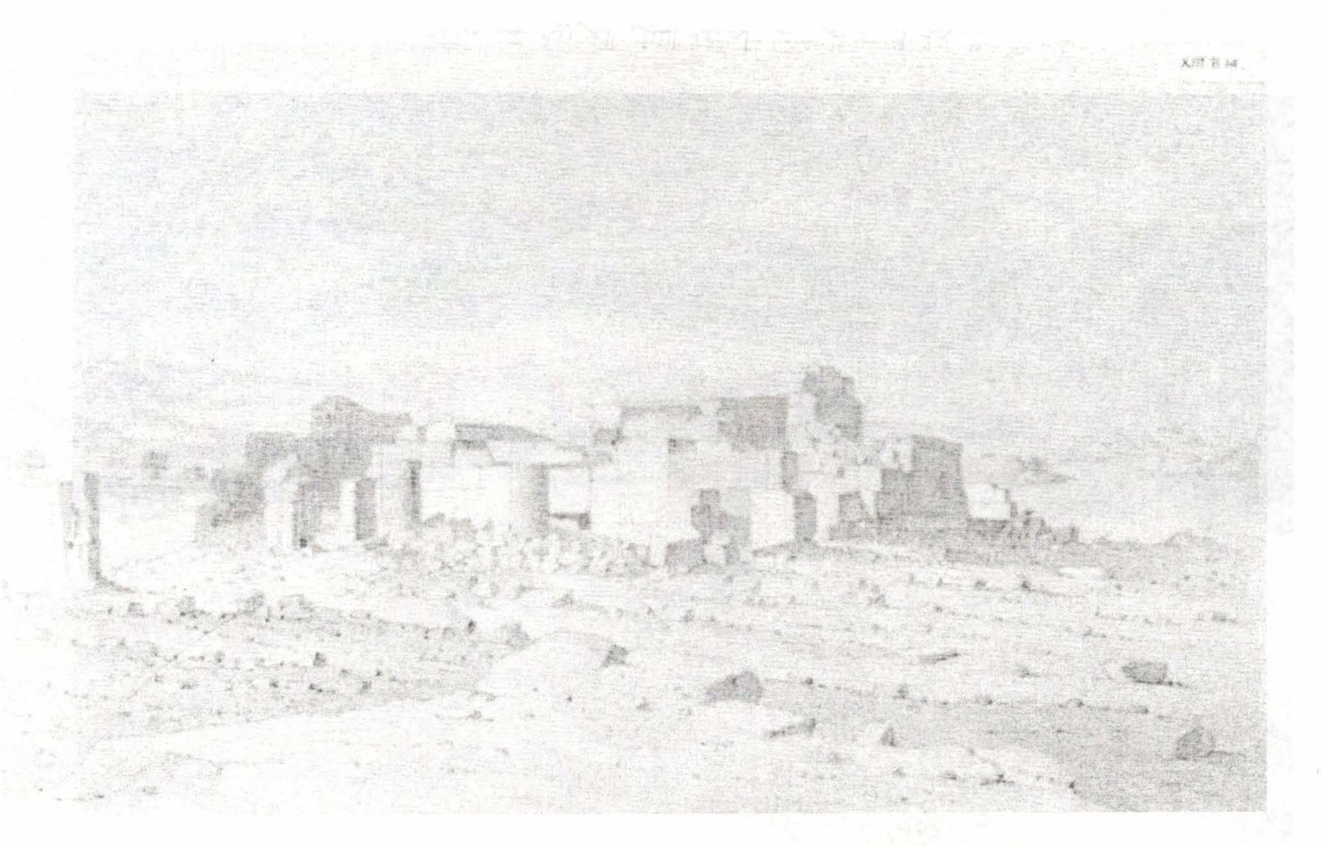




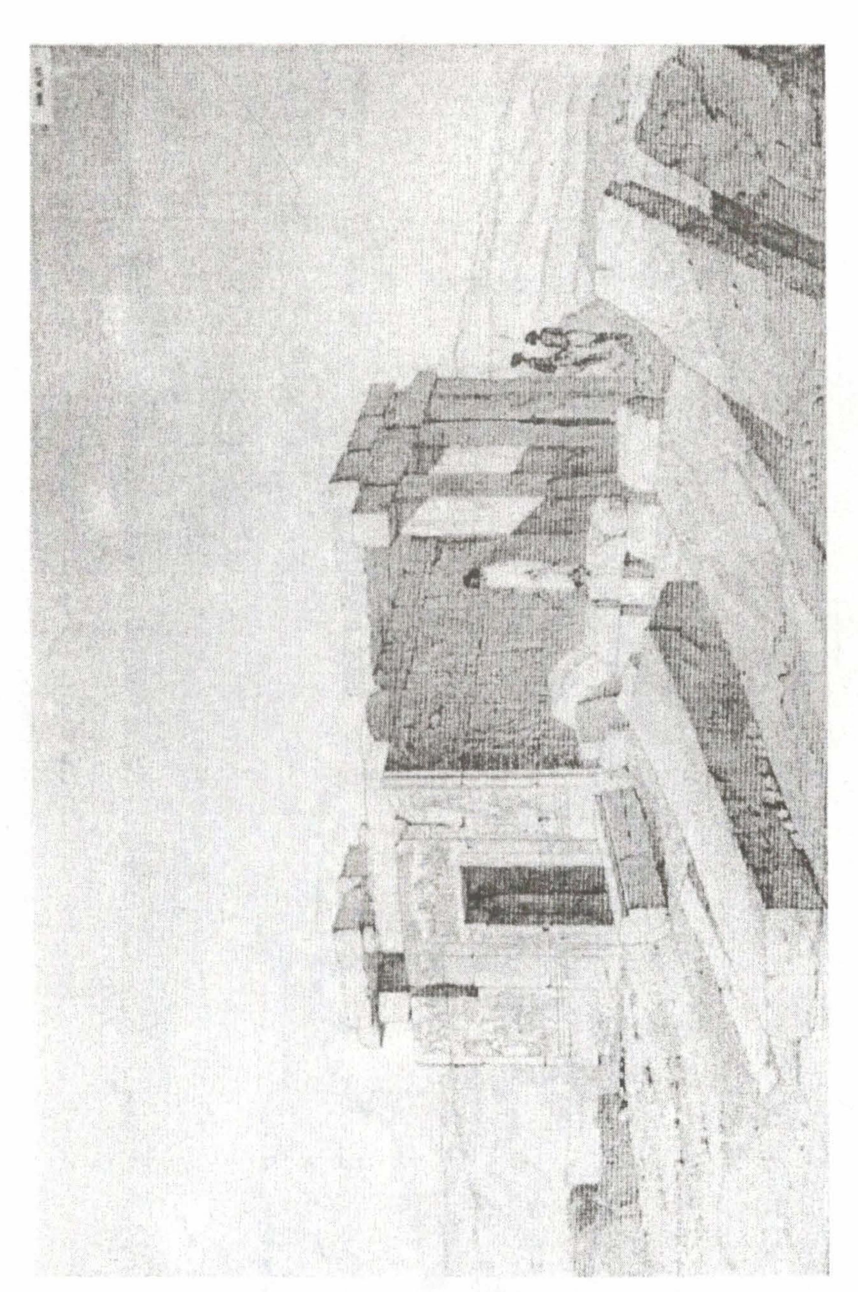
اللوحة 2: وادي عروسة.



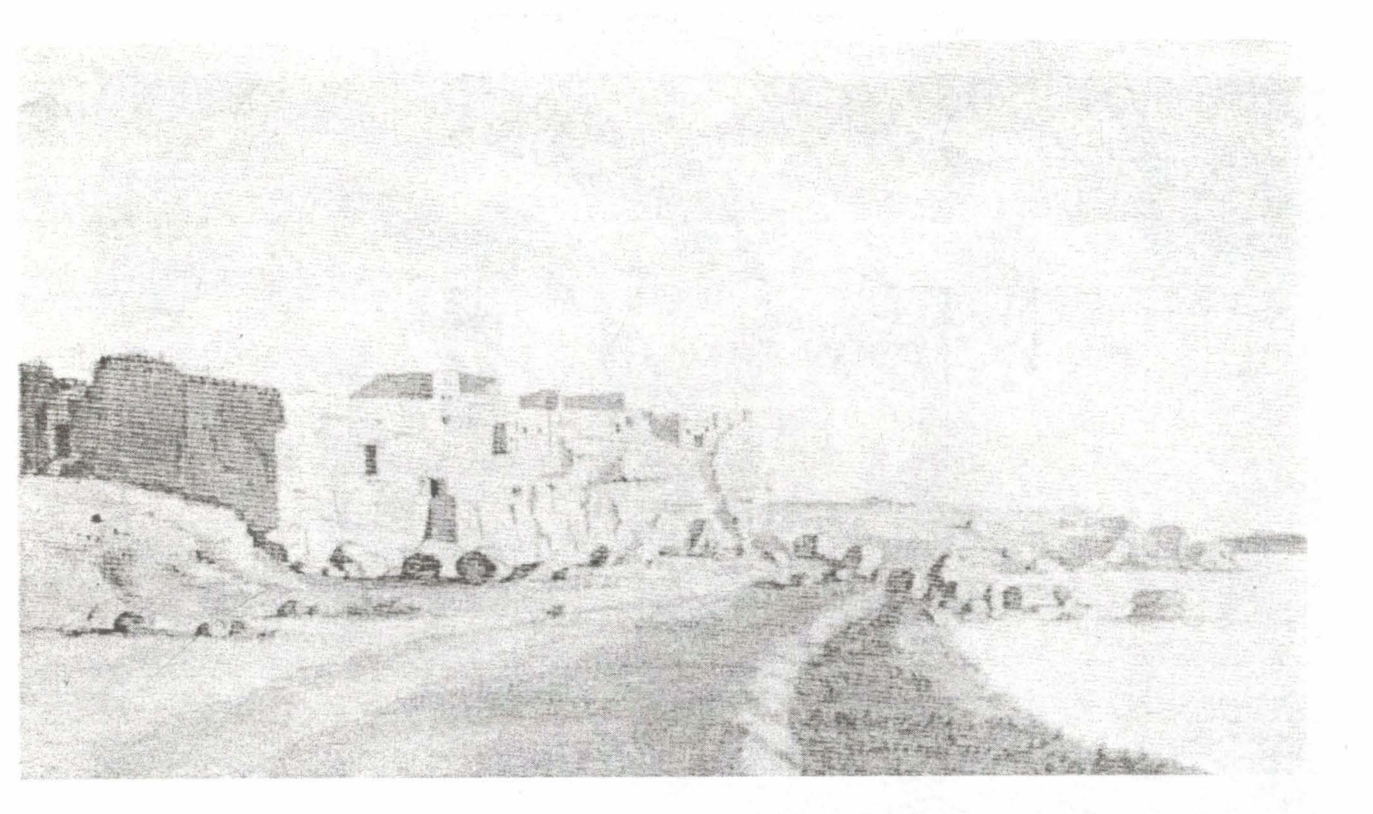
اللوحة 3: منظر عام لضفة النيل الغربية عند سمنة.



اللوحة 4: منظر عام لضفة النيل الغربية عند سمنْة.



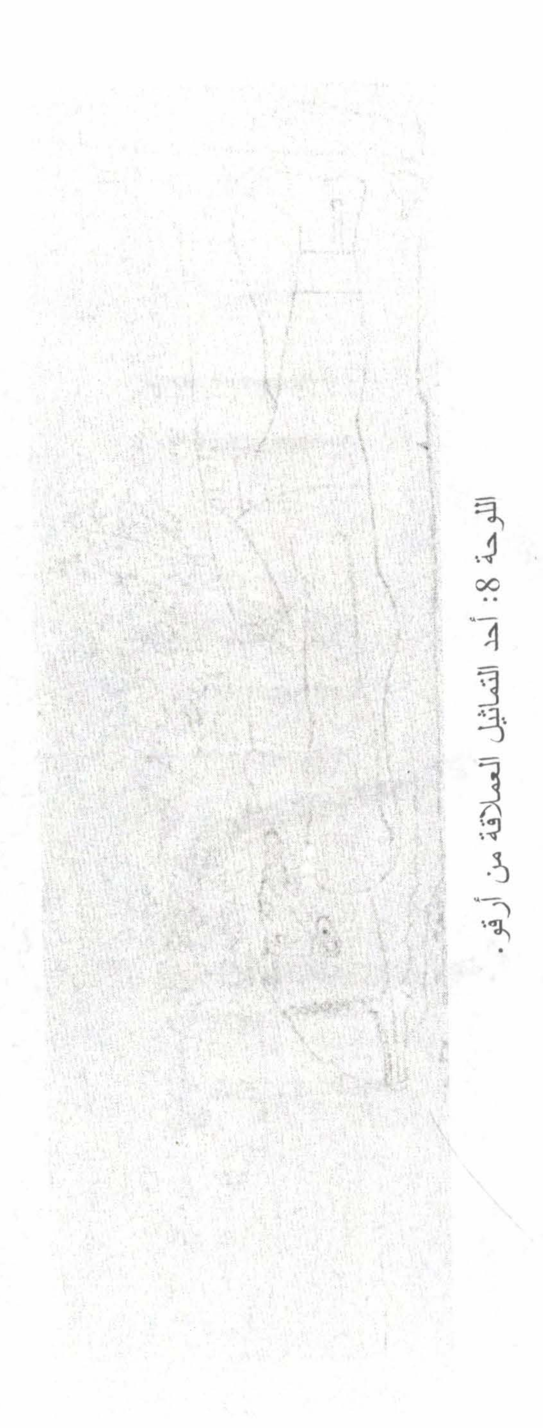
اللوحة 5: منظر للمعبد، الضفة الشرقية، سمنة.



اللوحة 6: القلعة في جزيرة صاي.



اللوحة 7: معبد صولب.



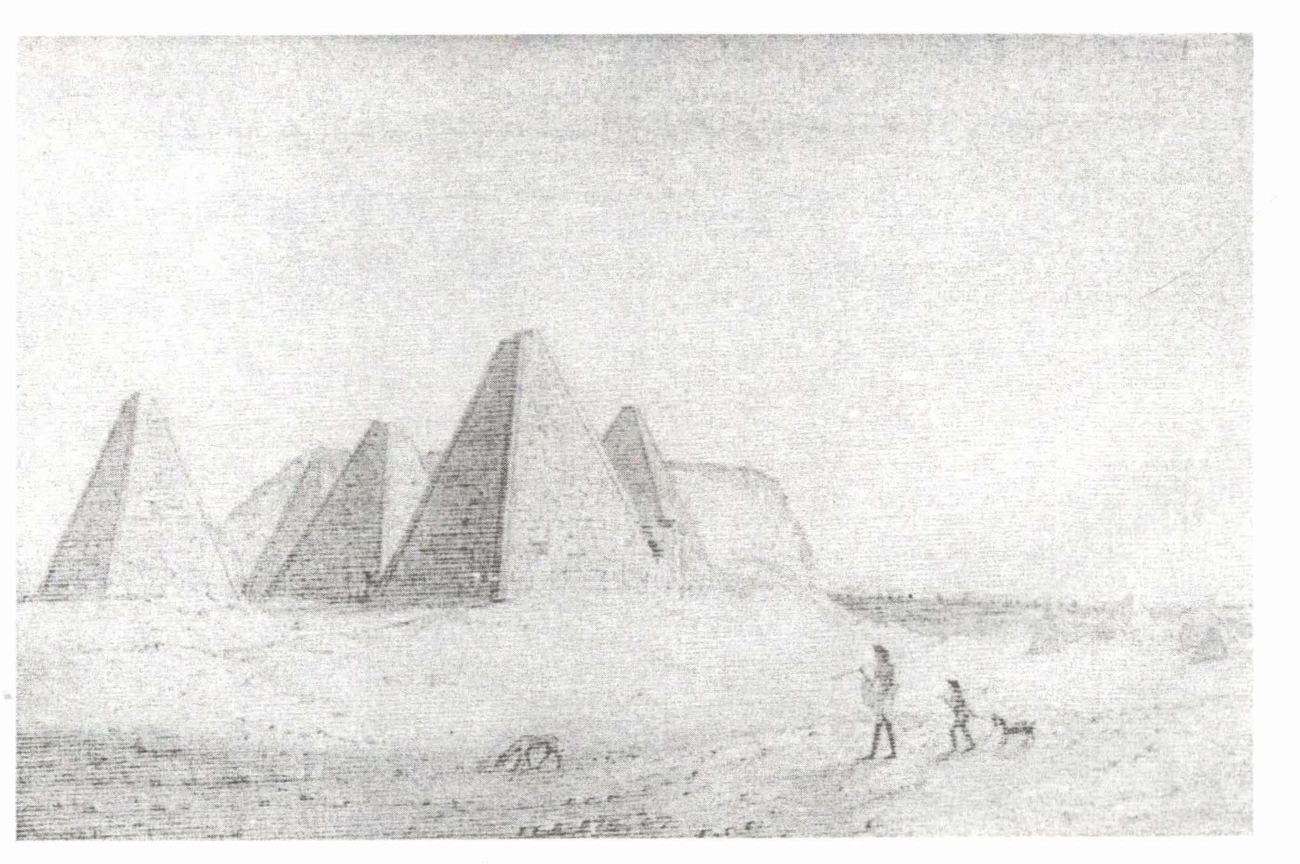
اللوحة 8: أحد التماثيل العملاقة من أرقو.



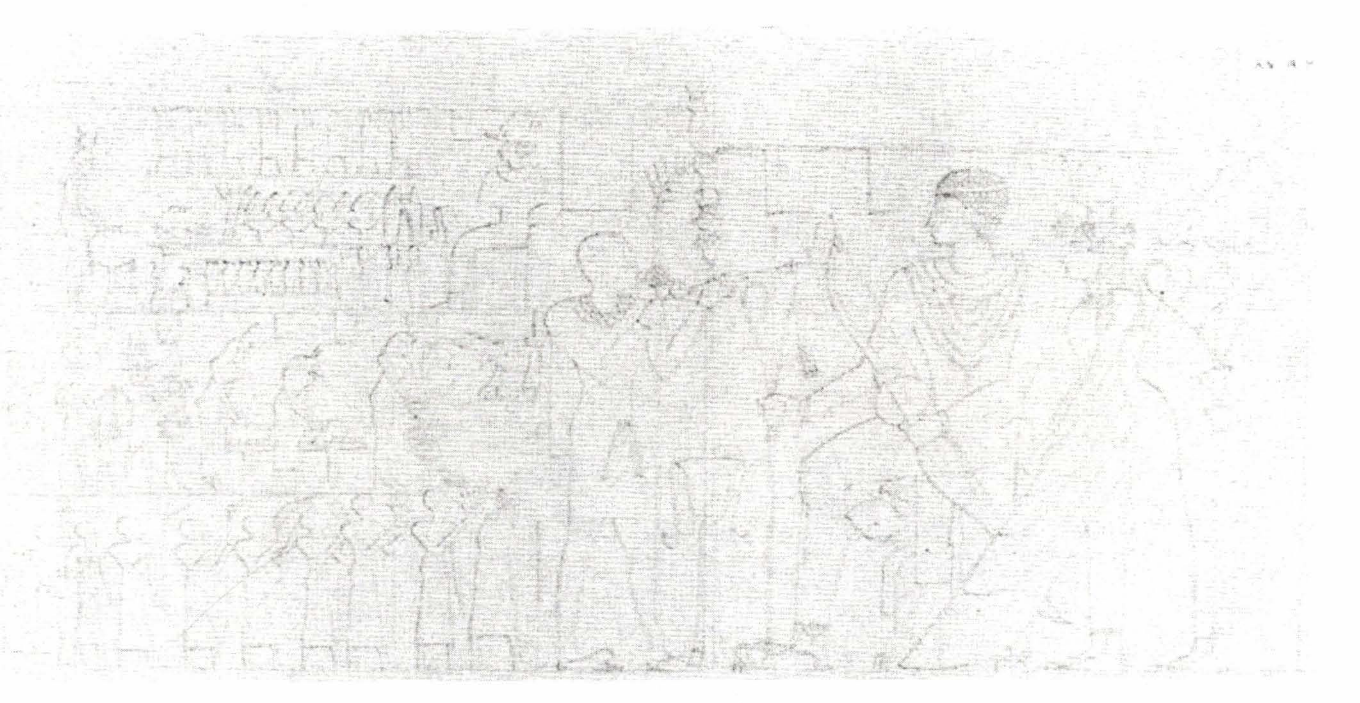
اللوحة 9: قلعة الدفار.



اللوحة 10: قلعة حتّاني.



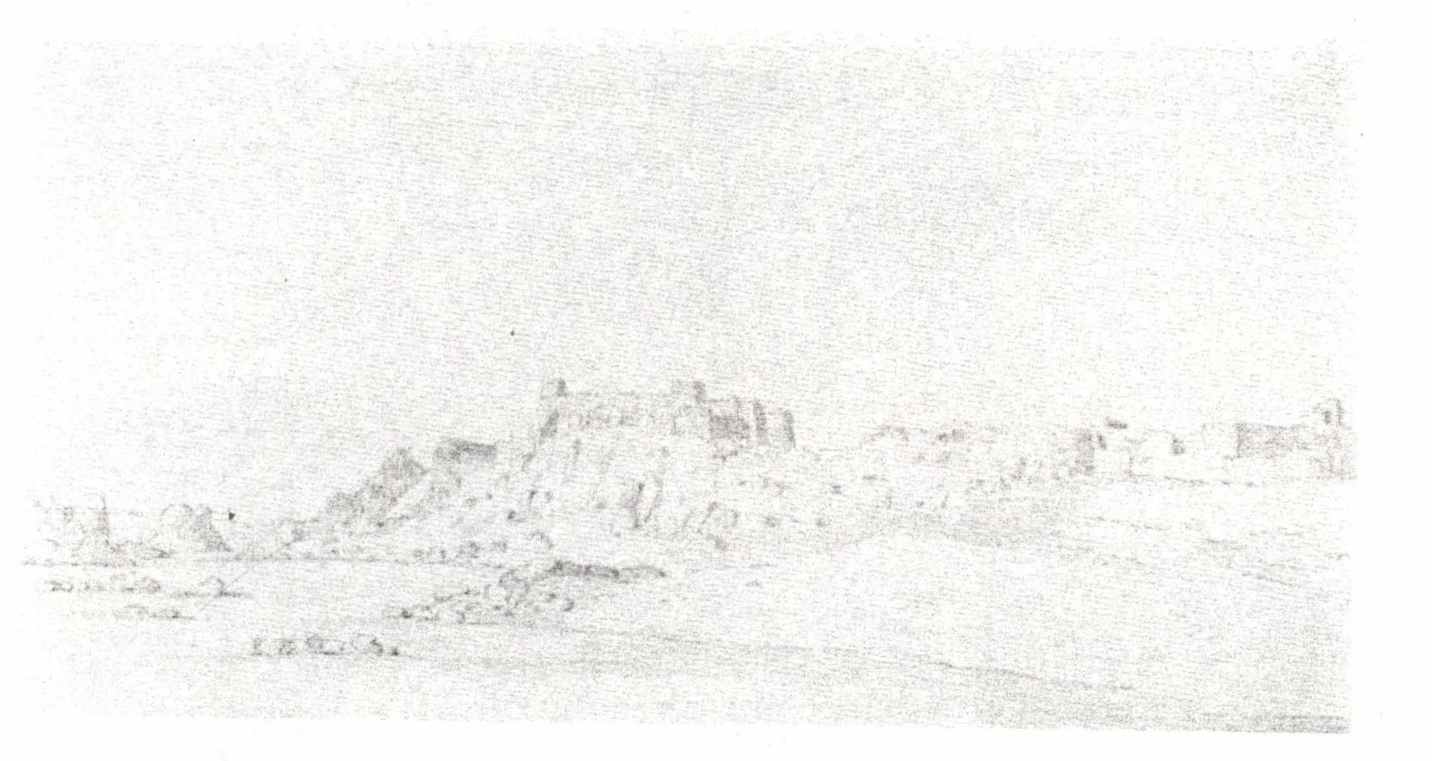
اللوحة 11: منظر المجموعة الشمالية من الأهرامات، جبل البرْكل.



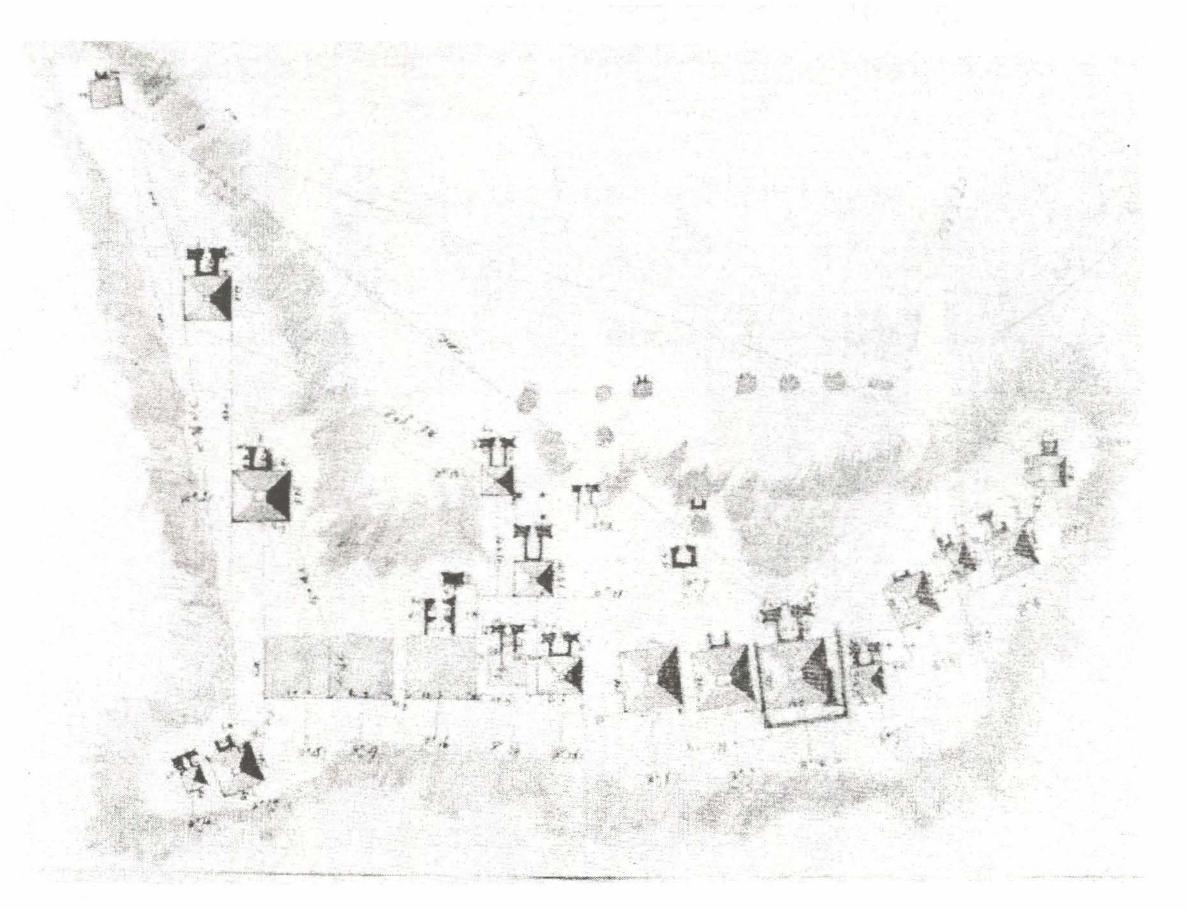
اللوحة 12: منظر منحوت على جدران مقصورة أحد الأهرامات في جبل البرْكل.



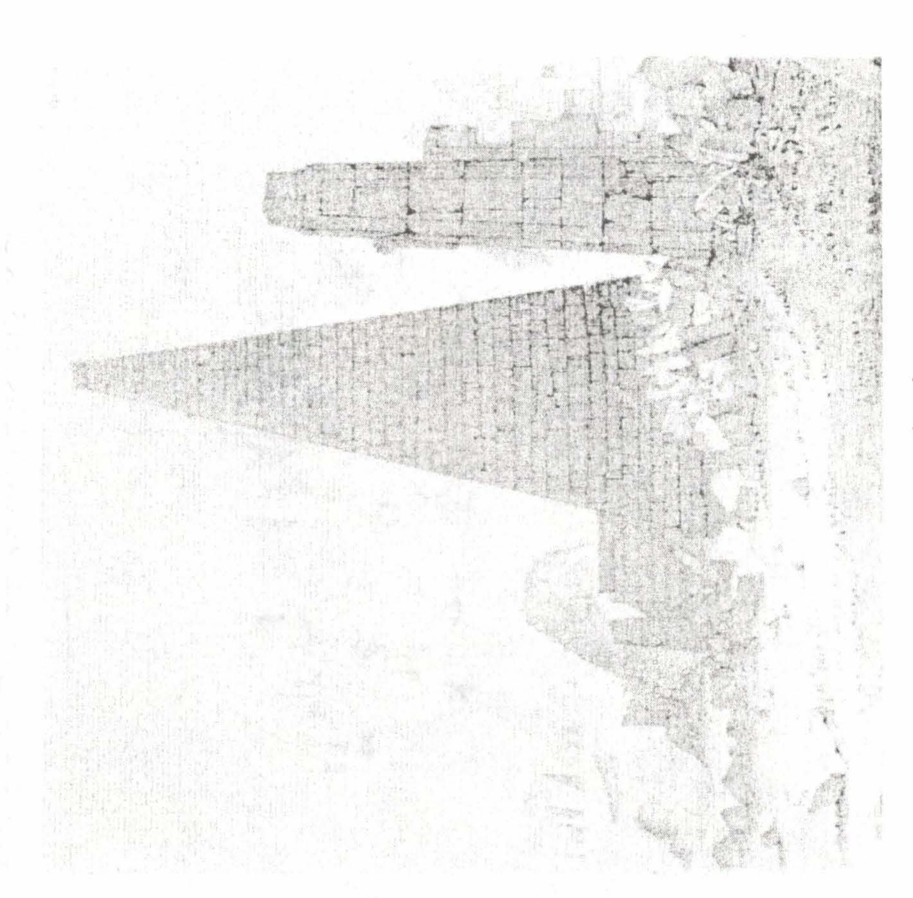
اللوحة 13: خرّائب معبد في جبل البرْكل.



اللوحة 14: قلعة الكاب.



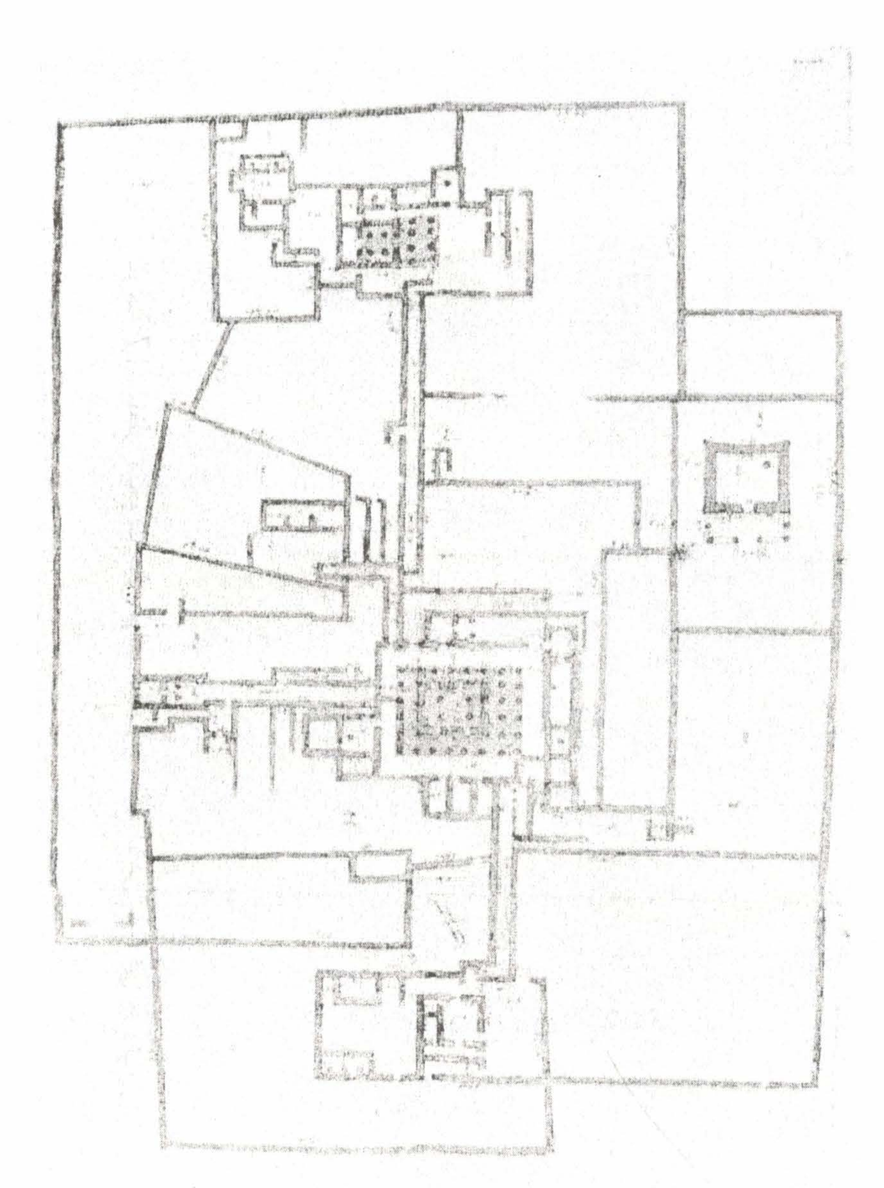
اللوحة 15: مخطط المجموعة الشمالية من أهرامات مروي (البجراوية).



اللوحة 16: أحد أهرامات المجموعة الشمالية



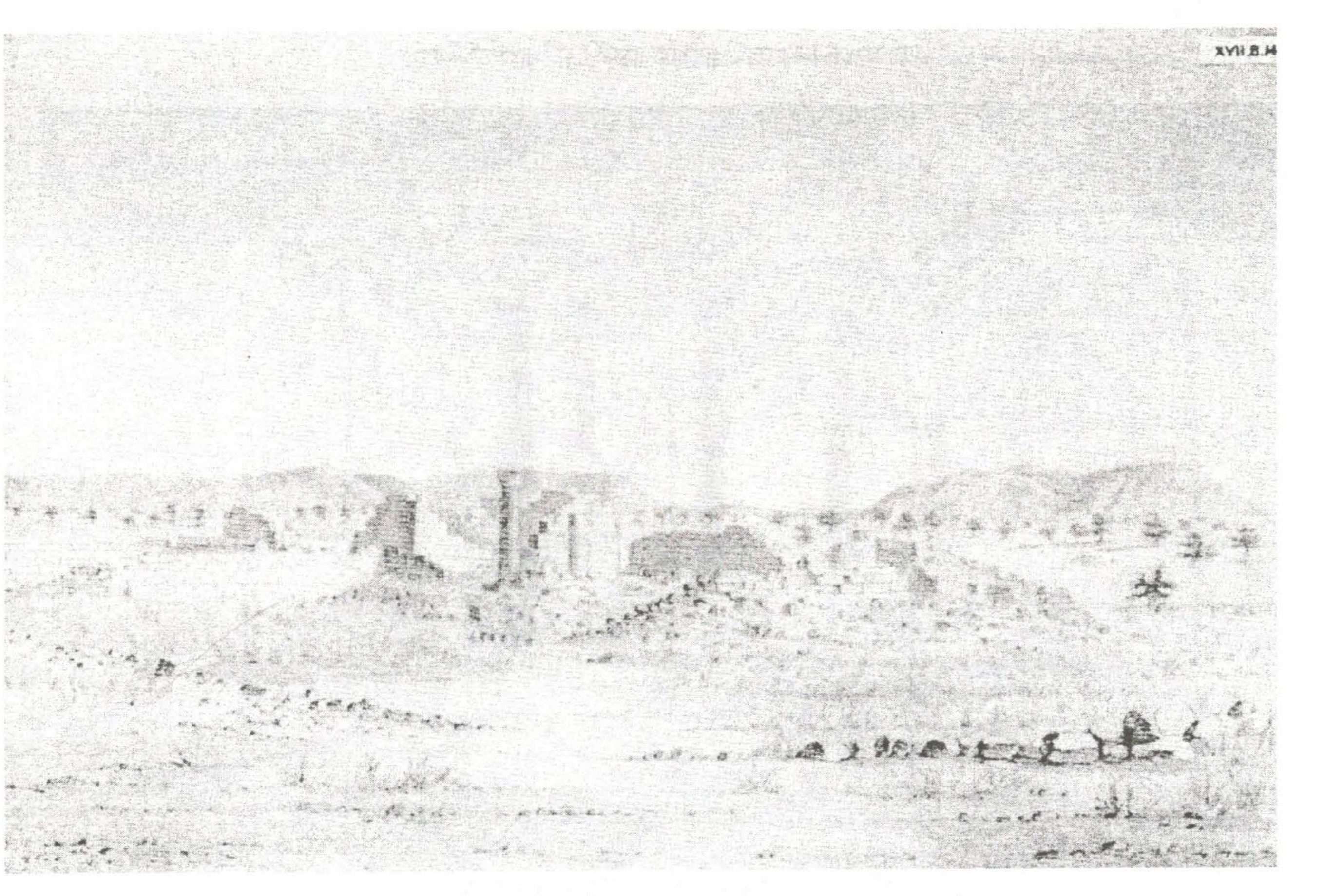
اللوحة 17: منظر منحوت على حائط مقصورة أحد الأهرامات في مروي.



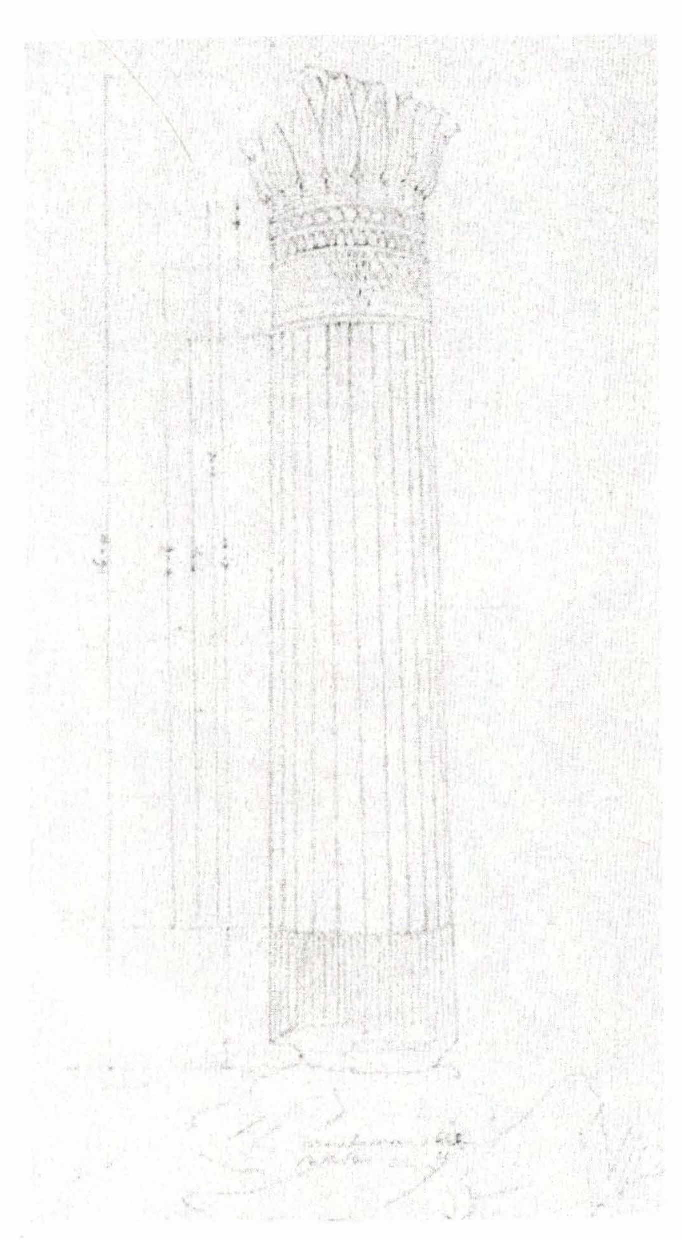
اللوحة 18: مخطط لحوش المعبد الكبير في المصورات.



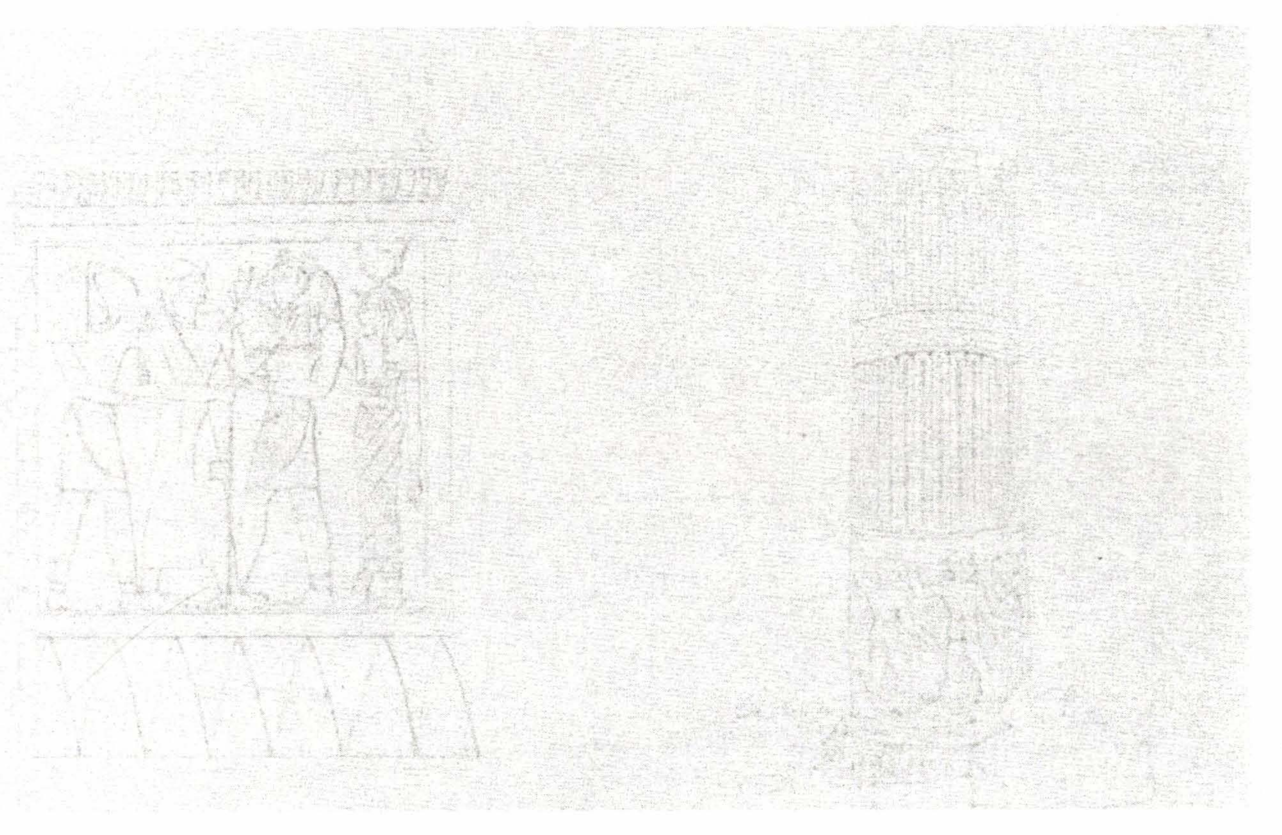
اللوحة 19: منظر للمعبد الكبير في المصورات.



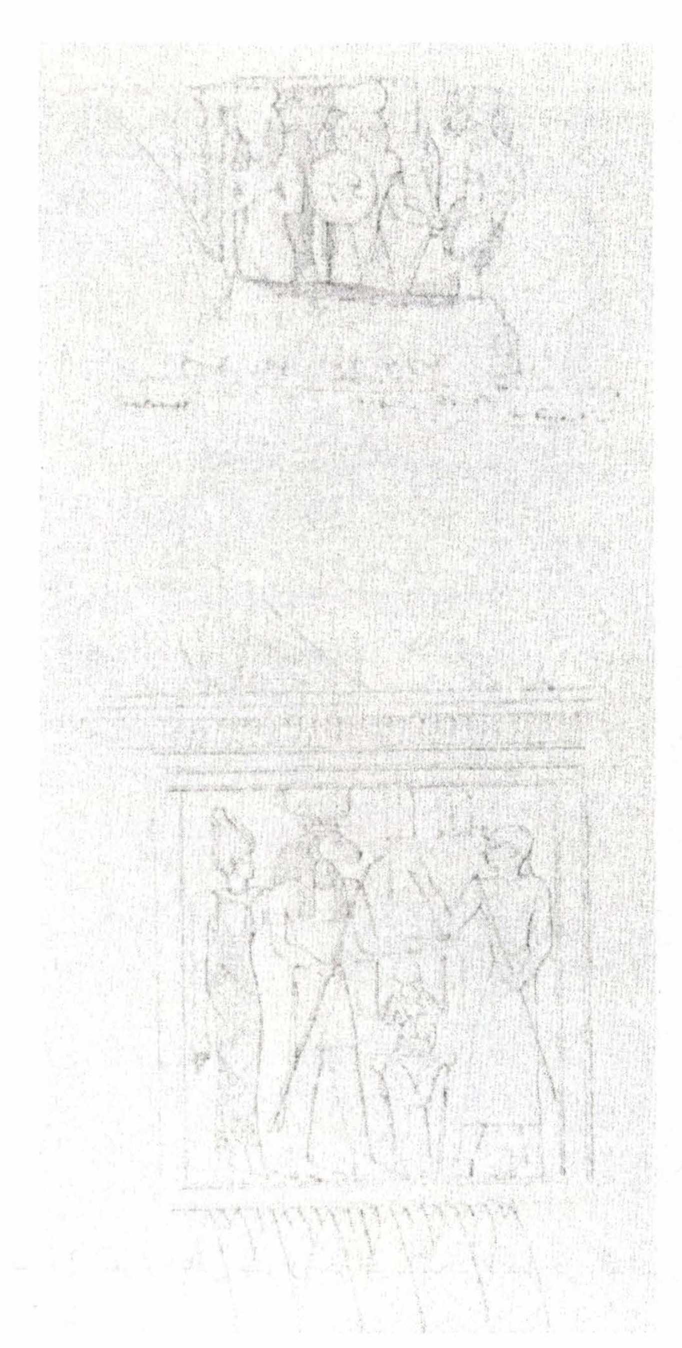
اللوحة 20: منظر عام لخرائب المصورات.



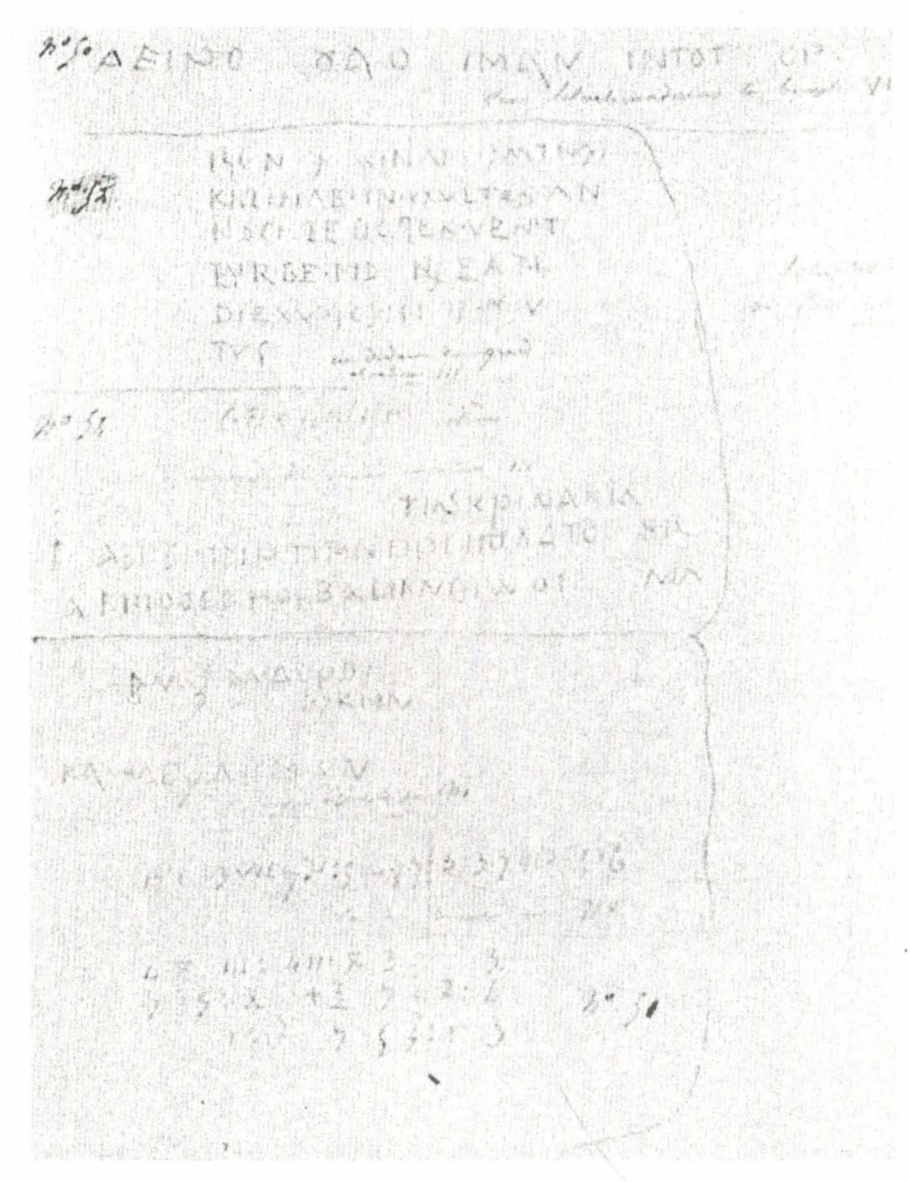
اللوحة 21: عمود في المعبد الكبير في المصورات.



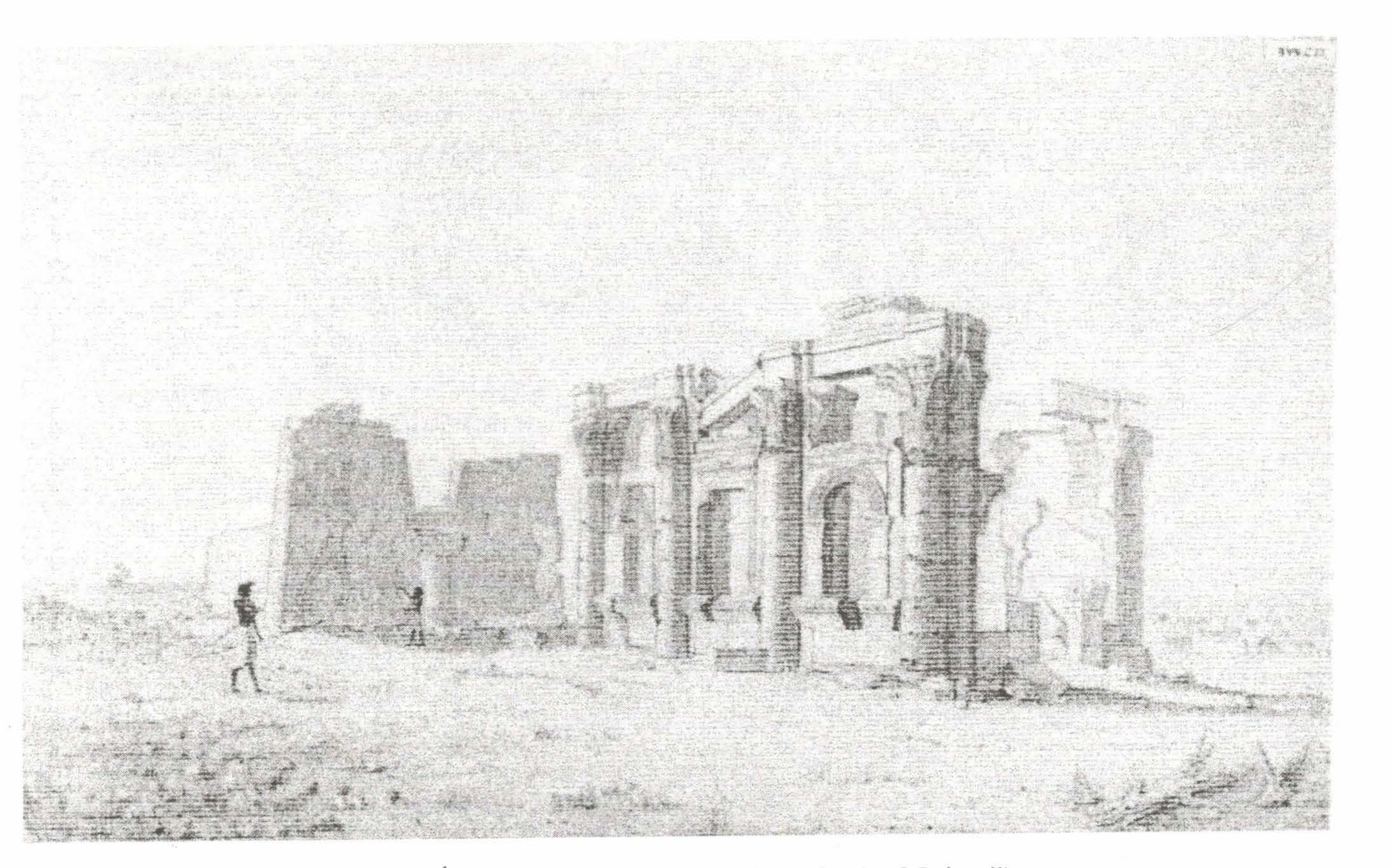
اللوحة 22: مناظر منحوتة على أعمدة في معبد المصورات.



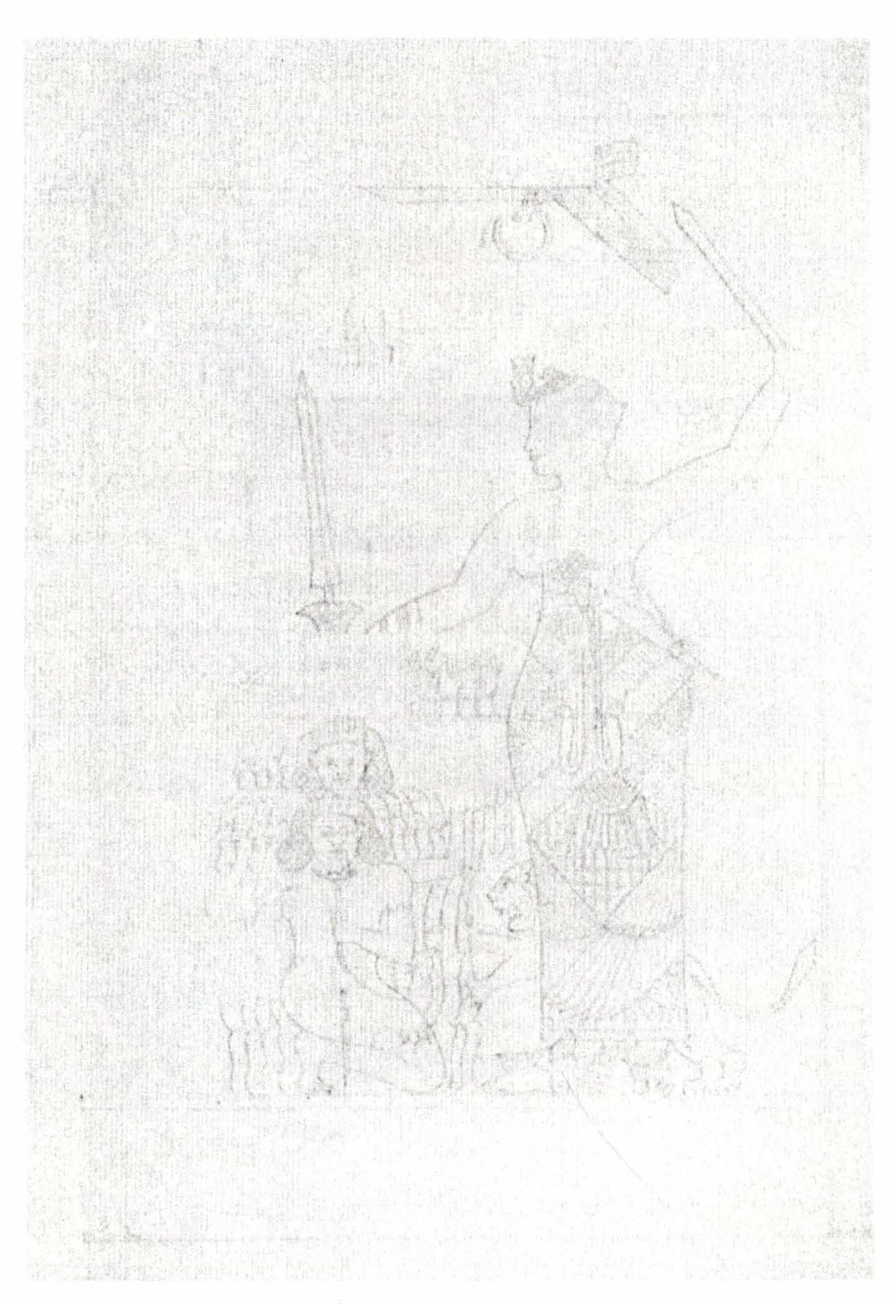
اللوحة 23: مناظر منحوتة على أعمدة في المعبد الكبير في المصورات.



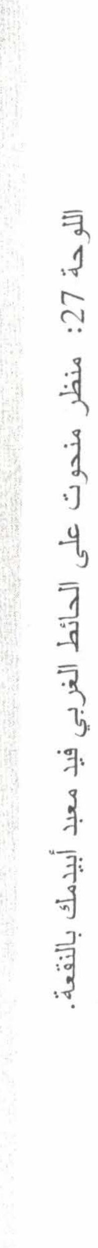
اللوحة 24: نقوش على جدران خرائب المعبد الكبير في المصورات.



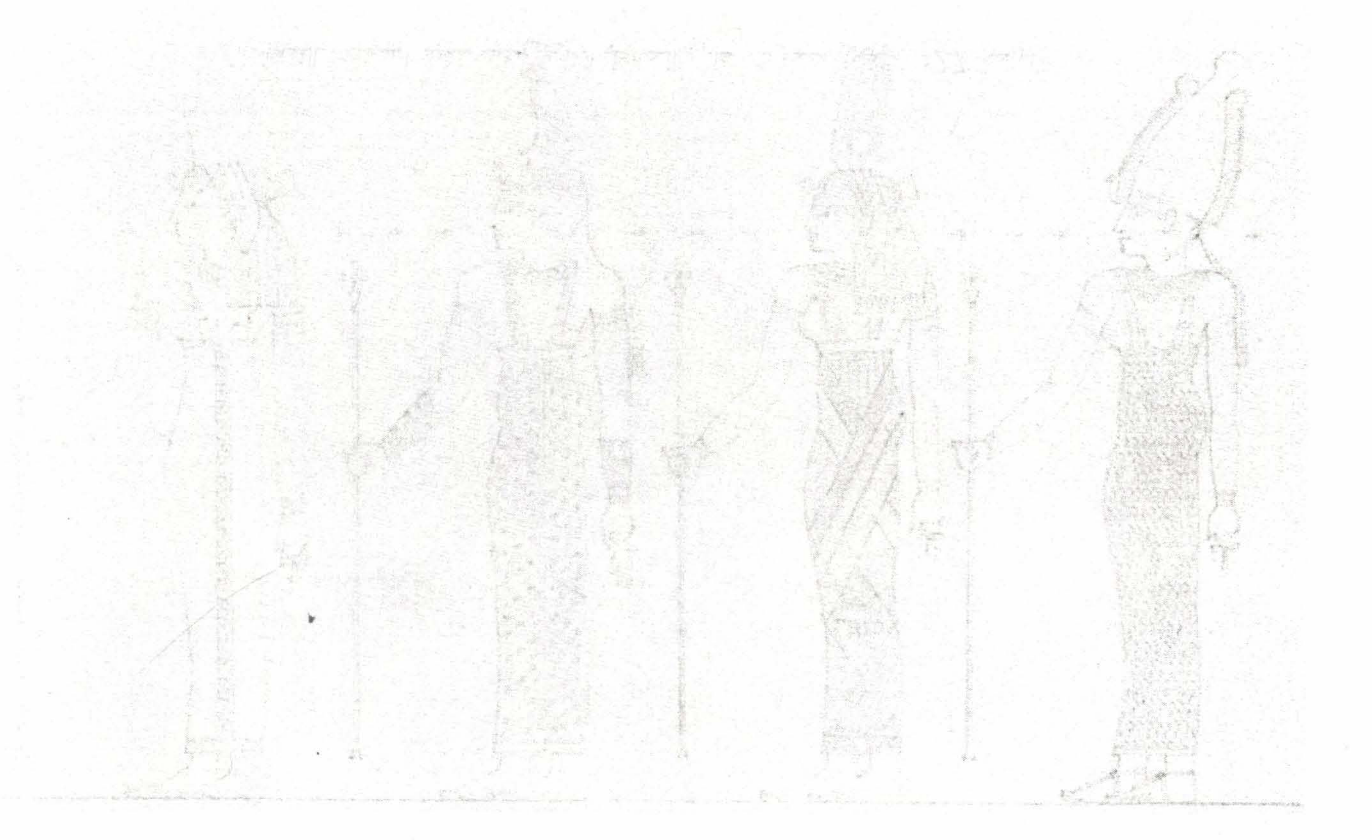
اللوحة 25: النقعة. منظر للكشك في النقعة، ومعبد أبيدمك إلى اليسار.



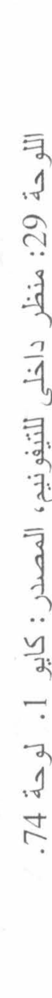
اللوحة 26: منظر منحوت من معبد أبيدمك في النقعة.



اللوحة 27: منظر منحوت على الحائط الغربي فيد معبد أبيدمك بالنقعة.



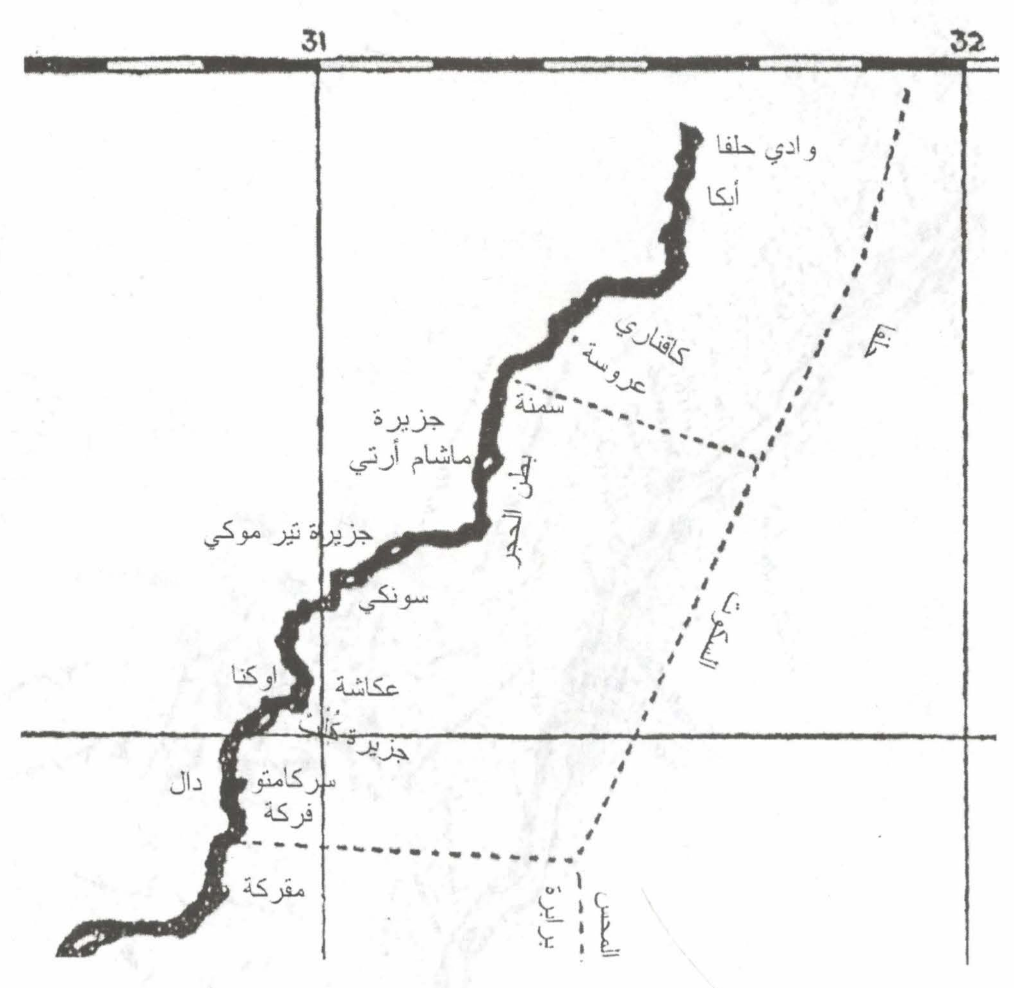
اللوحة 28: منظر على الحائط الشمالي في معبد أبيدمك بالنقعة.



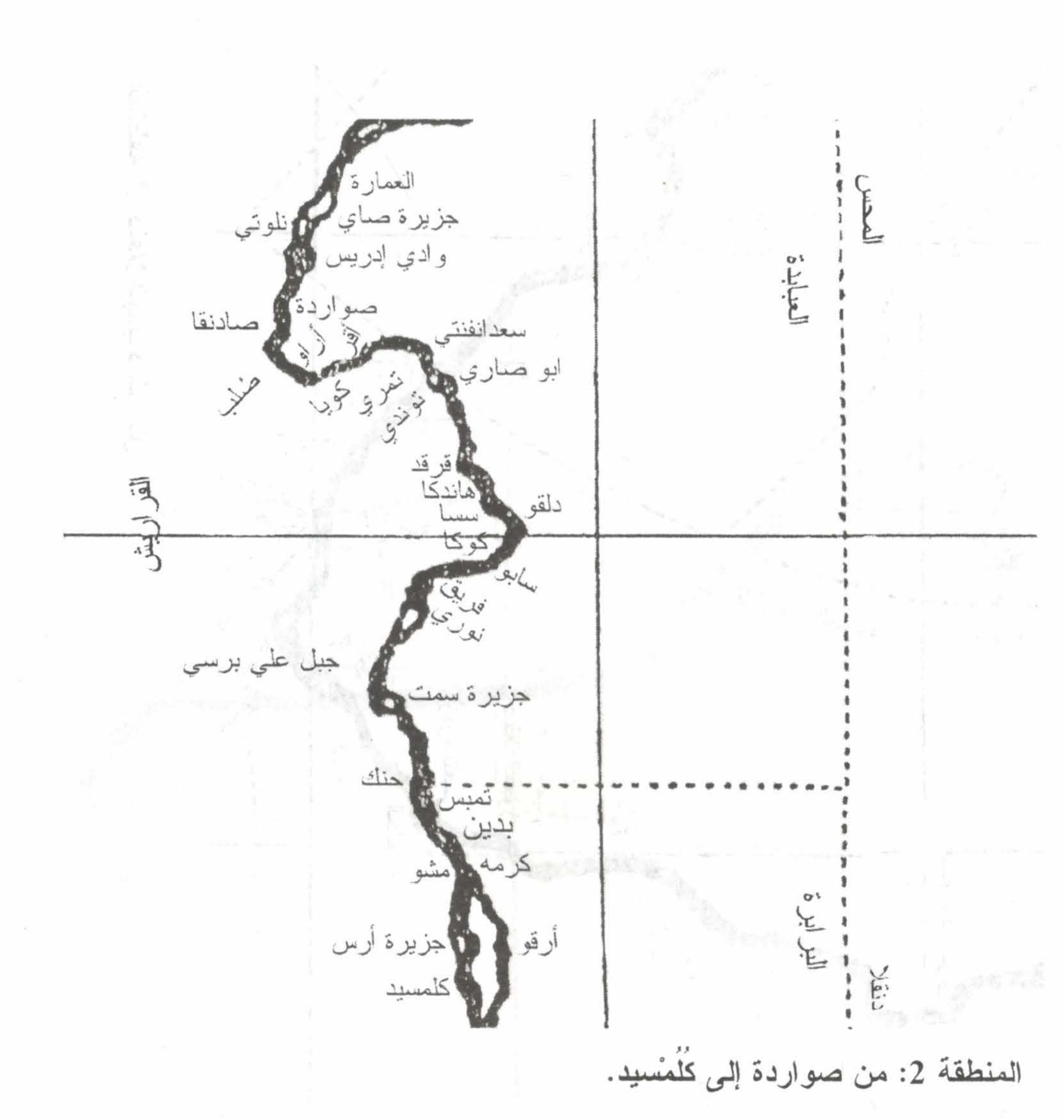
اللوحة 29: منظر داخلي للتيفونيم، المصدر: كايو 1. لوحة 74.



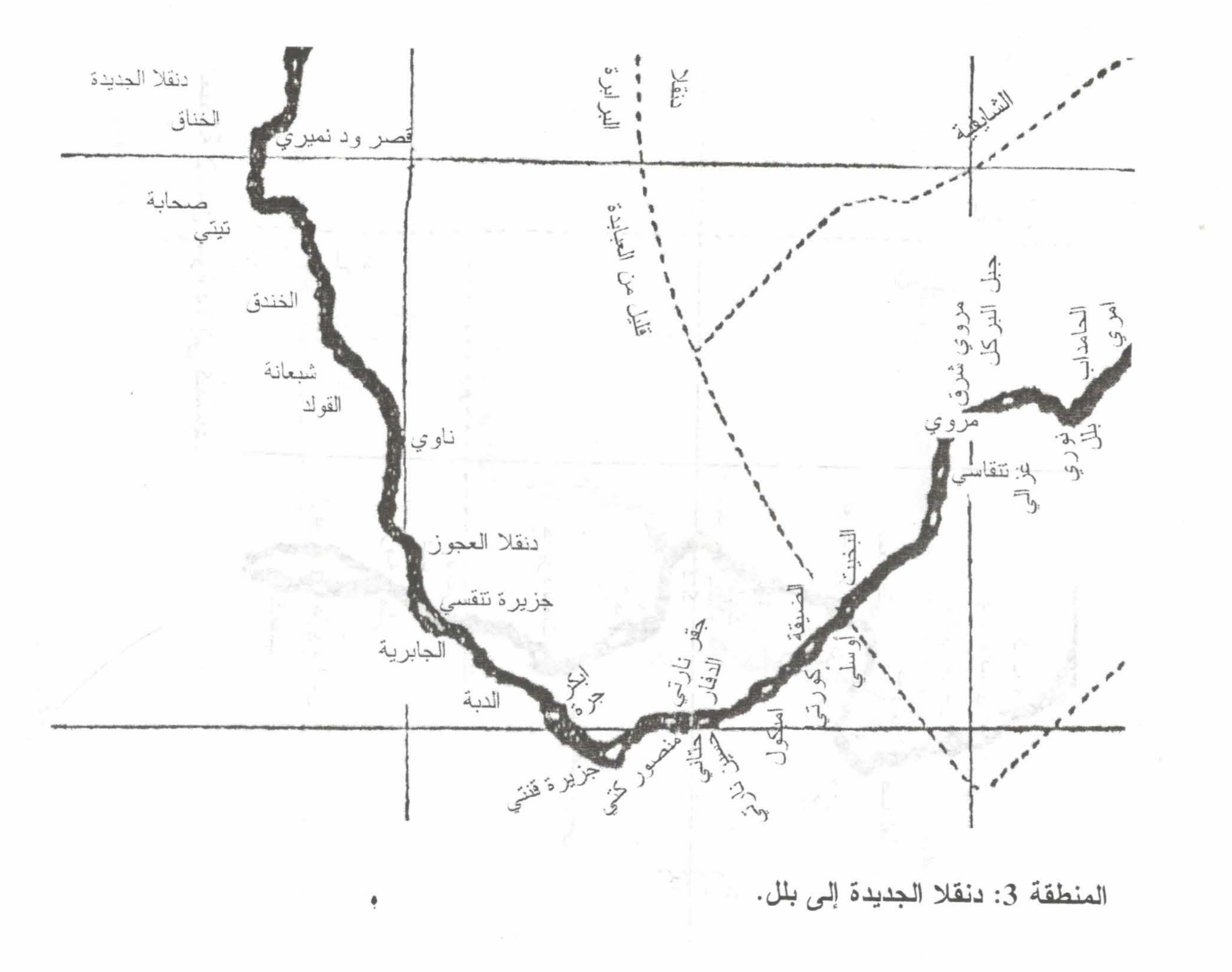
جزء من خارطة لينان دو بلفون توضح المنطقة حول شندي والتي تشمل المصورات والنقعة (الحردان).



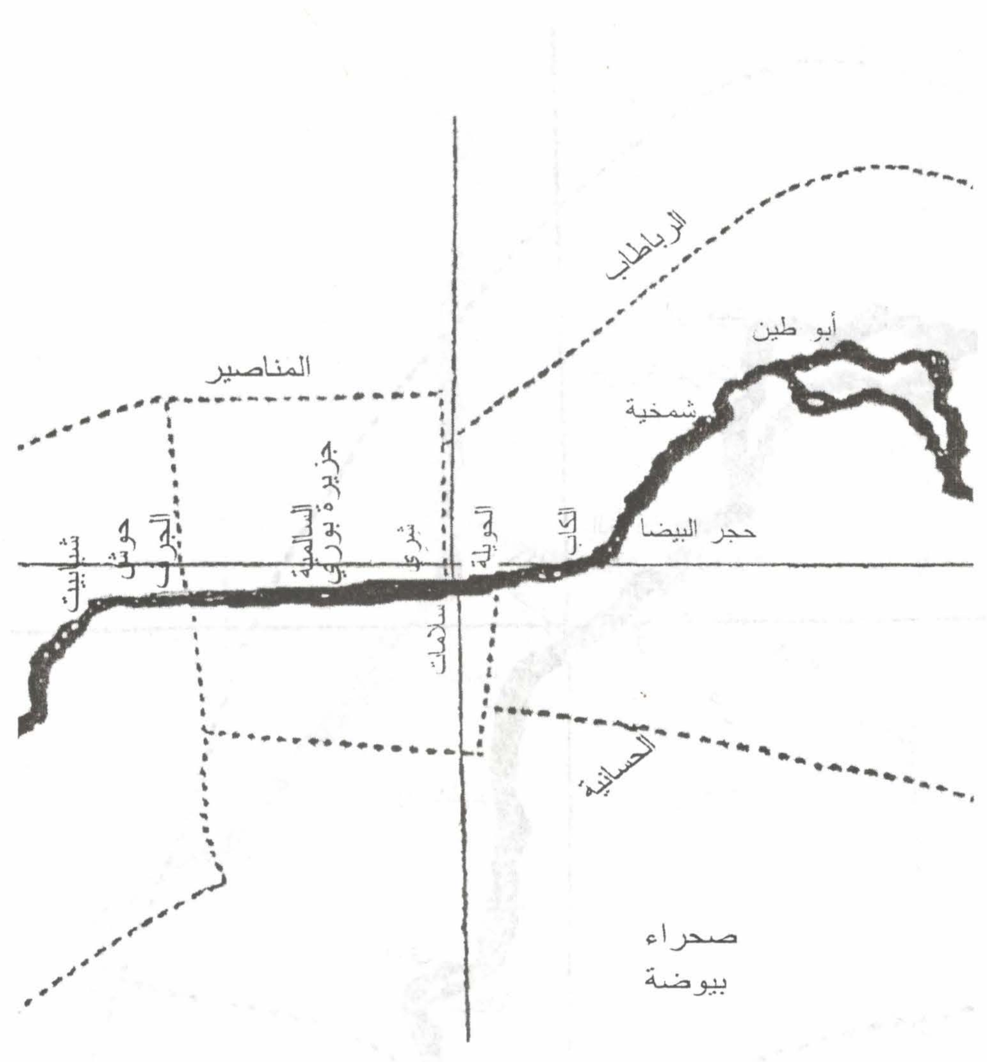
المنطقة 1: من وادي حلفا إلى موقراكة.



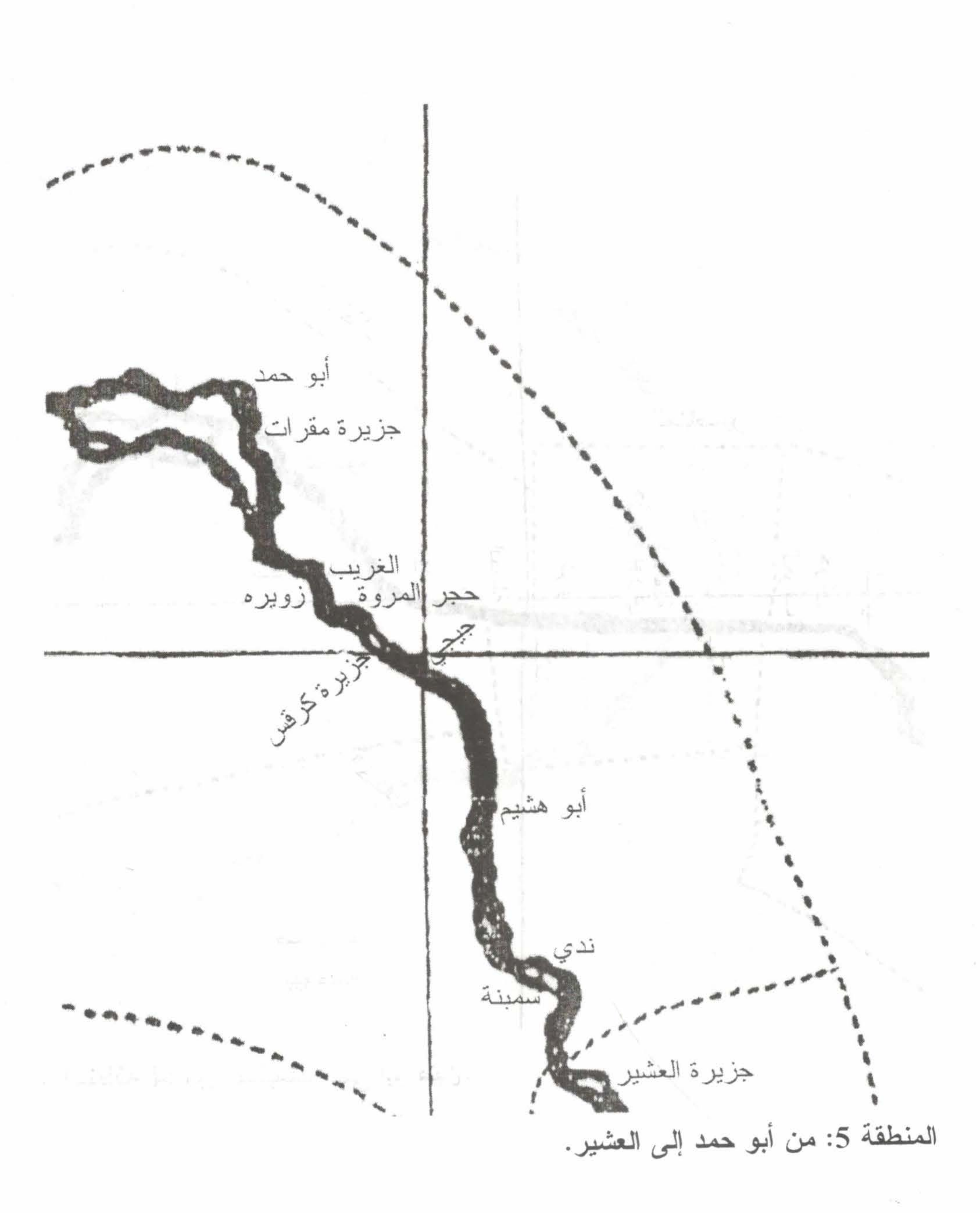
المنطقة 2: من صواردة إلى كُلُمْسيد.



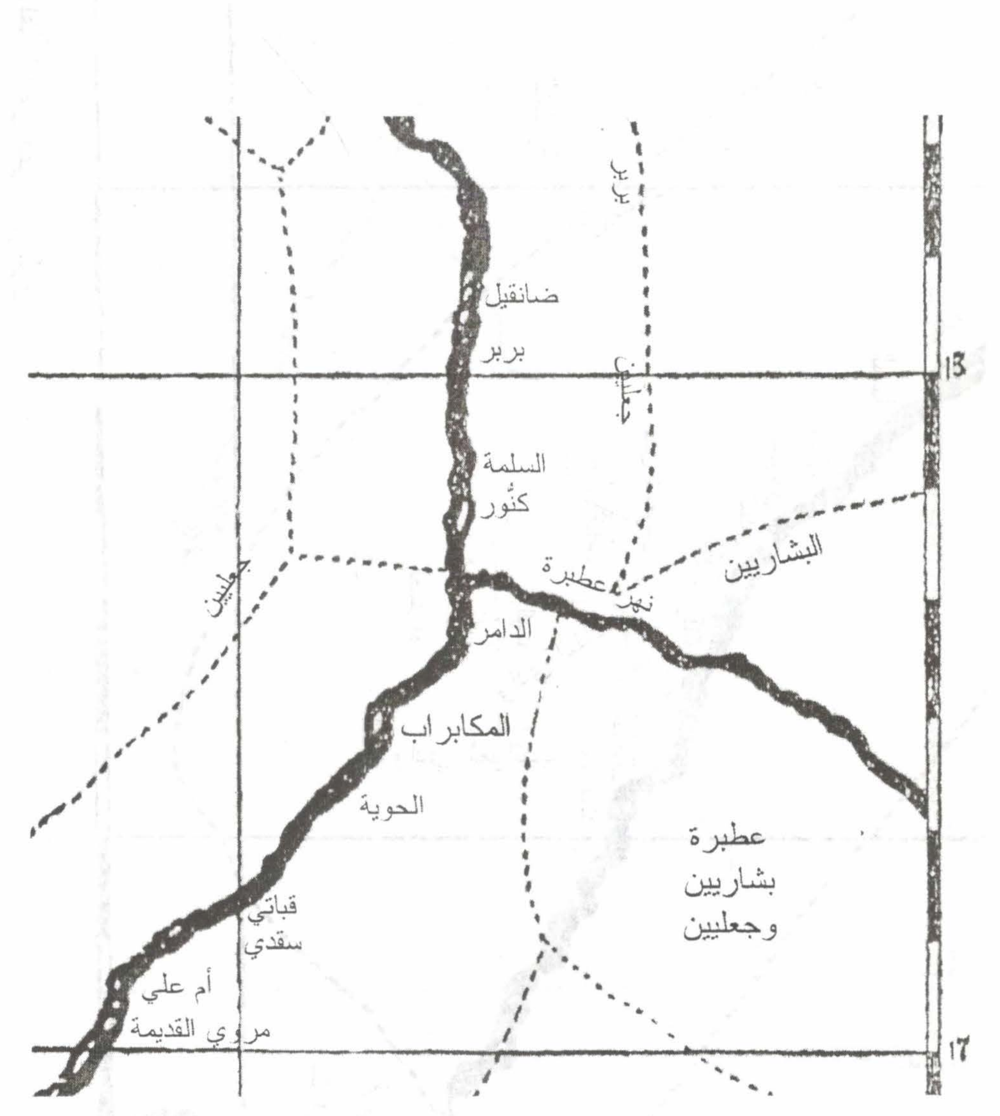
المنطقة 3: دنقلا الجديدة إلى بلل.



المنطقة 4: من السليمانية إلى أبو طين.



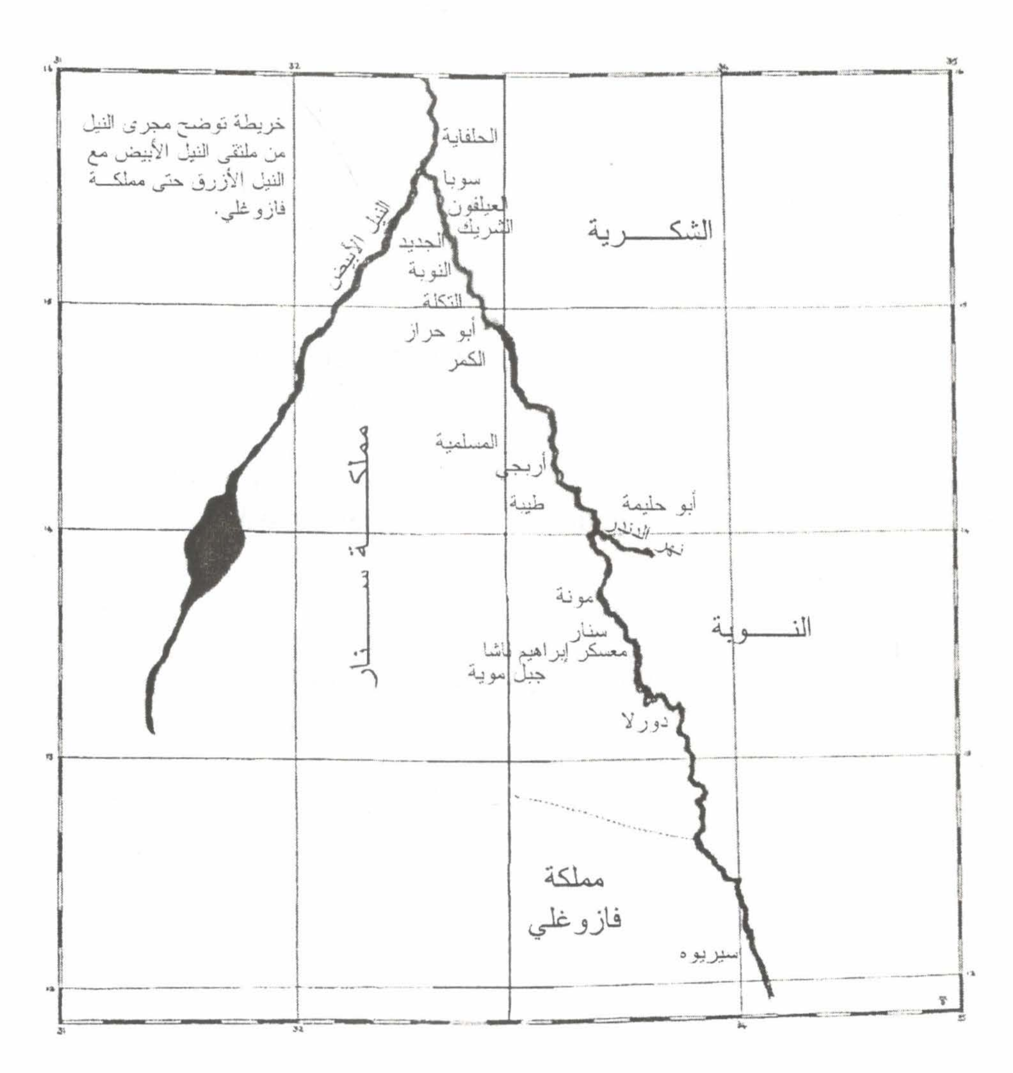
المنطقة 5: من أبو حمد إلى العشير.



المنطقة 6: من ضانقيل إلى مروي القديمة.



المنطقة 7: من القوز إلى قرّي.



المنطقة 8: من الهلالية إلى السيريوا.

مراجع المحررة

Richard Hill
A Biographical Dictionary of the Anglo-Egyptian Sudan. Oxford. 1951.

G.Douin.
'Histoire du Soudan Egyptien'. Vol. i. *Société Royale de la Géographie d'Egypte.* 1944.

O. G. S. Crawford.
The Fung Kingdom of Sennar. Gloucester. 1951.

J. Mazuel.
L'Oeuvre géographique de Linant de Bellefonds: étude de géographie historique. Société Royale de la Géographie d'Egypte. 1937.

In the last three of these books, various of Linant's drawings are published.

الاختصارات في هوامش المحررة

J. E. A. Journal of Egyptian Archaeology.
S. N. R—Sudan Notes and Records.

دار جامعة السودان المفتوحة للطباعة
الطابعون